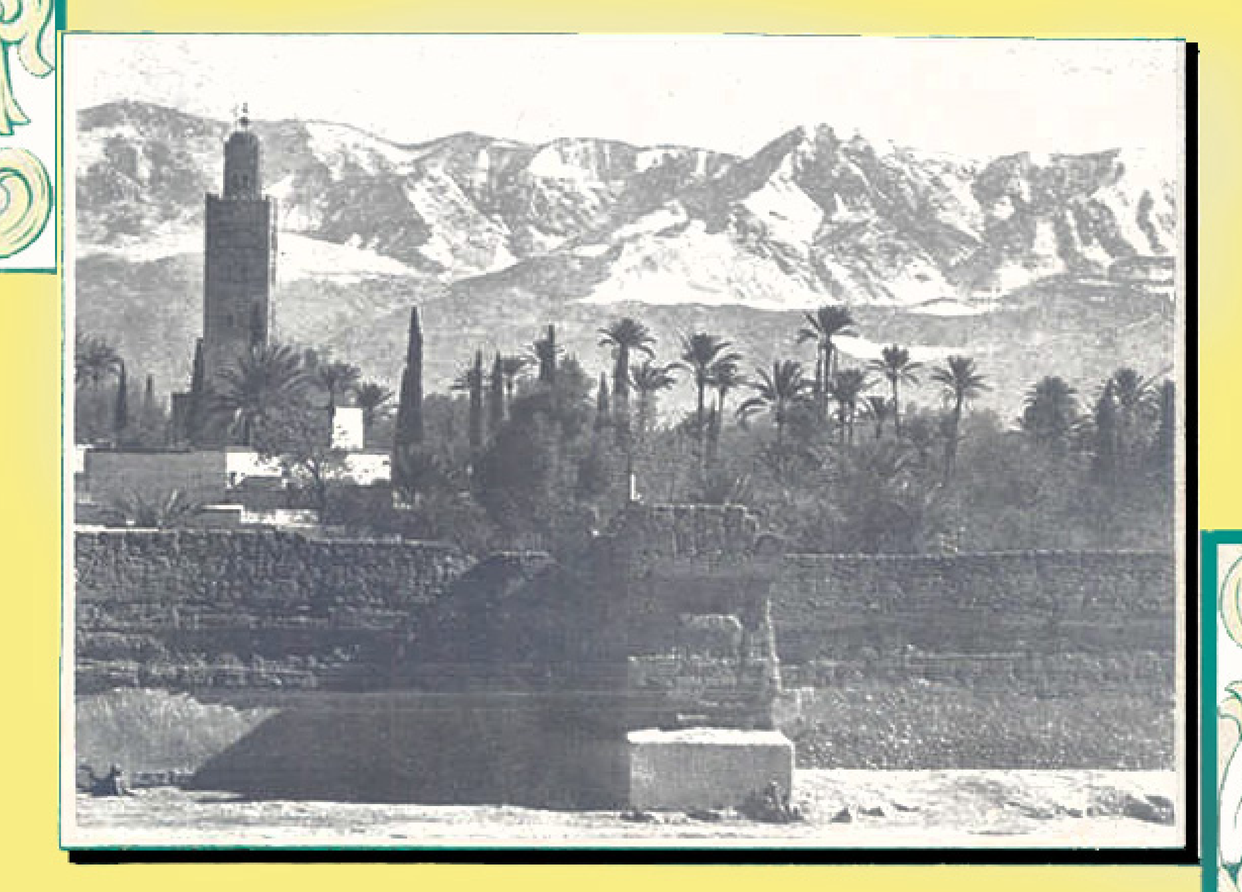
دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى
بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط - المغرب



العدد الثالث - السنة الثانية
جمادى الأولى 1378 - دجنبر 1958



العدد الثالث
السنة الثانية
جمادى الأولى
1378
دجنبر 1958

دعوة الحق

مدير المجلة
المكي بادو
رئيس التحرير
عبد القادر الصحراوي

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف



صومعة « الكتبية » بمدينة مراكش . قاعدة جنوب المغرب . ومن ورائها جبال الاطلس الكبير . مكسوة بالثلوج .

تصوير : جاك بولان

بيانات إدارية

تبعث المراسلات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

الاشتراك عن سنة 1.000 فرنك ، وللطلبة 500 فرنك فقط .

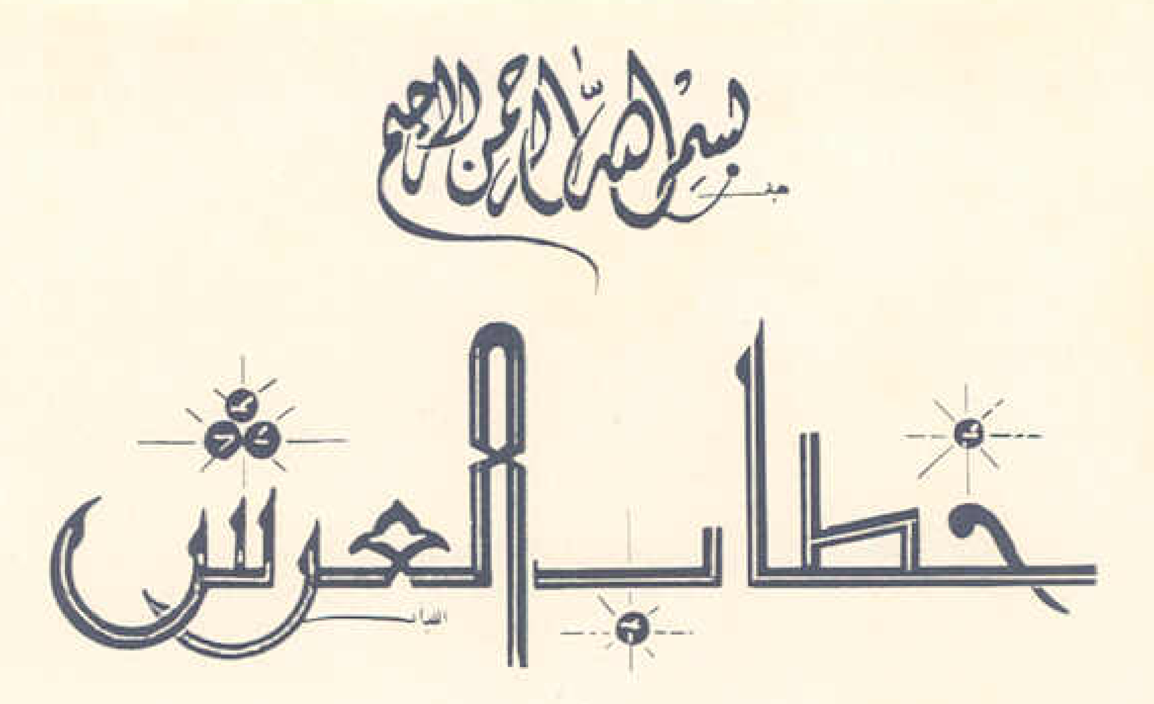
السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الرباط ـ
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة : «دعوة الحق» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
قسم التوزيع ـ بادارة المجلة .
تليفون 308.10 ـ الرباط



الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله

شعبنا الوفي :

تحل اليوم الذكرى الحادية والثلاثون لجلوسنا على عرش سلفنا المجيد ، فيحل معها عيد قومي اسس على الاخلاص بنيانه ، وعرقت في الولاء اصوله ، وسمت في الوفاء افنانه ، عيد اسر به النجوى رواد نهضتنا الاولون ، في وقت عظم خوفه ، وكثر عسفه وحيفه ، ثم كشفوا عنه الغطاء، واخرجوه الى الوجود عيدا قوميا وموسما شعبيا ، ما زالوا يتفننون في اقامته ، ويتبارون في الحفاوة به ، من غير ان يثنيهم وعيد ، او يصدهم تهديد ، حتى افلحوا في فرضه وترسيمه وانف الشانئين راغم .

كان عيد العرش قبل الاستقلال مظهرا من بقايا السيادة ، وعاملا من عوامل اتساع الحركة الوطنية ، ومقياسا لانتشار الوعي القومي في الامة ، ومناسبة لاجتماعنا برعايانا الاوفياء في جو شعبي ، يؤكد قوة ما بيننا من تواصل روحي ، وتجاوب فكري ، وتضامن في السراء والضراء ، وكان شعبنا العزيز ينتظر حلوله بغاية الشوق ومنتهى التلهف ، ليسمع الخطب التوجيهية التي اعتدنا ان نلقيها عليه في مناسباته كل عام ، والتي لم يفلح رجال العهد البائد قط في الاطلاع عليها قبل القائها ، تلك الخطب التي طالما ثبتت افئدة المترددين ، وفتحت آفاق الامل لليائسين ، وربت الجماهير على الاخوة والتعاون والاتحاد ، ودلتها على سبل التضحية والرشاد . ثم ابى الله الا ان يخص بمنقبة عظمى يوم هذا العيد الذي كان لحركتنا التحريرية فجرا صادقا ، فوقفنا فيه — منذ ثلاثة أعوام — لاعلان استقلالنا ، ودخول بلادنا في عهد العزة والكرامة .

ولقد احتفظ عيد العرش بعد ذلك بصفته الشعبية ، وصبغته الوطنية ، واصبح مظهرا لكفاح جديد في سبيل تدعيم الاستقلال ، واصلاح الحكم ، وتوسيع الاقتصاد ، ونشر الثقافة ، وترقية المجتمع . كما صار مناسبة نضع فيها الموازين لمحاسبة انفسنا على ما انجزت للوطن في امسها ، وما تنوي انجازه لخيره في غدها . وامتحان ضمائرنا ، على ما اصبنا فيه وما اخطانا ، لنتمسك بالصواب ونقلع عن الخطا ، وليس اجدى على الشعوب من التحلي بهذه الحلية ، ولا اضر بها من التمادي في الاخطاء بعد تبينها ، فان الاصرار عليها يوشك — اذا طال الزمان وتشعبت الامور — ان يجعل كل اصلاح لها مستحيلا . وامتنا التي هي امة فتية ، خليقة بأن تستعرض في كل سنة اسباب نجاحها او اخفاقها في تنفيذ مشاريعها ، ولا يضيرها وهي في مراحل التطور الاولى ان تراجع خطتها ، وتنقض بعض الاركان لتعيد بناءها على قواعد امتن واسلم ، درا للفساد ان يسري الى بعض مرافقها فيعرض الكل لشر مستطير .

شعبنا الوفي :

لقد انصرفت عنايتنا في المدة التي تلت اعلان الاستقلال الى التمكن من المصالح والادارات الحكومية ، والقبض على ازمتها ، مع المحافظة عليها وتعهدها ، حتى لا يصيبها خلل يشل نشاط البلاد . ولكن هذه المصالح والمرافق لم تكن تتلاءم مع وضعنا الجديد من حيث الروح والاتجاه ، فكان لزاما علينا ان نبدا باسناد مناصبها ذات المسؤولية الى المواطنين ، وان نشرع

في مغربتها ، وندخل عليها اصلاحات عميقة ، ونحولها تحويلا جوهريا بجعلها ملائمة للمغرب المستقل ، وفي مصلحة الامة جمعاء . وفي الوقت نفسه قمنا باعمال بنائية وتجهيزية مهمة تعطي للاستقلال مدلوله الحقيقي ، لان الكفاح الذي قدناه وكلفنا اغلى الاثمان كنا نستهدف به استرجاع كرامتنا حتى يمكننا ان نحيا احرارا اعزاء في وطن حر عزيز ، وننشد به حياة افضل تنعم معها البلاد بالرفاهية والسعادة . وقد واصلنا العمل لذلك كله في هذه السنة الثالثة من العهد الجديد ، فكانت زاخرة كسابقتيها بالاعمال ، حافلة بالمنجزات ، ممتازة بالتحويل الذي لحق مصالح الدولة ودواليبها الحيوية ، وبالاسبقية التي اعطيناها للجهات التي ظلت محرومة من وسائل التجهيز والتقدم والازدهار .

وقد ازداد شعورنا — ونحن في غمرة العمل — بما لنا من طاقات قوية ، وامكانيات واسعة ، تساعدنا على بلوغ اهدافنا اذا نحن احسنا تعبيئها واستعمالها .

ومن الطبيعي ان يبقى دعم الاستقلال في طليعة هذه الاهداف ، وهكذا تابعنا العمل للقضاء على الرواسب السياسية والعسكرية والاقتصادية التي خلفها العهد البائد ، فبعد مفاوضات طويلة مع الحكومة الاسبانية ، جرت عملية سحب البسيطة فاستكملنا وحدتنا النقدية والاقتصادية ، كما استرجعنا اقليم طرفاية الذي بعثنا اليه ولي عهدنا ، ليبلغ سكانه تحياتنا الابوية ، ويعبر لهم عن عزمنا على انالتهم حظهم من نعم الحرية والاستقلال ، وباسترجاع هذا الاقليم ، تبين للخاص والعام ان حدود المغرب الجنوبية لا تقف عند وادي درعة ، وتحقق من جهة اخرى جزء من مطامحنا في استعادة مناطقنا الصحراوية وجمع الشمل بسكانها الذين عبر ممثلوهم في مناسبات عديدة — ولا سيما في مؤتمر موريطانيا والصحراء المنعقد بالرباط — عن ولائهم لشخصنا ، وتعلقهم بالعرش العلوي ، وتمسكهم بالقومية المغربية .

ان السهر على سلامة تراب المملكة ، والسعي لاسترجاع ما اغتصبمن مناطقه، واجب مقدس بالنسبة الينا . لذا اسسنا لجنة خاصة لدراسة القضية من جميع وجوهها ، كما ابدينا من جهة اخرى تحفظاتنا ورفعنا احتجاجاتنا على كل ما قامت به السلطات الفرنسية والاسبانية من اعمال في هذه المناطق .

وما زال وجود الجيوش الاجنبية يشغل بالنا كذلك ، ولقد كان من الواجب ان يتبع جلاؤها اعلان الاستقلال لانه من نتائجه الطبيعية ، فبقاؤها لا يتنافى مع الاستقلال فحسب ، بل يشكل عليه ايضا خطرا مستمرا ، لذلك عملنا لحل هذه القضية مع الدول التي يعنيها الامر ، فوجهنا في شانها عدة مذكرات الى الحكومتين الفرنسية والاسبانية اللتين اجابتا بما لا يرضي مطالبنا ، اما القواعد الامريكية فقد كنا تحادثنا في امرها مع المسؤولين الامريكيين اثناء زيارتنا لواشنطن ثم اكدنا موقفنا منها في مذكرة وجهناها الى الحكومة الامريكية في شهر مارس ، فكان جوابها لا يتفق ومطالبنا ، وما زلنا متشبثين بموقفنا حيال هذه القواعد والجيوش الاجنبية ، عازمين على تحقيق الجلاء الكامل عن بلادنا من غير قيد ولا شرط .

*

وتعززت الجهود المبذولة لدعم الاستقلال من هذه الناحية ، بجهود مماثلة بذلت في الميدان الخارجي لتوطيد مكانة المغرب الدولية ، ومتابعة سياستنا الخارجية التي ظلت مستوحاة من مبادىء الامم المتحدة، وكان رائدها دائما الدفاع عن مصالح بلادنا ، واقامة التعامل بيننا وبين الدول الصديقة على اساس المساواة والتبادل الحر ، وتمتين اواصر الاخوة التي تربطنا بالعالم العربي ، وتوسيع علائقنا مع الدول الافريقية والمتوسطيةوذلك بمشاركة بلادنا في مؤتمر أكرا ومناظرة فلورانسا .

وقد اتسمت هذه السنة بتحقيق احدى امانينا الغالية ، وذلك بانخراط مملكتنا في جامعة الدول العربية ، تلك الجامعة التي طالما اشدنا بها ، وعملنا منذ زمن طويل لتعزيزها وتأييد جهودها في سبيل تحرير الامة العربية وتوحيدها .

وكانت زيارتنا لمقر الامم المتحدة حدثا تاريخيا اذ اصبحت بلادنا الحديثة العهد باسترجاع استقلالها تساهم بجانب الدول الاخرى في تقرير السياسة العالمية .

ولم نفتأ نتضامن التضامن التام مع الشعب الجزائري ، ونعمل لتحقيق استقلاله ، ذلك الاستقلال الذي هو عنصر اساسي لتشييد وحدة المغرب العربي ، ولما تألفت الحكومة الموقتة للجمهورية الجزائريةكنا بالطبعمن السابقين الىالاعتراف بها، واننا

نحيي في هذه المناسبة شجاعة الشعب الجزائري واقدامه . ونجدد له كامل التضامن والتأييد .

*

ولم يكن اهتمامنا بتوطيد استقلالنا داخلا وخارجا ليحول بيننا وبين الاهتمام بالاصلاحات الداخلية ، او يصرفنا عن التفكير في وضع الانظمة السياسية التي تكفل التعاون بين الملك والشعب والحكومة على خدمة البلاد والصالح العام ، وقد حدد العهد الملكي الذي وجهناه الى شعبنا المبادىء التي سنسير على ضوئها في هذا الميدان ، والمناهج التي سنسلكها لاقامة المؤسسات التمثيلية ، ولئن تأخر انتخاب المجالس البلدية والقروية ، فلاننا مقدمون على تجربة جديدة نحرص على نجاحها الكامل ، نظرا لاهمية الانتخابات البلدية والقروية بالنسبة لما ينبني عليها من مؤسسات ، ولما شرعنا في اعدادها وجدنا امامنا فراغا تاما ، فالتشريعات الانتخابية منعدمة ، والقوائم الانتخابية غير جاهزة ، والدوائر الانتخابية دون تحديد . فكان من اللازم ان نبدا بوضع قانون انتخابي شامل ، وتجري احصاء عاما لتحضير القوائم الانتخابية حتى لا يكون فيها تزييف ، وتقسم البلاد الى دوائر انتخابية ، واذا كان التشريع الانتخابي سهلا نسبيا ، فقد تبين ان العملين الآخرين من اصعب الامور ، لان معظم المواطنين غير مسجلين بالحالة المدنية ، ولان بقايا من الروح المحلية كانت تجعل جمع القرى في دائرة واحدة امرا عسيرا ، والمصالح المختصة جادة منذ حين في تذليل تلك العقبات وتيسير تلك الصعاب .

ومن جهة اخرى اردنا ان نحوط هذه الانتخابات بكل الضمانات التي تجعلها صادقة التعبير عن رغبات الناخبين ، ولا يتيسر هذا الا بصدور قانون الحريات العامة التي لا يكون بدونها انتخاب حقيقي .

اننا لا نبني للحاضر فقط ، ولا لابناء الجيل الحالي وحدهم ، ولكننا نبني لخير الاجيال المقبلة ، ونسعى بذلك لحفظ كيان الدولة وضمان وجودها واستمرارها ولان نتريث حتى نخرج النظم التأسيسية متقنة ، خير من ان نتعجل فنخرجها مرتجلة ، ان الخطر الحقيقي ليس في انعدام النظام التمثيلي ، ولاكن الخطر في وجود نظام صوري ، يكون اداة اضطراب وهدم لا اداة استقرار وبناء .

ويسرنا ان نخبر شعبنا ، بوضع طابعنا على قانون الحريات العامة الذي هو اول لبنة في صرح النظام التمثيلي ، واملنا ان يبرهن المواطنون بممارستها على رشدهم ، ووعيهم ، وشعورهم بالمسؤوليات ، وايثارهم للصالح العام .

ان الحرية سلاح ذو حدين : فاما احسنت استعماله نفعك ، واما اسأت استعماله فارتد في تحرك والحق بك وبمن حواليك ضررا كبيرا .

*

ان حريات المواطنين لا تكون مصونة الا اذا كانت حرية وطنهم مصونة وفي مامن من كل خطر ، ولا تصان حرية الوطن وكرامته الا بوجود اداة قوية تحمي حماه ، وتذود عن شرفه ، وتضمن الامن لابنائه ، وتقف بالمرصاد لكل من يهدده ، وهذه هي الرسالة التي انطناها بالقوات المسلحة الملكية التى بادرنا بانشائها فور استقلالنا ، وحرصنا على ان تظل رفيعة المعنويات متشبعة بروح النظام والامتثال ، ومن دلائل عنايتنا الدائمة بهذه القوات ، التي هي سياج الوطن وجنة بنيه : اننا نتولى قيادتها العليا لنكون قريبين منها ، ولنوجهها دائما وجهة صالحة . وان ولي عهدنا الامير الحسن اصلحه الله ، يرأس اركانها العامة ، ويصرف نشاطه في تقوية تجهيزها ، واجادة تدريبها ، وحياطتها باطارات وطنية فنية وادارية ، حتى تكون مغربية لحمة وسدى . وقد كوننا لها في هذه السنة ، بالمدارس الوطنية والاجنبية (830) من الضباط وضباط الصف ، ستون منهم تابعون للسلاح الجوي .

ومن حق هذه القوات ، ان ننوه بالكفاية التي نفذت بها المهمات التي وكلناها اليها ، كسلم طرفاية ، فقد كانت دائما حاضرة مستعدة . وان نشيد بالعون المجدي الذي قدمته في الاعمال البنائية والعمرانية كعملية الحرث والتشجير ، ومكافحة الجراد ومحاربة الامية بين صفوفها .

*

وبجانب هذه الجهود المبذولة في الميادين الدبلوماسية والسياسية والعسكرية لحماية استقلال الوطن وصيانة حريات بنيه ، بذلنا جهودا اخرى لتحقيق رقي البلاد في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ومن البديهي ان مثل هذا الرقي لا تيسر

الا في نطاق سياسة ترمي الى اتساع الاقتصاد ، وازدهاره ، وتحرره من السيطرة الاجنبية ، وهذا ما حدا بنا الى وضع برامج ترمي الى تنمية الانتاج ، وتكثير المبادلات ، ونشر الصناعات الوطنية ، وحمايتها من المنافسات .

فمن اهم محتويات برنامجنا الفلاحي الذي يرمي الى نشر الرفاهية والرقي والتقدم بالبوادي : عملية الحرث التي استفاد منها في الموسم الاول خمسة وثلاثون الف فلاح ، خبروا اهميتها العظمى ، حيث نما انتاجهم ، وازداد دخلهم والدخل الوطني ، وارتفع من جراء ذلك مستوى حياتهم ومستوى حياة البلاد ، وقد حفزنا النجاح الباهر الذي احرزته العملية الى رفع الاعتمادات المالية المخصصة لشراء الاعتدة اللازمة لها في الموسم الثاني ، فصارت مليارين وستمائة مليون فرنك ، بدل مليار وخمسمائة مليون خصصت للغرض نفسه في العام الماضي ، وهذا ما يمكننا في هذا الموسم من حرث مساحة 350 الف هكتار ، اي ما يفوق ضعف المساحة المحروثة في الموسم السابق ، واملنا ان تقوى هذه العملية عزم الفلاحين على استعمال الاساليب الحديثة في الفلاحة ، وتخلق فيهم روح التعاون ، فيساعدوا بدورهم على تطوير البادية ، ويساهموا مباشرة في حركة التجديد القروي .

ولاكن الفلاحة مهما تجددت اساليبها ، وكثرت منتوجاتها وتنوعت ، لا تكفي وحدها لتحقيق الرخاء لبلد يتزايد سكانه باستمرار ، لذلك كان لزاما علينا ان نلتفت الى ثرواتنا الاخرى ، ونسعى لاستغلالها استغلالا محكما .

وقد امضت حكومتنا اتفاقات مهمة تتعلق بالبحث عن البترول واستغلاله باقليم طرفاية ، وتشجيعا منا لتوظيف الاموال في القطاع المعدني والصناعي اصدرنا تشريعات تعطي الضمانات اللازمة لرؤوس الاموال ، وتصون في نفس الوقت سيادة البلاد ومصالح اهلها ، ومن جهة اخرى انشانا مكتب الدراسات والمساهمات الصناعية الذي تشرف عليه الدولة وتساهم فيه ، واتطنا به القيام بدرس كل ما من شانه ان يحقق الازدهار الصناعي المنشود .

وفي الحقل التجاري : سهرت وزارة الاقتصاد الوطني على ايجاد تعادل في ميزان تجارتنا الخارجية ، كما سهرت على وضع التصميم الثناءي لسنتي 58—59 الذي هو تصميم انتقالي واعدادي بالنسبة للتصميم الخماسي ، والغاية الاولى منه : تقوية الاستثمارات في القطاعات المنتجة ، والتمهيد للتوجيهات الجديدة التي ستتبع فيما يستقبل من السنين .

اما فيما يخص الميزانية فسياستنا ما زالت تستهدف تسديد نفقاتنا بمواردنا الوطنية ، وقد استطعنا ان نحقق هذا التعادل في ميزانية التسيير ، في الوقت الذي اصبحت فيه ميزانية الدولة تنفق على الاقاليم الشمالية اثني عشر مليارا ، ولا تجبي منها الا خمسة ملايير ، ويجدر بنا ان نشير في هذا الصدد الى ما قررناه من الاعتماد على مواردنا الوطنية في تسديد ميزانية التجهيز ، فبعد سنوات طويلة كنا نعتمد على الخارج في تمويلها ، اصبحنا نمول بوسائلنا الخاصة ما يقرب من خمسة واربعين في المائة من النفقات التي تتطلبها اعمالنا البنائية والتجهيزية ، وهذا يدل على ما لنا من عزم قوي على تحرير اقتصادنا من السيطرة الاجنبية .

*

ولاشك في ان من العوامل الفعالة لخلق اقتصاد متسع مزدهر ، القيام باشغال عامة كبرى ، مثل شق الطرق ، ومد السكك الحديدية ، وبناء المراسي والمطارات ، وتشييد السدود للسقي وتوليد الطاقة الكهربائية، وهذا ما تضطلع به وزارتنا للاشغال العموميه التي تضاعف في هذه السنة نشاطها ، سيما في الاقاليم الشمالية التي نسعى لجعل مرافقها مسايرة لمثيلاتها الموجودة في الجنوب ، وتجري الآن اعمال كبرى لبناء شبكة من الطرق ترمي الى ربط اجزاء هذه الاقاليم بعضها ببعض ، ووصل الشمال بالجنوب وصلا محكما .

وقد اولينا عناية كبرى للجهات الاخرى المتخلفة فعملنا على تجهيز قراها وزودناها على الخصوص بالتيار الكهربائي ، كبورد ، واجدير ، وتيزي وسلي ، وتحنوت وتغزيرت ، وسيدي اسماعيل ، وعين الجمعة ، وطاطا ، واقا ، وتيلوكيت .

وتجدر الاشارة الى عملية البناء والتعمير ومحاربة مدن القصدير التي تجري وفق تصميم محكم تنفذ حكومتنا احد شطريه ، وينفذ الافراد بمساعدة الحكومة شطره الثاني ، وقد اعتمدت الحكومة فيما يخصها مبلغ ستة ملايير فرنك من ميزانية 1958

وتقوم وزارة البريد باعمال تجهيزية مماثلة في ميادينها الخاصة ، فهي لا تنفك تقوى اجهزتها وتوسعها

وتمدها الى اقصى القرى والمراكز ليعم النفع بها سكان البادية مثل سكان الحاضرة ، كما انها لا تنفك جادة في مغربة مصالحها واعداد الموظفين الكفاة لها ، ومن بين موظفيها يوجد الآن واحد وستون يتلقون بالخارج دروسا فنية صحيحة، ومائتان وثلاثة وسبعون يتلقون دروسا مهنية بالمغرب . كما جرى تعريب العمليات البريدية ، واستعادت الدولة سيطرتها الكاملة على وسائل المواصلات ، فاصبح البريد في المغرب وطنيا موحدا .

اما الاذاعة الوطنية فهي عاملة باستمرار على تقوية اجهزتها لتسمع في الداخل بوضوح ، وتوسيعها ليبلغ صوت المغرب الى آفاق بعيدة ، ومن منجزاتها الاخيرة اذاعة موجهة الى مواطنينا بالصحراء ، واخرى الى اخواننا بالشرق .

※

وقد حرصنا على ان تستفيد العملة من التطور الاقتصادي والتقدم العمراني ، لان سياستنا الاجتماعية تهدف الى التوفيق بين التطور الاقتصادي والتشريع الاجتماعي ، وفي هذا الصدد اصدرنا تشريعات لوقاية العملة من الآفات والاخطار التي تهددهم واسرهم حاضرا ومستقبلا ، من ذلك النصوص التي تحدد شروط تشغيل العملة الفلاحين وتضبط اجورهم ، والنصوص المتعلقة بصندوق الضمان الخاص بالمصابين بحوادث الشغل .

وغير خاف ما للتعليم من اثر فعال في التطور الاقتصادي ، والتقدم الاجتماعي ، فمنذ استرجاع الاستقلال اصبح للتعليم في بلادنا هدفان : هدف عام يتلخص في تعميم نشر الثقافة بين جميع الذكور والاناث الذين هم في سن التعلم ، مع محاربة الامية بين صفوف الكبار عن طريق التربية الاساسية .

وهدف مستعجل هو تكوين الاطارات الادارية والفنية والمهنية ، لتصبح المرافق الوطنية مسيرة بايدي المواطنين ، وهذا ما حدا بنا في هذه السنة الى اعادة النظر في مقاصد التعليم ، وبرامجه ، ومناهجه ، واعطاء الاسبقية للتكوين المهني والفني ، وتعيين وكيل بوزارة التهذيب لهذا الغرض ، فقام باحصاء عام لجميع حاجات البلاد الحاضرة والمستقبلة ، واحصاء تلاميذنا بالمدارس الثانوية ، وعلى ضوء عمله هذا ، وضع تصميم محكم لتوجيه الطلبة توجيها اجباريا لمدة معينة نحو الاختصاصات المستعجلة بالنسبة لحاجة البلاد والصالح العام ، ولا جرم ان احترام هذا التصميم ، وتطبيقه حق التطبيق ، مع ما فيه من تضحيات تدعو اليها الضرورة الوطنية الحيوية ، سيضمنان تحرير البلاد ، فلا تبقى عالة على غير ابنائها ، وفي الوقت نفسه ، لم نهمل رسالة التعليم الاساسية التي هي نشر الثقافة فضاعفنا الجهود لتكوين اكبر عدد من المعلمين ، حتى يمكن لمدارسنا ان تستوعب جميع طفولتنا ، وتقدم اليها تعليما مغربي النزعة ، عربي اللغة ، اسلامي الروح ومع قلة امكانياتنا في هذه السنة ، فتحت المدارس ابوابها في وجوه ستين الف تلميذ جديد في الابتدائي ، ينتمي معظمهم الى الاوساط البدوية ، وعشرة الاف تلميذ في سادسة الثانوي

وقد يسرنا سبل التعليم العالي على طلبته بتاسيس جامعة عصرية بالرباط ، اما المعاهد الدينية التي ما زالت موضع اهتمامنا وعنايتنا ، فاننا حريصون على ان تؤدي رسالتها في المحافظة على الثقافة الاسلامية ونشرها ، وتكوين الاطارات الضرورية لمجتمع اسلامي كمجتمعنا ، تحرص كل الحرص على ان يواصل تطوره متمسكا بقيم الاسلام وتقاليده .

وفي هذا الميدان قامت وزارة الاوقاف بارشاداتنا وتوجيهاتنا ببناء عدة مساجد وخصوصا في مناطق الاطلس والصحراء والريف .

وبالاضافة الى ما تقوم به مصلحة الشبيبة والرياضة من اعمال في ميادين نشاطها المعهود ، فقد بذلت هذه السنة جهودا ملحوظة لنشر الثقافة الشعبية وذلك باحداث نواد للشبيبة في كثير من المراكز البدوية .

※

ولا يقل اهتمامنا بالحالة الصحية ببلادنا ، عن اهتمامنا باحوالها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لان رفاهية البلاد لا تتطلب ازدهار الاقتصاد وثقافة العقول وحدها ، بل تتطلب كذلك سلامة الابدان ، وقد شاهدت هذه السنة تحولا في الميدان الصحي ، ويتجلى ذلك فيما شرعت فيه وزارة الصحة العمومية من انشاء مستشفيات صغيرة كثيرة بالقرى ، تخصص للاستشارة والعلاج المستعجل ، لتبقى مستشفيات المدن موقوفة على العمليات الكبرى والعلاج الطويل ، ومن جملة القرى التي فتحت بها مستشفيات مجهزة احدث تجهيز هذه السنة ، تيدرس وحدكورت وتفغير وزاكورة .

وقامت الوحدات الطبية في جميع انحاء البلاد باجراء الفحص الجماعي لسكان عدد كبير من الاحياء والقرى الى جانب ما قامت به من حملات تربوية طبية ، لتلقين مبادىء العلاج ، والتنبيه الى مناشىء الامراض .

ولما كان بناء المستشفيات وتجهيزها لا يجديان نفعا الا بوجود من يحسن تسييرها ، واستعمال اداتها ، واصلت الوزارة عملها لتكوين اطار فني واداري وبنت لهذا الغرض مدارس بمستشفيات الرباط ومراكش والدار البيضاء وفاس ، وقد خرجت هذه المدارس خلال الشهور الماضية (147) ممرضة ، كما قبلت في اول اكتوبر الماضي (325) من التلاميذ ، وان اقبال (284) تلميذة عليها ، لدليل على ان الفتاة المغربية فهمت الرسالة التي يتعين عليها ان تؤديها نحو المجتمع ، ولبت النداء الذي وجهناه اليها ، مقتدية بابنتنا الاميرة مليكة .

ان مجهود الحكومة في الميدان الاجتماعي ، وخصوصا ما يتعلق بالاسعاف لا يكفي اذا لم يكن معززا بمجهود شعبي ، لهذا اسسنا منظمة التعاون الوطني للقيام بوجوه البر الذي حض عليه الدين ، ووعد القائمين به والعاملين عليه بالاجر العظيم ، وقد اعتكفت ابنتنا الاميرة عائشة على تسيير هذه المنظمة التي برهنت على حيويتها وفعاليتها في كل المناسبات ، كما قامت بامرنا باسفار عديدة الى مختلف المدن والقرى، كفيكيك وبركان، والناضور وكولمين ، مفتشة لجمعيات البر ، مشرفة على اعماله ، مدشنة لمؤسسات جديدة، كمراكز ابناء الشهداء الذين قررنا ان تكفلهم الدولة، فتقوم بتمويل مراكز ايوائهم، وتسييرها، والاشراف عليها ، زيادة في العناية بهم والبرور بآبائهم .

ولا غنى لبلد يطمح لحياة مستقرة مهذبة عن جهاز قضائي ، كفيل بصيانة حقوق الافراد والجماعات ، وجعلهم في مأمن من الجور والاستبداد ، صالح في آن واحد ، لحل ما يحدثه التساكن في مجتمع عصري من مشاكل مدنية واقتصادية ؛ لذلك امتازت هذه السنة بنشاط تشريعي ، عززت به المراحل التي قطعناها في الميدان القضائي ، فقد حضرت عدة نصوص ، كقانون المسطرة الجنائية ، وقانون الجنسية الذي هو حدث هام واحد مظاهر السيادة ، ومدونة الاحوال الشخصية ، وفضلا عن ذلك الفنا من رجال القانون وممثلي المصالح الحكومية لجنة لمراجعة التشريع الذي صدر في العهد البائد ، وتنقيحه وتكميله بما يجعله مناسبا لعهد الاستقلال .

*

شعبنا الوفي :

تلك اهم الاهداف التي بعون الله وتوفيقه حققناها ، والمشاريع التي نفذناها ، ولا ريب انها عظيمة جزيلة ، خصوصا بالنسبة لبلاد كبلادنا لم يمض على استرجاعها للاستقلال ثلاث سنوات ، ولم يكن لها في هذا الظرف من الزمن الا وسائل محدودة . على ان ما بقي علينا ان نقوم في المستقبل بانجازه وتنفيذه اوسع واعظم ، وهو ما يتطلب منا مواصلة العمل ومضاعفة الجهود بنفس روح التضحية والحماس التي تغلبنا بفضلها في الماضي على الصعاب .

ان سيادتنا لا تكون كاملة ، واستقلالنا لا يكون مصونا ما دامت الجيوش الاجنبية مرابطة فوق ترابنا ، لذلك سيكون في مقدمة ما نهتم به ونعمل لتحقيقه ، جلاء الجيوش الاجنبية .

وبنفس العزيمة سنواصل المساعي لتحقيق الوحدة الكاملة لمملكتنا باسترجاع المناطق المغتصبة منها .

ولكن اشتغالنا بقضايانا القومية لن يصرفنا عن العمل لتحقيق امنية غالية : وهي تشييد المغرب العربي .

كما سيكون في مقدمة مهامنا الداخلية على الخصوص :

اجراء انتخابات المجالس البلدية والقروية في اقرب وقت ممكن ، تمهيدا لاقامة المؤسسات التمثيلية التي نص عليها العهد الملكي ، واقرار حياة سياسية بممارسة الحريات العامة التي يكفلها الظهير الشريف الصادر بشأنها .

على ان الاحتفاظ بهذه الحريات ، وازدهار تلك الحياة ، كل ذلك يستلزم اقتصادا مزدهرا ، ونظما اجتماعية راقية ، وهذا ما تنتظره من التصميم الخماسي الذي سيهيأ في السنة المقبلة ، والذي يرمي الى تحرير اقتصادنا وتوسيعه ، وذلك بتقويم مقدرات البلاد واستغلالها بكيفية محكمة ، وتصنيعها وتجهيزها وفتح ميادين جديدة للشغل وتكوين اطارات مهنية وفنية كافية .

تلك منجزات الماضي ، وهذه اهم اهداف المستقبل ، اشرنا اليها مجملين ولم نتتبعها مفصلين ولا جرم ان الذي يسر علينا اعمالنا وقرب منا اهدافنا — بعد هدى الله وتوفيقه — هو ذلك الرصيد الخلقي الذي توافرت لنا فيه اغلى القيم وازكى الشيم الدينية والوطنية والذي عز به الاجداد وسادوا وبنوا وشادوا وحفظوا كيانهم ووجودهم ، رغم تقلبات الدهر ونكبات الايام .

لاكننا بدانا نحس — مع الاسف — ببعض الوهن يدب الى تلك الاخلاق وبشيء من الانحراف عن محجتها البيضاء فوجب ان نخاطبكم بالصراحة وما عهدتمونا منذ ثلاثين سنة الا صرحاء وتعين ان نطلعكم على واقع الحال شأن الاب مع بنيه ، وان نقول لكم ، ان الحوادث التي ببعض الجهات حدثت والخلافات والاضطرابات الاجتماعية التي ببعض المرافق وقعت ، من شأنها ان تفسد في الخارج سمعتنا ، وتعرقل في الداخل جهودنا المبذولة لخير شعبنا في مختلف الميادين .

فحذار من مثبطات الهمم ومحبطات الاعمال ، ورجوعا ايها الشعب الوفي الى التاريخ القريب لتدرك الموبقات التي كانت سببا في ضياع حريتنا ، منذ نصف قرن ، فانه ما عصف باستقلالنا ، وما الجح المكايد الاجنبية فينا الا الافتراق والاختلاف ، والتخاذل والتواكل والشك والتردد والتفاخر بالمدن والقبائل والشح بالنفس والمال ، ووقوف المواقف السلبية وتقديم المصالح الخاصة على المصالح العامة .

(ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد)

اننا اليوم احرار مستقلون ، مسؤولون بالسوية عن مصير البلاد ، وليس لاحد منا ان يتنصل من المسؤولية او يستصغر الاخطاء الفردية ، فعلينا وحدنا تقع تبعات الاضرار التي قد تلحق البلاد .

ينبغي ان يقتنع المواطنون بالحقائق ، ولا يتعللوا بالاوهام ، ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وان غروس الاستقلال لا تؤتي ثمارها بين عشية وضحاها ، بل لا يجني تلك الثمار الا ابناؤنا وحفدتنا ، اما نحن ضحينا بالامس في سبيل الحرية حتى استرجعناها — وكفى بها نعمة — ونبني اليوم صرح المستقبل السعيد الذي ينعم في ظلاله ابناؤنا ويسعدون .

شعبنا الوفي :

هذه كلمتنا اليكم صريحة ، على ان الحالة لا تدعو الى التشاؤم ولا تبعث على اليأس ، فالمستقبل امامنا مليء بالبشائر اذا نحن عبانا انفسنا لخدمة الوطن ، ووحدنا الصفوف واحسنا العمل ، وقد حذرناكم من الشر حتى لا تقعوا فيه نحن الذين حملنا اماناتكم في مقتبل العمر ، فانفقنا شبابنا في رعايتكم ، وكرسنا حياتنا للدفاع عن حقكم ، والسعي لرقيكم وتقدمكم ، وفدينا بحريتنا كرامتكم ، وهانت علينا التضحية بسعادة اسرتنا الصغيرة ، ولم تهن علينا ولن تهون التضحية بسعادتكم انتم اسرتنا الكبرى ، فمن واجبنا كراع مسؤول عن رعيته ان نحذركم من الضلال كما ندلكم على الهدى .

فعلى رعايانا الاعزاء ان ينظروا الى المستقبل بثقة وايمان ، ويقبلوا على العمل باخلاص وحزم ، ويكفوا الالسنة عن الانتقادات المغرضة ويعرضوا عن دعاة التفرقة ، لاننا جميعا اخوة ، لا فرق بين بدوي وحضري ، ولا بين ساكن الشمال وساكن الجنوب ، وعلينا ان نتمسك باخلاقنا الدينية والوطنية ، ونقيم العلائق مع ضيوفنا الاجانب على اسس الثقة والمجاملة والمودة ، وان نستديم النعم بشكرها ، ونحذر زوالها بالجحود ، فينطبق علينا المثل الذي ضربه الله للجاحدين (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)

نسال الله ان يجمع على الحق صفوفنا ، ويؤلف بالخير افئدتنا ، ويهدينا سبل رشدنا وفلاحنا ، ويسدد خطى اخواننا العرب والمسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، ويسبغ على جميع الشعوب اردية الحرية والتقدم والرخاء .

الرباط في 5 جمدى الاولى عام 1378

الموافق 18 نوفمبر سنة 1958 .



للاستاذ السيد أبي الاعلى المودودي
تعريب الاستاذ : محمد عاصم الحداد

ان كمال كل شيء فى اتصافه بصفة من الصفات على درجتين : اولاهما ان يكون بالغا النهاية فى اتصافه بتلك الصفة . وثانيتهما ان تكون تلك الصفة قد استحكمت فيه واشتدت حتى جعلته يؤثر فى غيره ويصبغه بصبغة نفسه ؛ فالثلج ، وهو موصوف بالبرودة بارد اشد البرودة فى حد ذاته فهو كماله الاول ، ومع هذا فانه يبرد غيره فهو كماله الثاني . والنار ، وهي موصوفة بالحرارة ، حارة اشد الحرارة فى ذاتها فهو كمالها الاول ، ومع هذا فانها تحرق غيرها فهو كمالها الثاني .

كذلك فان الكمال الاول للرجل الصالح ان يكون بالغا النهاية فى صلاحه الذاتي . وكماله الثاني ان يكون مصلحا لغيره بتأثيره فيه .

والكمال الاول للرجل الخبيث ان يكون بالغا النهاية فى خبثه ، وكماله الثاني ان يعدى هذا الخبث الى غيره ويصبغه بصبغته .

على هذه القاعدة الكلية ، فان الكافر والمؤمن لكل منهما درجتان فى الكمال ، فالكافر اذا كان راسخا فى عقيدة الكفر فهو على كماله الاول ، واما اذا كان مع ذلك يدعو الى عقيدته ويبذل السعي لصد الناس عن طريق الحق والانحراف بهم الى طريق الباطل ونشر الكفر والالحاد بقوة بيانه او ماله او سيفه ، فهو ينال الكمال الثاني ايضا .

وكذلك المؤمن اذا كان راسخا فى ايمانه كاملا فى طاعته للحق ، فهو على الكمال الاول من حيث اتصافه بصفة الايمان ، واما اذا قويت فيه تلك الصفة واستحكمت حتى بدا يدعو غيره الى الحق ويهيب به الى اتباعه ويحليه باخلاق الاسلام بتأثير من لسانه وقلمه واخلاقه وسلوكه فى الحياة أو قوة يده وساعده، فانه يدخل فى الكمال الثاني ايضا . وهذا ما تكرر فى جملة آيات من القرآن الحكيم ، وعلى لسان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عدة مرات . فقد قيل لاهل الكتاب فى سورة آل عمران بآية 98 : « **قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله** » ثم قيل فى الآية التالية : « **قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا** » .

فالواضح من هاتين الآيتين ان كمال الانسان الاول فى كفره ان يكون منكرا لآيات الله فى حد نفسه ، وان كماله الثاني فى كفره ان يكون داعيا الى هذا الانكار ، يصد الناس عن صراط الله المستقيم ويعرضهم على السبل المعوجة فى العقيدة والعمل . ثم ان الله سبحانه وتعالى يخاطب المومنين فى الآية المقبلة من هذه السورة نفسها ويبين لهم امرين ، اولهما : « **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » وثانيهما : « **ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون** » فهنا ايضا **قد** قيل ان للايمان كمالين : اولهما ان يكون المومن فى حد ذاته متقيا لله مطيعا لاحكامه واوامره الى آخر انفاس حياته معتصما بحبله المتين بكل ما له من قوة . وثانيهما ان يكون داعيا الى الخير آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر .

ثم ان هذا الكمال الثاني على مراتب متفاوتة :

لاشك ان الشمعة والكهرباء والقمر والشمس ادوات تضيء غيرها ، الا انها على درجات متفاوتة من حيث كمالها فى صفة الاضاءة ، فالشمعة لا تضيء الا حجرة صغيرة ، بينما تضيء الكهرباء بيتا كبيرا واسع الحدود ، ويضيء القمر الارض وما حولها من الفضاء ،

وتضيء الشمس عالما كبيرا وعالمنا الشمسي كله مضاء بضوئها .

فكذلك المومن اذا اضاء بنور ايمانه قلب رجل مثله ، فانه يدخل في مرتبة الكمال الثاني ، ولكن لا يكون ذلك الا ادنى مراتب هذا الكمال . ثم هناك مراتب مختلفة بعضها فوق بعض لقيامه بالدعوة في جماعة او شعب او قطر ، واعلى مراتب هذا الكمال ان تكون دعوته شاملة عامة للعالم الانساني كله ، فلا يسمع بوجود المنكر في مكان من المعمورة الارضية الا ويشمر عن ساق جده لمحوه واستئصال شافته ، ولا يعد نفسه مختصا بامة او قطر او حد جغرافي او نسلي بعينه . هذه هي اكبر مدارج كمال الايمان وارفعها . ولان الحق سبحانه وتعالى قد اراد المسلمين على غاية عليا ومطمح سام نزيه في كل شان من شؤون حياتهم ، ولم يعلمهم الجبن والوهن والاستكانة والتخاذل في امر امورهم ، فقد بين لهم في الآيات المقبلة من سورة آل عمران بيانا واضحا ان ليست غاية المسلم الفردية ولا الجماعية في حياته الا ان يستفرغ جهده لجعل العالم من اقصاه مشبعا للشريعة الالهية البيضاء ، ففي ذلك قوله سبحانه وتعالى :

((كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله)) .

وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية ، وما منشا اختلافهم الا لفظة **((منكم))** الواردة فيها . تقول طائفة منهم بأن ليس «منكم» للتبعيض وانما هو للتبيين والتوضيح ، وتقول طائفة اخرى بأنه للتبعيض.

والذي تستدل به الطائفة الاولى ان الله سبحانه وتعالى قد كلف بالدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر كل فرد من افراد الامة بدون استثناء احد منهم . فمن الواجب على كل مكلف ان يدعو الى الخير ويامر بالمعروف وينهي عن المنكر بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح عنه ، فمعنى الآية اذن انكم امة تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، لان **((من))** في هذه الآية للتبيين والتوضيح كما هو كذلك في آية **((فاجتنبوا الرجس من الاوثان))** اي رجس الاوثان لا ما هو رجس منها فقط .

اما الذي تستدل به الطائفة الاخرى ، فهو امران: اولهما ان جزءا كبيرا من الامة مشتمل على النساء والاطفال والمرضى والقاعدين والعجزة ، ممن لا قبل لهم بالقيام بواجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وثانيهما ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة تستوجب عدة شروط لاتوجد في كل واحد من المسلمين ، ولابد لمن اراد القيام بها من العلم الصحيح بالخير والمعروف ، ومن استعداد خاص وحكمة بالغة وعقل سديد ، وان يكون بالغا الدرجة العليا من التقوى . فاذا تمت فيه هذه الشروط ، فله اذن ان ينصب نفسه للدعوة الى الله **((الامر بالمعروف والنهي عن المنكر))** .

ولكن من الممكن ان يزول هذا الاختلاف بكل سهولة اذا تأملنا في القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ونظرنا فيهما نظرة شاملة :

قد اثبتنا آنفا ان للمؤمن كمالين في ايمانه لابد من اولهما — وهو تقوى الله تعالى والاذعان لاوامره والاعتصام بحبله — لنفس قيام صفة الايمان في ذات المومن ، فمن المحتوم ان تكون ولو اي مرتبة من هذا الكمال متحققة في كل فرد من افراد الامة الاسلامية لانها اذا لم تتحقق فيه ، لايجوز ان يعد مومنا ، كما ان السراج لا يعد سراجا اذا لم يكن فيه ضوء ، وان الثلج لايكون ثلجا اذا لم تكن فيه البرودة وان النار لا تكون نارا اذا لم تكن فيها الحرارة . ومن ثم ، فان الله سبحانه وتعالى قد شمل المومنين جميعا بدون استثناء احد منهم بخطابه لهم : **((ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا))** فلا تبعيض البتة في هذه الآية بل فيها الشمول مع التوكيد ، مما هو دليل على انه من اللازم المحتوم على كل فرد من افراد الامة الاسلامية ان يكون متحليا بالصفات المذكورة في هذه الآية .

اما الكمال الثاني ، فهو كمال ثانوي ليس تحققه بضروري لمجرد كون كل مومن مومنا ، بل هو ضروري لكونه مومنا كاملا ذا مرتبة عليا . فباعتبارنا هذا الكمال لاتكون كل امة الا على احدى حالتين : اما ان تكون هذه المرتبة العليا متحققة في جميع افرادها ، او في طائفة منها حيث يكون سائر افرادها متصفين بالمرتبة الاولى وحسب . يقول عز وجل انكم اذا كنتم على الحالة الاولى اي صارت امتكم باجمعها منارة لهداية الدنيا آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر لكل اممها وشعوبها ، فانكم اذن خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله . واما اذا عجزتم عن القيام بهذه المرتبة العليا ، ولم تكن امتكم باجمعها متصفة بهذه الصفة ، فلتكن منكم على الاقل ، ولابد ، طائفة منتصبة لفريضة الدعوة الى الخير والامر

بالمعروف والنهي عن المنكر . ولاجل ذلك فان الاية الاولى فيها الشمول وليس فيها التوكيد ، والآيةالثانية فيها التوكيد وليس فيها الشمول .

ان هاتين الدرجتين لكمال الايمان ، اللتين قد تكرر ذكرهما آنفا ، انما هو درجتان من حيث الاعتبار فقط ، والا فما هما الا درجة واحدة ولا فرق بينهما في حقيقة الامر . فمن كان الايمان راسخا في قلبه وكان يتقي الله حق تقاته ، من المحال له قطعا ان يجد غيره مترديا في هوة الضلالة والانحطاط ثم لايحاول انتشاله ودعوته الى طريق الحق ، وان يعرف وجود المنكر في مكان ثم لا يبذل جهده وروحه لمقاومته ومحوه وقطع شأفته ، فان مثل المومن في طبيعته كمثل المسك لاتبقى رائحة الايمان محدودة في جرمه ، بل تفوح منه الى حيث تستطيع ، او ان مثله كمثل السراج ، فهو اذا اتقد مرة بنور الايمان نشر اضواءه في كل جانب مما حوله من الفضاء . والمسك ما دامت فيه رائحته ، لايزال يعطر حواس من يستنشق عبيره ، والسراج ما دام متقدا ، لاينفك يضيء ما حوله من الفضاء ، ولكن اذا فقد المسك عبيره بحيث لايشعر به حتى من يستنشقه من قريب ، واذا فقد السراج ضوءه بحيث لايضيء اقرب ما حوله من الفضاء ، فلابد ان يحكم كل انسان بان ليس المسك مسكا ولا السراج سراجا . وهكذا فان المومن اذا لم يدع الى الخير ويامر بالمعروف ورضي بالمنكر ولم ينه عنه ، فان ذلك لدليل على ان جذوة تقوى الله قد انطفات فيه وان نور الايمان قد ذوى في قلبه ، ومن ثم قال النبي صلى الله عليهوسلم **«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان»** وقال في حديث آخر : **«وليس وراء ذلك حبة خردل من الايمان»** ومن ثم قد عد القرآن الكريم من صفات المومنين العامة انهم يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقال : **«والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر »** وقال : **« التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله »** . وقال **« الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »** .

واما ان قيل على هذا ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كان من صفات المومن اللازمة ، فلماذا قد اقتصر على جعله فرض كفاية ولم يشدد في بابه حيث اذا قامت به طائفة من الامة برئت كلها من المسؤولية ؟ فالجواب على هذا ان الله العليم الخبير لم يكن يخفى عليه ان المومنين سيضعف ، ولا يزال يضعف ، ايمانهم بعد عهد الرسالة ، وانهم سيظلون يتحدرون الى الانحطاط مع مرور الزمان حتى ليأتي عليهم زمان سيوجد فيه على وجه الارض مآت الملايين من افرادهم ، ولكن لايكون في سراج ايمانهم من القوة ما يضيئون به ما حولهم من الفضاء ، بل قد يخشى على نورهم ان تطفئه غلبة ظلمة الكفر واعاصير الضلال فلمثل هذه الظروف قد اوجب على المومنين بكل توكيد ان لاتنعدم فيهم بحال من الاحوال جماعة تدعو الى الخير وتامر بالمعروف وتقف في وجه المنكر وتقاوم كل محاولة لترويجه وتنفيذه ، لانه اذا لم تكن فيهممثل هذه الجماعة ، لاينقذهم من عذاب الله شيء ابدا . وهذا ما قد جاء بيانه في عدة مواضع من القرآن الحكيم . ففي سورة المائدة مثلا **«لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون»** (الاية : 78 ـ 79) وفي سورة هود **« فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين ، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون»** (الاية : 116) . وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال **«ان الله لايعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه . فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة»** . وقال في حديث آخر **«والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ، ولتنهن عن المنكر ، ولتاخذن على يدالمسيء ولتطرنه على الحق اطراء ، او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ، او ليلعنكم كما لعنهم»** .

فالظاهر من كل هذا ان التبعيض في آية **«ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ...»** ليس بمعنى ان المسلمين انما تطلب فيهم جماعة تقوم بواجبالدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بحيث اذا قامت بهذا الواجب لم يعد واجبا على غيرها من افراد الامة وانما معناه ان من الواجب ان لاتخلو الامة باي حال من الاحوال من جماعة ـ على لاقل ـ تسهر على انارة سراج الحق والخير ودفع ظلمة الشروالباطل فانه اذا لم تكن فيها ولا جماعة كهذه الجماعة ، فمن المحال لها البتة ان تسلم من عذاب الله ولعنته فضلا عن ان تكون خير امة اخرجت للناس .

ابو الاعلى المودودي
تعريب : محمد عاصم الحداد

حول مقال

الندوة الدولية للاسلاميات

للاستاذ: محمد المبارك
عميد كلية الشريعة
بجامعة دمشق

... وبعد ، فقد اطلعت على مقال نشرتموه في في عدد ربيع الاول في مجلتكم الغراء ، كتبه المحجوب ابن ميلان ، احد اعضاء الوفد التونسي الى مؤتمر الدراسات الاسلامية الذي عقد في مدينة لاهور في الباكستان في اواخر عام 1957 وقلتم انكم آثرتم نشر المقال بعد ان تريثتم بسبب عبارات غير لائقة وردت فيه ، ثم آثرتم نشره لفتح المجال للرد عليه .
ولما كان المقال قد تضمن تشويها للحقائق وتعريضا بشخصيات علمية معروفة في العالم العربي والاسلامي، كالاستاذ محمد ابو زهرة وكيل كلية الحقوق بالقاهرة ، والاستاذ مصطفى الزرقا استاذ الشريعة والقانون المدني في كلية الحقوق بدمشق ، وهما من اعلام الفكر واركان الشريعة والقانون ، ولهما من المؤلفات الابداعية القيمة ما يقف امامه كاتب المقال موقف التلميذ الصغير ، لذلك رايت من واجبي تصحيح الحقائق ، والزام المتطاول حده ، واعطا ءصورة صادقة عما جرى في المؤتمر ، مما يمس الموضوع ، ويوضح الباعث الذي دفع كاتب المقال الى هذه الكتابة التي تفيض حقدا على الوفدين السوري والمصري .

ان من السهل ان يفهم القارىء سر هذا المقال والدافع اليه بعد ان يعرف الوقائع التالية : فقد كان يعهد في كل جلسة من جلسات المؤتمر الى رئيس وفد من الوفود المشتركة فيه ، واذ كان رئيس الوفد التونسي المرحوم السيد علي البهلوان غائبا ، فقد تصدى السيد محجوب لتراس الجلسة مع وجود العالمين الفاضلين الشاذلي النيفر والفاضل بن عاشور وافتتحها بكلمة طالب فيها الاعضاء المؤتمرين ــ وجلهم من الشخصيات العالمية من مسلمين ومستشرقين ــ **ان يبتعدوا عن الاسفاف في مناقشاتهم** (كذا ! ! !) وما ان خرج لفظ الاسفاف من فيه هذا المخرج القبيح حتى استعذبه ، كانه وقع على لفظ او معنى مبتكر ، واخذ ينهى الاعضاء عن **الاسفاف** في البحث والمناقشة حتى اثار جوا عاما من الاشمئزاز والاستنكار ، وقام عدد من الوفدين السوري والمصري من امكنتهم محتجين مستنكرين لهذا الخروج عن آداب اللباقة في مثل هذه الندوة ، وقام الدكتور عبد الوهاب عزام وطلب اليه ان يسحب كلمته ، فسحبها بعد تلكؤ وتردد لعدم فهمه سبب الاحتجاج ! وقد سبب ذلك امتعاض اعضاء الوفود عموما والتونسي خصوصا الذي خجل من فعلته المنكرة ، ولما قدم رئيس الوفد التونسي بعد ذلك وعلم بالحادث اعتذر كثيرا ، واكد ان ذلك لم يكن عن سوء قصد ، بل عن عدم معرفة بمعنى اللفظ وخاصة في هذا المقام ، ذلك هو سبب حقد ابن ميلاد على الوفدين المصري والسوري اللذين اخذ يعرض بهم ويرميهم بشتى الاقاويل .

اما المؤتمر فقد كان مظهرا رائعا للوعي الفكرى الاسلامي ، انقلب فيه الوضع القديم الذي كان يقف فيه المسلمون من المستشرقين موقف التلاميذ الصغار ، ويقف المستشرقون موقف الاستعلاء والاعتزاز بعلوم ومناهج في البحث لا يحسنها المسلمون ، لقد انقلب هذا الوضع راسا على عقب ، فقد كان المؤتمر مسرحا لصراع فكري جذاب بين الفكر الاسلامي الحديث الذي استكمل اسباب القوة في مادته العلمية وطريقة البحث والعرض، ونتاج المستشرقين وتفكيرهم الذي اخذ يبدو بعض نقائصه ، سواء في سوء الفهم او نقص الاطلاع او مخالطة الهوى والغرض للبحث العلمي .

واذا تركنا جانبا بعض الابحاث السطحية التي لم تكن ذات قيمة علمية تذكر ، فان المؤتمر انشطر شطرين ، يقف في احدهما المستشرقون والغربيون بوجه عام في فهمهم الخاص للاسلام والشرق ، وآرائهم المنحرفة او المخطئة او المبنية على الاهواء ، ولم يخل هذا الفريق من بعض المنصفين المخلصين للعلم ولكن دون ان يكون فيما قدموا ابداع او عمق في التفكير ؛ واما الفريق الآخر فقد وقف فيه علماء من المسلمين تمثل فيهم النضج والفهم الصحيح والفكر العميق ، وظهرت في ابحاثهم ذاتية الاسلام وخصائصه العميقة، وتجاوزوا تلك المرحلة التي كان الاسلام يقف فيها كالسائل يستجدي من الغرب وحضارته الحكم بصلاحه ورقيه عن طريق المقاييس والقيم الغربية نفسها ، فلقد وقف امثال الاساتذة ابي الاعلى المودودي ، والدكتور عبد الله العربي ، والدكتور محمود حسب الله ، والاستاذ مصطفى الزرقا ، والدكتور علي حسن عبد القادر ، والدكتور محمد البهي ، والمرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز موقف كبار الاساتذة الاختصاصيين الذين يستفيد منهم المستشرقون وغيرهم في المسائل المعروضة للبحث ؛ وكان في المؤتمر بعض الشبان الاغرار الذين لا يزالون ينظرون الى المستشرقين نظرة التقديس ، ويشعرون امامهم بالصغار لضآلة حظهم من الثقافة الاسلامية ، ويقلدونهم ويتبعونهم في كثير من آرائهم الخاطئة .

والغريب ان يصف كاتب المقال المستشرقين بدقة البحث والاخلاص للحق والحرص على الجوهري، في حين أن من هؤلاء من عمد الى تركيز وتوجيه خبيثين ، فزعم ان الوحدة بين الاقطار الاسلامية مفقودة ، وان المفارقات بينهم والخصائص الاقليمية والقومية اكثر واغلب من الخصائص والصفات المشتركة بغية تمزيق الشعور المشترك بين اجزاء العالم الاسلامي ، وهذا هو الاستاذ (فون كرونيباوم) المستشرق الامريكي اليهودي .

ومنهم من قال بعدم وجود « فن اسلامي » ومنهم من قال ان الشعر الاسلامي ولد في ظلال لعنات القرآن ، وان مرد الشعر الذي هو مزيج من الدعارة والدين الى الشعر القديم ، ومنهم من خلط خلطا عجيبا في موضوع الاجتهاد والسنة يدل على نقص كبير في الاطلاع على الموضوع . والغريب ان اكثر هؤلاء من المستشرقين انفسهم ان لم اقل كلهم رجع عن رأيه بعد النقد او عدله واعتذر عنه او اوضحه ايضاحا يزيل ما فيه من انحراف او سوء فهم ، وان يبقى امثال السيد محجوب مدافعا عنهم بما لم يدافعوا به هم عن انفسهم ، وان يكون متعصبا لهم ولآرائهم الخاطئة والطاعنة في الاسلام وتاريخه او في المسلمين .

ولقد شهدت بعيني احد هؤلاء المستشرقين يتبع الاستاذ مصطفى الزرقا ويطلب اليه ان يوضح له بحث الاجتهاد ، ويعتذر عما بدر منه من تصور في معالجة البحث الذي القاه في هذا الموضوع .

ان هذا الكويتب ابن ميلاد المعجب بالمستشرقين والامريكيين والباحثين من اليهود ، هو نفسه الذي يتطاول على العالم الاسلامي المنتج الاستاذ محمد ابو زهرة ، ويلقبه مستهزئا (بالفقيه المصري) لانه ممن ثاروا على قلة الادب التي صدرت من ابن ميلاد بحق اعضاء المؤتمر ، وطالبوا بسحب كلمته .

لقد صنف الكاتب في مقاله المشاركين في المؤتمر اصنافا ثلاثة احدها يمثل « العقول التي هي من عهد الاقلاس » على حد تعبيره ، وثانيها «العقول التي هي من العهد الجديد » ويضع نفسه طبعا في هذا الصنف ولو خجل من التصريح ، وثالثها العقول المخضرمة التي وصفها بالحيرة والنفاق والجبن .

وليسمح لي صاحب المقال ان اقدم تصنيفا آخر للمساهمين في المؤتمر : ففريق كان يمثل الفكر الاسلامي الحديث وعيا وعمقا ؛ ذلك الذي يجمع بين فهم الاسلام في جذوره واتجاهاته العميقة الاصلية ومناهج البحث الحديث والقدرة على عرض المشكلات على صعيد فكري عال وبمقاييس يستطيع الغربي فهمها وادراكها ، وفريق آخر كان عاديا في تفكيره لا يخرج عن المعروف المألوف في عرضه وبحثه للموضوعات لكنه حين لم يكن عميقا او مبدعا في بحثه لم يكن كذلك شاذا او منحرفا ، وفريق ثالث سطحي مقلد لا يزال يشعر بالهوان والاستصغار لنفسه ولامته وتاريخه ، وبالتقديس لكل ما يصدر عن الغرب ولو كان في ذلك طعن في الاسلام وتاريخه وانكار للنبوة والوحي او دس على تاريخ الامة العربية والحضارة الاسلامية او انكار لصلاح الاسلام للحياة ، وقد مثل هذا الفريق فئة من المنتسبين الى الاسلام ، ومنهم صاحب المقال ، وشاب باكستاني مدفوع من قبل بعض المستشرقين ، اسمه (داود رهبر) انكر الوحي وادعى ان الرسول صلوات الله عليه لم يأت بعد الوحي بشيء لم يكن يعرفه قبل الوحي ، وأتى بآراء كانت مثارا للنقد الشديد والاستنكار من جمهرة الحاضرين .

ومن الغريب ان يزعم صاحب المقال انني لم افهم ما قاله المستشرق كرونيباوم ، وهو من مهاجري اليهود الالمان الى امريكا ، وان ردي عليه دل على جهل تام بما قاله ، وان لا يقول احد هذا القول بعد ان رددت عليه حتى المستشرق نفسه الذي اعتذر عما فهم من مقاله وعدل موقفه (كما هو مسجل في محاضر جلسات المؤتمر التي ستطبع) ومن العجيب ان يزعم لنفسه العلم ويصفني بالجهل في الموضوعات الفلسفية وقد درسنا في زمن واحد في جامعة السوربون في باريز ، حيث درست الادب والفلسفة على كبار اساتذتها وتخرجت منها .

ولكن الفرق بيني وبينه ان ثقافتي العربية الاسلامية عصمتني من الوقوع تحت سلطان المستشرقين ، وبعثت في روح الاعتزاز بالاسلام والعروبة ، والحذر من دسائس الاجانب والمستعمرين ، وفقد هو كل هذه العناصر .

ان موقف كثير من الوفود الاسلامية ولا سيما الوفدين المصري الذي كان يراسه الدكتور عبد الوهاب عزام ، والسوري الذي يراسه الشيخ بهجة البيطار ، في الوقوف امام الحملات السياسية والدينية والفكرية التي شنها بعض المستشرقين والاجانب واذنابهم ، كان مدعاة للفخر والاعتزاز ، وسببا لحقد الشعوبيين وعبيد المستعمرين والاجانب ، والذين اعطوا الذلة من انفسهم طواعية . وكان هذا المقال الذي نشر في مجلة (دعوة الحق) نفثة من هذه النفثات المسمومة التي كان يجب ان تبرأ منها هذه المجلة ، وان تتنبه لما فيها من دس استعماري رخيص ، ولا سيما وان الذين تعرض لهم المقال هم من اوائل الذين طلبت منهم المجلة نفسها بالحاح مباشر ، وعن طريق السفارة المغربية في دمشق ، ان يساهموا فيها ويمدوها بانتاجهم العلمي ، وقد لبى بعضهم دعوتها ، فالواجب يقضي عليها ان تصحح موقفها وان تنشر هذه الكلمة غير منقوصة ، ولاسيما انها تصدر عن (وزارة الاوقاف) في مملكة عربية اسلامية ، يحتل فيها الاسلام — المهاجم في المؤتمر من سادة المحجوب من المستشرقين والاجانب — المكان الاول ، واننا اعتبرناها عندما انشئت بارقة امل اسلامي عظيم في المغرب المحجوب ، لذلك كان يحسن بالقائمين عليها حين راوا آراء الحقد والغرض في المقال ، ان يتصلوا ببعض من كانوا غرضا للهجوم ، او ان يتصلوا بالاستاذ العربي بناني ممثل المغرب في المؤتمر ، ليعرفوا سبب الحملة الطائشة ، حتى اذا اتضح لهم السبب ضربوا بالمقال وجه صاحبه ولم يسودوا به صحائفها لا ان ينشروه ويشكروه عليه .

محمد المبارك



منظر ماخوذ من الطائرة لمدينة تطوان ، قاعدة شمال المغرب . وقد اختيرت في هذه السنة لاقامة الاستعراض العسكري بمناسبة عيد الانبعاث .

الموارد المالية في دولة الاسلام

للأستاذ :
محمد الطنجي

- 2 -

نتناول في هذه الكلمة نظام الزكاة في الاسلام وهو من تتمة الموارد المالية في دولة الاسلام التي تكلمنا عليها في العدد السابق من دعوة الحق .

ونظام الزكاة الذي نلقي عليه اليوم نظرة عابرة له جانب الجباية ويشمل الاشياء التي توخذ وتجبى الزكاة منها ، وتحديد وقت اخذها والقدر التي يدفعها مالك تلك الاشياء وتسمى زكاة شرعية ، كما ان الجانب الاخر جانب صرف الزكاة في المصارف المشروعة ونظام الزكاة في مجموعه جباية ومصرفا طبق تطبيقا اختلف باختلاف اطوار التاريخ التي مرت على الحكومات الاسلامية المتعاقبة في كل قطر من اقطار الاسلام .

وبما ان الزكاة تمس ناحية الاعتقاد من جهة انها حق فرضه الله في المال وكانت جبايتها وظيفة شرعية يامر بها امير المومنين وتجبى وتؤخذ لبيت مال المسلمين اي للخزينة العامة وقد اهملت هذه الوظيفة في كثير من الامم الاسلامية حيث ترك الناس احرارا في اخراج زكاة اموالهم او عدم اخراجها ، فقد اصبحت تكون عقدة نفسية عند كثير من المومنين الذين يريدون ان يؤدوا زكاة اموالهم على الطريقة الشرعية .

كما انها من جهة اخرى اصبحت تكون مشكلة اقتصادية عويصة الحل عند هؤلاء لانهم يدفعون ضرائب للحكومة لا تسمى زكاة ولا تخضع لنظام الزكاة وقاعدته بحيث لا تثق النفوس بانها هي الزكاة الشرعية ولا تسمى زكاة في الواقع .

كما ان المكلفين بمالية الحكومات في الدول الاسلامية راوا ان نظام الزكاة حسبما حدده فقهاء الامصار قليل بالنسبة لقدره وموارده وخاص بالنسبة لمصرفه وسد حاجيات المجتمع الاسلامي فلم يكلفوا نفوسهم البحث في امكانيات تنظيمه جباية ومصرفا بتوسيع دائرة الجباية حتى تكثر الموارد وتوسيع دائرة مصارفه حتى تسد حاجات كثيرة مما تحتاج اليه الدولة من غير خروج في الناحيتين عن اصول التشريع الاسلامي فاذا وقع بحث نظام الزكاة طبق هذا الاتجاه الواقعي تحل العقدة النفسية لاولائك المومنين وتسوى المشكلة الاقتصادية بحيث يكتفي بأخذ الزكاة من الفلاحين والتجار والملاك والموظفين اخذا واحدا يغني عن ترتيب الضرائب عليهم فتكثر الموارد كثرة بينة ومفيدة لخزينة الدولة كما تبين من جهة بحث المصارف وتوسيع دائرتها انها ستسد كثيرا من حاجيات المجتمع والدولة ونستطيع في نفس الوقت ان نفاخر ونعتز باننا استطعنا ان نجعل قاعدة الزكاة حية عملية تساير تطور الحياة الحاضرة وتسد حاجات هامة في مجتمع اسلامي يكفل المصلحة الدينية ويحافظ على جميع القواعد الخمس التى منها الزكاة ويحقق العدالة الاسلامية بين جميع افراده ، ولا ارى باسا اذا خرجت في هذا التوجيه عن آراء جماعة خاصة من المومنين الى آراء جماعة خاصة منهم لان الكل على هدى من ربهم وانني التزم ان لا اخرج عن اصول التشريع الاسلامي وعلى ذلك اقول :

ان الزكاة من الموارد الهامة ومن القواعد الخمس التي قام عليها الاسلام ، والقرآن الكريم يشتمل على آيات كثيرة تأمر بالزكاة وتحض عليها ، الا ان وقت اخراج الزكاة لم تحدده الآيات الا في بعض الانواع كقوله تعالى : واتوا حقه يوم حصاده ، وتبعا لذلك يقول خليل في مختصره الفقهي والوجوب بافراك الحب

وطيب الثمر ؛ اما بالنسبة للاموال المقتناة او المستفادة والمكتسبة فقد اختلفت انظار الفقهاء والمحدثين فى وقت اخذ الزكاة منها منذ عهد الخلفاء الراشدين ؛ وسبب هذا الاختلاف عدم ورود حديث عنها ثابت عن النبي فى تحديد وقتها بالضبط ، فبعض الفقهاء يشترط فى وجوب الزكاة فى المال البالغ لنصاب الزكاة ان يمر عليه الحول ، اي العام ؛ وهو فى ملك صاحبه ؛ وهذا هو مذهب الجمهور والاكثرية قال ابن رشد فى كتابه بداية المجتهد : واما وقت الزكاة فان جمهور الفقهاء يشترطون فى وجوب الزكاة فى الذهب والفضة والماشية الحول (اى مرور الحول اى العام عليها وهي فى ملك مالكها) قال لثبوت ذلك عن الخلفاء الاربعة ولانتشاره فى الصحابة رضي الله عنهم ، ولانتشار العمل به ولاعتقادهم ان مثل هذا الانتشار من غير خلاف لا يجوز ان يكون الا عن توقيف ، وقد روى مرفوعا من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول .

هذا مجمع عليه عند فقهاء الامصار وليس فيه فى الصدر الاول خلاف الا ما روى عن ابن عباس ومعاوية ، وسبب الاختلاف انه لم يرد فيه حديث ثابت عن النبي) ﻫ كلام ابن رشد ، وقد افادنا فى خاتمة قوله انه لم يرد فى تحديد وقت الزكاة حديث ثابت عن النبي (ص) كما ان ذكره لخلاف ابن عباس ومعاوية فى عهد الصحابة يفيدنا انه لم ينعقد اجماعهم على مرور الحول ، على ان قوله ان حديث ابن عمر روي مرفوعا معارض بقول الحافظ ابن حجر عند كلامه على هذا الحديث ! الراجح وقفه اي على ابن عمر وعدم رفعه للنبي (ص) . ومن جهة معناه فقد ذكر الحافظ بن حجر ايضا ان زيادة مرور الحول فى حديث على كرم الله وجهه معلولة اي غير ثابتة ؛ كما ان قول ابن رشد : وليس فيه فى الصدر الاول خلاف الا ما روي عن ابن عباس ومعاوية فيه قصور فان ابن مسعود ايضا ممن يقول بقولهما بل ذكر الصنعاني شارح بلوغ المرام : ان المخالفين جماعة من الصحابة والتابعين حيث كتب على حديث ابن عمر ما ياتي : والحديث دل على ان لا زكاة فى المال حتى يمر عليه الحول ؛وهو قول الجماهير وفيه خلاف لجماعة من الصحابة والتابعين وبعض الآل وداود فقالوا انه لا يشترط الحول لاطلاق حديث فى الرقة ربع العشر اي فى الفضة ، واجيب عنه بانه مقيد بهذا الحديث وما عضده من الشواهد . ويفيدنا الحافظ بن حزم فى هذا الصدد بانه توجد طريقتان لجماعتين من الصحابة فى قضية تعجيل زكاة المال المستفاد وتاخيرها حتى يمر عليه الحول قال الحافظ ابو محمد بن حزم صح عن ابن عباس ايجاب الزكاة فى كل مال يزكى حين يملكه المسلم .

وصح عن ابن عمر لا زكاة فيه حتى يتم حولا .

ثم قال ابن حزم بعد ذلك وممن روي عنه تعجيل الزكاة من الفائدة ابن مسعود ومعاوية وعمر بن عبد العزيز والحسن والزهرى .

وممن روي عنه لا زكاة فى مال حتى يتم له حول علي وابو بكر الصديق وعائشة ام المومنين وابن عمر ﻫ

وعلى هذا فالدين الاسلامي فرض الزكاة فى المال كمبدإ ووقع تحديد قدره بربع العشر فى الحديث ، اما تحديد وقت اخراج الزكاة فلم يرد فيه حديث صحيح ؛ الا ان كثيرا من الصحابة فمن بعدهم راوا ان يشترطوا مرور العام على ملك النصاب لتجب فيه الزكاة ؛ ورات جماعة اخرى من الصحابة فمن بعدهم وجوب الزكاة فى المال وقت اكتسابه ،الا ان الباحث يجد ان المذهب الاول تنتج عنه مشكلة من اعظم المشاكل ؛ وربما تكون هي الباعث على اهمال المتولين للشئون المالية فى الدول الاسلامية لنظام جباية الزكاة تلك هي اعفاء المال الكثير من الزكاة وفرضها فى المال القليل ؛ وذلك ما يضر بمصالح الدولة ومصالح الفقراء معا فاذا فرضنا قطعة أرض اغلت عشرين قنطارا من القمح وجب فيه العشر : قنطاران فى العام فاذا اكتراها مالكها بمائة الف فرنك فى الشهر واتفق هذا القدر قبل مرور العام عليه فى ملكه فلا يجب فيه شيء على هذا الراي وكذلك اذا بنى المالك لهذه الارض عليها ديارا كثيرة اغلت له مليونا من الفرنك شهريا وانفقه وبذره تبذيرا قبل مرور العام عليه ؛ فلا يجب عليه شيء من الزكاة فيه ؛ بينما الراي الثاني الذي يقول بوجوب الزكاة وقت اكتسابه يقول باخذ اثنين ونصف فى المائة من المائة الف ومن المليون وقت قبضه ويقول باخذ الزكاة حتى من اجور الجيش وجميع المواطنين اذا كانت اجورهم تبلغ نصاب الزكاة فتحتمل المواساة منها . واخذ الضرائب من جميع الاموال المحتملة للمواساة هو الذي تنتظم عليه الحياة ؛ اما اعفاء الكثير من المال من الزكاة واخذها من القليل فهو نظام غير عملى ؛ ولذلك لم يدم تطبيق نظام الزكاة واعترته فوضى شاملة فى كثير من العصور ؛ وفرضت ضرائب محددة الوقت معلومة

المقدار على المسلمين ، لان الحياة العملية تتطلب الحزم ودقة النظام وهذا ما تفعله الدول المعاصرة ، ولنا في هذا الاتجاه خير اسوة وقدوة ، اذ نجد شيخ الاسلام ابن تيمية الذي هو فخر المصلحين والمجددين للشريعة الاسلامية يقول جازما : تجب الزكاة في جميع اصناف الاجرة المقبوضة ولا يعتبر لها مضي حول (اي عام ، وهو رواية عن احمد ومنقول عن ابن عباس ه .

بل ان اخذ الزكاة من المال المستفاد في وقت استفادته دون مرور العام عليه نجده قد طبق في عصرين من ازهى العصور الاسلامية وهما : عصر معاوية ، وعصر عمر بن عبد العزيز ؛ قال ابن حزم خلال رده على المالكية بحجة اتباعهم لما فعله معاوية . وهم قد خالفوا معاوية في اخذ الزكاة من الاعطية ومعه ابن مسعود (ويعني اعطية الجنود اي مئونتهم فان معاوية كان يأخذ منها الزكاة وقت دفعها للجنود) كما كان عمر بن عبد العزيز يرى الزكاة في المال المستفاد حين يفاد كما مر .

فاذا نظرنا الى روح الاسلام وتضامن الجماعة الاسلامية وما امر الله به من التعاون على البر والتقوى ، ونظرنا الى ما استجد في العالم من استغلال الديار والفنادق والحوانيت التي تاتي بأعظم الغلات ونظرنا مع ذلك الى ان الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة لم يثبت فيها اشتراط مرور الحول على المال المكتسب نقول ان من نظر هذا النظر سيجد روح الاسلام العالية توحي الى القلوب المومنة باخراج الزكاة من الاموال الضخمة المستفادة لان الزكاة تحصين للمال وطهرة لصاحبه ، ولا يجد في نظام الزكاة في الاسلام اي قصور بل التقصير هو منا في عدم اداء الحق المعلوم للسائل والمحروم من اموالنا فاذا لم نؤده نخشى ان يشملنا قول الله تعالى : والذين يكتنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذا بأليم .

والله يوفقنا حكومة وشعبا لاداء الحقوق والقيام بالواجب والعمل للصالح العام .

محمد الطنجي



عيد العرش

الجماهير الشعبية تنصت الى خطاب العرش بالمشور السعيد بالرباط ؛ وذلك في يوم 18 نونبر المنصرم ، يوم الذكرى الحادية والثلاثين لارتقاء جلالة الملك الى العرش .

الرحالة المغاربة وآثارهم

للاستاذ محمد الفاسي
عميد الجامعة المغربية

- 2 -

وننتقل بعد ابن رشيد للكلام على شخصية من اهم اصحاب الرحلات ممن لهم شهرة ذائعة لما تمتاز به رحلته من الصراحة والنقد لاحوال البلاد التي زارها ونعني به ابا عبد الله العبدري ، وهذا الرحالة العظيم على الرغم من الشهرة التي يتمتع بها حتى ان نسخ رحلته المخطوطة منتشرة فى كل البلاد ، ولا تكاد تخلو منها خزانة ، لا نعلم من خصه بالذكر من القدماء سوى ابن القاضي فى جذوة الاقتباس حيث ترجمه بما يستفاد من رحلته لا غير ، لذلك لا يعرف لا تاريخ ولادته ، ولا وفاته ، ولا كيف نشأ ، ولا ما كان من اخباره بعد رجوعه من رحلته ، وهو فى هذا بخلاف سابقه ابن رشيد الفهري الذي نعرف عنه الشيء الكثير ، والذي توجد ترجمته فى كتب متعددة ولعل الذي حدا بالمؤلفين لاغفال ذكر العبدري ما كان يعرف به من لسان قاذع ، وعدم الاعتراف بالمزية لاحد الا ما كان من افراد قليلين ذكرهم خصوصا من اهل تونس مما جعل الناس لاشك ينفرون منه ويهملونه ، ولاكن ذلك لم يقد فى القضاء عليه ، لانه ضمن الخلود لنفسه بمؤلفه الفريد من نوعه ، لان هذه الرحلة وان كنا لا نشاطره الراي فى كل ما ذكره فيها عن اهل مصر مثلا ، وعن طرابلس الغرب ، فانها من ابدع ما الف فى هذا الفن .

والعبدري هذا من اهل بلاد حاحة ، واسلافه من العرب القرشيين من بني عبد الدار الذين نزلوا فى قبيلة حاحة البربرية التي تحيط بمدينة الصويرة ، والنسبة اليها حيحي على غير قياس ، اى كما يتلفظ بها اهل البلاد ، ولا مراء فى انه كان من اهل حاحة ، فهو دائما يذكرها ويحن اليها ، حتى انه لما وصل الى فاس فى رجوعه من سفره ، ادركه العيد فيها فقال :

قالوا تعيد فى فاس فطب فرحا
فقلت ما لي بها دار ولا عطن
فاس ومكناسة وطنجة وسلا
عندي (كزديك) (1) لا اهل ولا وطن

فهو لا يطيب فرحا بالتعييد فى فاس ، رغم جمالها واتساع حضارتها ، وكونها قاعدة المملكة ، ويفضل عليها بلاد حاحة ، لانها موطنه ومسقط راسه .

اذا علمتم هذا اشتد عجبكم ممن يقول : ان العبدري من (بلنسية) واول من رايته ينسبه لهذه المدينة الاندلسية احد المستشرقين الاسبان ابونس بويكس) فى طبقاته المؤرخين الاندلسيين ، وقد تابعه على ذلك مؤرخ الآداب العربية بروكلمان ، والشيخ محمد بن ابي شنب رحمه الله فى مقاله عن العبدري فى دائرة المعارف الاسلامية ، والمستشرق الاسباني اكونساليس بالنسيا) فى تاريخه للآداب العربية الاندلسية ، وجرجي زيدان ، وغيرهم ، ولم يذكر واحد منهم مستندا فى ذلك ، ولعل الخطا تسرب لاول من وقع فيه من كون عدد كبير من الادباء والعلماء من اهل الاندلس ، ينتسبون الى بني عبد الدار ، بل منهم عبدري رحل الى المشرق والف رحلة ، كما ان عبدريا ثالثا من اهل تلمسان رحل والف ، فالتبس هذا او ذاك او غيرهما بعبدرينا ، وجعل اندلسيا ، والحالة انه مغربي صميم ، يصرح بذلك فى مؤلفه ، وهو يعتز بالمغرب واهله ، ولا يتعرض مطلقا لبلاد الاندلس ، ولم تدعه نفسه لزيارتها ، بل أن قبره موجود الى الآن ببلاد حاحة ويعرف بسيدي ابي البركات .

اما رحلته فلا يسعنا ضيق الوقت لتحليلها ، وانما نذكر الطريق التي اتبعها فى ذهابه وايابه ، وذلك انه خرج من بلاده حاحة فى آخر سنة 688 على طريق البر من وراء الاطلس قاطعا المفازة التي بين جنوب المغرب ومدينة تلمسان ، ومنها قصد تونس داخلا لجل المدن التي على طريقه ، وهو يصف كل المحلات التي يمر بها ، ويذكر احوال اهلها ، واكثر اهتمامه بالعلم

(1) محل قاحل بطرابلس

والحركة العلمية . وقد قال فى مقدمته بعد ان ذكر انه سيستعمل الصراحة والانصاف فى هذه الرحلة ، وانه لا يعمد الى تقبيح حسن ، ولا تحسين قبيح : « وقد تعطل فى هذا العصر موسم الافاضل ، وتبدد فى كل قطر نظام الفضائل ، وتفرق اهلها ايادي سبا ، وصاروا حديثا فى الناس مستغربا » الى ان يقول « اوليس من الامر الامر الخارج عن كل قياس ، ان المسافر عندما يخرج من اقطار مدينة فاس ، لا يزال الى الاسكندرية فى خوض ظلماء ، وخبط عشواء . » ثم بعد هذا الوصف الاجمالي لحالة البلاد التي مر بها فى طريقه ، صار عندما يصل لكل مدينة ، يهتم قبل كل شيء بالحالة العلمية فيها . ولما وصل تلمسان ، ذكر انها مدينة جميلة المنظر : « واهلها ذوو لباقة ولا بأس باخلاقهم ، اما العلم فقد درس رسمه فى اكثر البلاد وغارت انهاره . » وقال مثل هذا فى مليانة والجزائر وبجاية ، مع انه صرح : « بان هذا البلد ، مبدا الاتقان والنهاية ، غير انه قد عراه من الغير ، ما شمل فى هذا الاوان البدو والحضر . » وصار على هذا المنوال من التاسف على ذهاب العلم من هذه الامصار ، الى ان وصل تونس فاعجب بها اعجابا كبيرا من سائر نواحيها ، واطنب فى مدح اهلها ، وفى الثناء على اخلاقهم ، مما يدل على انصافه ، اذ لم يمنعه استعداده للتنقيص من كل شيء ، والنظر بعين السخط الى الوجود ، ان يطري ما يستحق الاطراء ، فقال فى تونس من جملة كلامه : « وما من فن من فنون العلم الا وجدت بتونس به قائما ، ولا مورد من موارد المعارف الا رايت بها حوله واردا وحائما » . وقد طال فى ذكر من لقيه بها من العلماء والادباء واخذه عنهم ، بخلاف عادته فى الايجاز ، لانه قليل الفضول ، فلا يذكر من الاشياء الا ما تهم معرفته ، واستطراداته كلها فى محلها ، ولا تنسيه ما هو بصدده ، فلا يخرج كثيرا عن موضوعه ، ولا يبتعد عنه ويرجع اليه ، بعد استيفاء الكلام فيما قصد الكلام عليه .

ومن تونس قصد مصر على طريق البر ، مخترقا طرابلس ، وما خرج من مدينة تونس ، حتى انقلب ابتهاجه حزنا ، ورجع لمعهود عادته : من التفجع على ذهاب العلم . ولما وصل الى طرابلس ، صار اسفه غضبا واطلق للسانه العنان فقال : « ما للعلم بها عرس ، اقفرت ظاهرا وباطنا ، الى ان يقول فى اهلها : « كانهم من ضيق افهامهم لم يخرجوا بعد الى العالم فسبحان من خلقهم واهل تونس طرفي نقيض : اولئك فى الاوج ، وهؤلاء فى الحضيض » .

ولما وصل الى الاسكندرية اعجبه موقعها ومناظرها ومبانيها البديعة ، الا انه ما عتم ان قال : « بيد انها الآن ، بلد زادت صورته على معناه ، فهو كجسم حسن لا روح فيه » وتخلص من ذلك للكلام على نظام الديوانة القاسي ، وانتقده انتقادا مرا ، وهو يتفق فى هذا بالخصوص مع من سبقه من الرحالة ومن لحقه ، فقد اجمعت كلمتهم على انه كان لاهلها شره كبير فى اخذ المكوس ممن يمر بهم من حجاج بلاد المغرب بل وافقه على هذا ايضا شيخه وشيخ الاسكندرية فى وقته : نور الدين بن المنير ، فقد حكى العبدري انه ظن اول وهلة ان ذلك امر احدثوه ، حتى حدثه شيخه المذكور بما كان وقع لابن جبير قبله ، واوقفه على ما وصفه من ذم تلك الافعال الدنيئة ، وانشده قصيدة ابن جبير التي وجهها لصلاح الدين يذكره بحقوق المسلمين ، والتي من جملتها قوله :

يعنف حجاج بيت الاله	ويسطي بهم سطوة الجائر
ويكشف عما بايديهم	وناهيك من موقف الصاغر
وقد اوقفوا بعدما كوشفوا	كانهم فى يد الآسر

واما مدينة القاهرة ، فلم يكن حظها من تنقيص رحالتنا لها ولاهلها باقل من حظ الاسكندرية ، بل انه قال فيها ما لم يقله فى مدينة غيرها ، على كثرة ما راينا من انتقاداته ، ولكن ذلك لا يمنعه من استيعاب وصف مشاهدها وآثارها ، والكلام على النيل والاهرام وغير ذلك ، والتقى فيها باكبر علمائها فى ذلك الوقت وقال عنه : « ولم ار بهذه المدينة على كثرة الخلق بها امثل ولا اقرب الى الانسانية واجمل معاملة من الشيخ الفقيه شرف الدين الدمياطي » .

ومن القاهرة صحب الركب الرسمي برا على العقبة ، ودخل الحجاز ، فاطال فى وصف مكة المكرمة وامتع ، وبعد اداء الفريضة قصد مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم تمنعه قداستها من ان يقول على عادته : « ولم ار بالمدينة مع شدة البحث والحاح الطلب وتكرر السؤال من هو بالعلم موصوف ولا من هو بفن من فنونه معروف » . وكان رجوعه على طريق فلسطين ، فمصر ، ولم يغير طريق رجوعه من مصر الى المغرب ؛ الا انه لما وصل الى تلمسان ، لم يقصد بلاد حاحة على طريق الصحراء كما فعل فى المسير ، بل رجع على طريق الغرب مارا بتازة وفاس ومكناسة ؛ وقد اختصر الكلام فى البلاد المغربية اختصارا مخلا مع انه سمى رحلته هذه « الرحلة المغربية » وانما قصد

بهذا انه قطع كل بلاد المغرب في طريقه الى الشرق ولم يركب البحر .

هذا مجمل وجيز عن هذه الرحلة الثمينة ، وهي شاهد عظيم على ما بلغت اليه المعارف في المغرب في عصر العبدري ، اذ الرجل كما يظهر من رحلته هذه : عالم جليل له اطلاع على علوم الشرع ، ومعرفة واسعة بدقائق اللغة ، وفنون الادب ، وهو يرى ان كل هذه العلوم في تقهقر واضمحلال بعواصم العلم ، باستثناء تونس وما كان من بعض آحاد الافراد ممن لقيهم كابن خميس في تلمسان بالقيروان وابن المنير بالاسكندرية وابن دقيق العيد وشرف الدين الدمياطي بالقاهرة .

وقد تنبه المستشرقون لهذه الرحلة واهميتها منذ القرن الماضي ؛ وكان اول من اشتغل بها المستشرق الفرنسي شيربونو فنشر بالجريدة الاسباوية سنة 1854 مقالا عنها اتبعه بترجمة بعض فصولها ؛ واهتم بها بعد ذلك غيره من المستعربين ، وان كانت الى حد الآن لا تزال مخطوطة ولم يوفق بعد احد الى نشرها مع تعدد نسخها ، حتى اني وقفت منها على ثمان نسخ بمختلف الخزانات التي زرتها ؛ وقد قال شيروبونو المذكور عن رحلة العبدري : « انني قلما رايت كتابا عربيا مفيدا ممتعا لدرجة رحلة العبدري ، وذلك ليس فقط لصحة تحقيقاته الجغرافية ولكن ايضا لتفاصيله عن الآثارالقديمة ولدراستهللعوائدولتقديمه لنا جل العلماء المسلمين في القرن السابع » .

كما قال بونس بويكس الاسباني : « ورحلة العبدري كما يرى يسودها الاخلاص والتدقيق في الوصف واسلوبه فيها حي جميل وهذا هو السر في اقبال الناس عليها ، وفي النجاح الذي صادفته في الاوساط الادبية » .

ولم ينته القرن السابع حتى توجه الى المشرق رحالة ثالث وهو ابو القاسم التجيبي السبتي ووضع في وجهته هذه رحلة نقل عنها المؤلفون واثنوا عليها وقال عنها ابن حجر في كتابه الدرر الكامنة : « وهي ثلاثة مجلدات ضخمة وقد حذا فيها حذو ابن رشيد وكان رحل قبله بنحو عشر سنين وزاد هو على رحلة ابن رشيد بتضمين الرحلة مشيخة له مستوعبة » كما قال عنها احمد بابا السوداني وهو ينقل عنها في كتابه نيل الابتهاج : «كتاب نفيس في ثلاثة مجلدات» واحمد بابا آخر من رايته ينقل عنها مباشرة وهي مع الاسف تعتبر مفقودة وقد قيل ان مجلدا منها يوجد بتونس ولاكنني لم اتحقق بعد من ذلك وكان سفر التجيبي سنة 696 وهو مؤلف برنامج حافل يذكر المشايخ الذين لقيهم في عواصم العلم بالمغرب والاندلس والمشرق وقد وقفت عليه بخزانةالاسكوريال وهو من احسن ما وضع في هذا الفن وطريقته فيه ان يذكر المؤلف الذي درسه ومؤلفه وعلى من قراه ومحل ذلك وتاريخه وبتتبع هذا البرنامج يمكننا ان نطلع بتدقيق على سير دراسة ابي القاسم التجيبي مع تاريخ تنقلاته كما يستفاد منه اسماء الكتب التي كانت شائعة بالمغرب في القرن السابع .

وتوفي التجيبي ببلده سبتة سنة 730 .

وفي اوائل القرن الثامن بدات رحلة ابن بطوطة التي كانت الغاية منها الاولى اداء الفريضة ثم طالت نحو ثلاثين سنة جاب اثناءها اقطار المعمور ، ومحل الكلام عليها في الرحلات العامة . وبعد رجوعه بيسير سافر الى الحجاز ابو الفضل ابن ابي مدين العثماني وكان من الزهاد والف رحلة « احكم تصنيفها ووصف فيها عجائب ما راى » على ما ذكره معاصره ابو عبد الله الحضرمي في كتابه السلسل العذب المخطوط ولكن هذه الرحلة قد ضاعت كما ضاعت الرحلة التي الفها في هذه المدة ابو عبد الله ابن سعيد الرعيني المعروف بالسراج من اهل فاس المتوفى سنة 771 وقد الف ايضا منظومة في مراحل الحجاز ذكرها مترجموه ولم يبق اثر لكل هذا .

وفي القرن التاسع مع اختلال احوال الدولة المرينية وقفت هذه الحركة ولم يحدثنا المؤرخون عن راحل ترك لنا اخبار اسفاره الى الحجاز مدونة الى اواخر هذا القرن عندما قصد الحجاز الشيخ زروق البرنسي الفاسي دفين مسراته بطرابلس الشهير ووضع رحلة لا تزال منها بعض النتف في بعض الخزائن .

ولاكن بعد انتهاء الفوضى التي كانت سائدة ايام الوطاسيين واستتباب الامر ايام السعديين عاد المغاربة لتدوين اخبار رحلاتهم في مصنفات وصلنا بعضها .

واولى هذه الرحلات التي كتبت ايام السعديين لشخص من اهل المغرب يسمى ابا العباس احمد الحجري ويعرف بافوغاي ، وكان في صباه على ما يظهر يقطن بالاندلس مع تلك البقية الباقية من المسلمين

الذين تاخروا بها ايام التفتيش واكرهوا على المسيحية فاظهرها هو ايضا الى ان امكنته الفرصة وقصد البريجة وهي مدينة الجديدة الحالية وكانت يومئذ في يد البرتغاليين ثم هرب منها الى داخل المغرب واتصل بالمنصور السعدي وحوالي سنة 1007 قصد البلاد الحجازية لاداء فريضة الحج ووضع رحلة سماها « الشهاب الى لقاء الاحباب » نقل عنها ابو عبد الله العياشي احد كتاب المولى سماعيل في كتابه « البستان في اخوال مولاي زيدان » فقرة تتعلق بهروب افوغاي من البريجة الى ازمور وذهابه الى مراكش عند المنصور الذهبي ؛ كما نقل هذا الفصل ايضا الافراني في نزهة الحادي . ولا تعرف اليوم نسخة لهذه الرحلة ؛ وافوغاي هذا شخصية عجيبة يؤسف اكبر الاسف لضياع آثاره وذلك اني وقفت عند الاستاذ العلامة جورج كولان على كراريس من كتاب لافوغاي هذا في الرد على النصارى واليهود ولاكنه جعله كالرحلة حيث يذكر المدن الاورپية التي دخلها وناقش اخبارها ويحيل للتفصيل عن اوصاف البلاد على كتاب رحلته الخاصة باسفاره باوربا كما قال انه وضع رحلة عن سفره الى الشرق سماها الشهاب الى لقاء الاحباب — وهي المشار اليها آنفا وبما اننا لا نستطيع في هذا الوقت الضيق ان نلم باخبار كل الرحالة المغاربة وان نتكلم على سائر انواع الرحلات فلا باس ان نتعرض لهذه النبذة من كتاب افوغاي لطرافتها ولكونها فريدة لا تعزز بثانية ذكر انه لما قضى حوائجه ببورضيوش « يعني بوردو » رجع الى باريس واستطرد للكلام على علم النجوم وقال انه اخذ هذا العلم بمراكش على الفقيه احمد المصيوب الفاسي وان السلطان احمد المنصور كان يفيده بكتب خزانته التي قالوا « نهاية كتبها اثنان وثلاثون الف كتاب » والتقى في باريس بتركيتين اسرتا وهما قاصدتان البلاد الحجازية لاداء فريضة الحج واتى بهما للملك لانهما تحسنان التطريز فطلبتا من افوغاي ان يسعى في فكاكهما فواعدهما خيرا ثم سافر الى روان ومنها الى مرسى البركة يعني Le Hâvre لأن هذه المدينة كانت تسمى Hâvre de grâce ومن هذه المدينة ابحر قاصدا بلاد هولاندة ويسميها فلانضس اي Les Flandres فتكلم على امستردام وحسن بنائها ومرساها وكثرة سفنه ، وجرت له بهذه المدينة مناقشة مع حبر يهودي ، وهو في الرد على النصارى واليهود يحتج عليهم باقوال التوراة والانجيل وله اطلاع على كتبهم وهو يحسن الاسبانية وربما كان له المام بغيرها من لغات اروپا ، ثم ذكر ملاقاته في مدينة لايدى Leyde باحد المستعربين ووقعت بينهما مناقشات دينية واعطوه كتابا جاؤوا به من جزر الهند الشرقية وهو في التصوف فقال لهم بعدمطالعته يمكنني ان اترجمه لكم فتعجبوا من ذيوع اللغة العربية حيث هو من اقصى المغرب ويفهم ما كتب في اقصى المشرق والحالة انهم لا يعرفون كلام جيرانهم من الامم الاوربية الاخرى ثم ذهب الى لاهاية حيث التقى بشخص قال عنه انه رسول الامير واسمه Pedro Martin وكان تعرف به في مراكش حيث كان اسيرا وسعى في سراحه عند المولى زيدان السعدي فقدمه هذا الرسول لامير لاهاية فطلب منه هذا الامير ان يفصل له الكلام على طرد الاسبان للمسلمين من الاندلس فاجابه لطلبه واورد بعض ذلك في هذا الكتاب .

ثم ذكر في الباب الاخير وهو الثاني عشر ما وقع له مع راهب مسيحي بمصر ومع آخر بمراكش حصل اسيرا مع اهل سفينة من النصارى ضلوا ونزلوا بمرسى ازمور .

واكثر هذا الباب في رد اقوال النصارى وانتقاد اعتقاداتهم وله اطلاع كبير على مذاهبهم وكتبهم كما يستفاد من هذا الفصل الاخير انه تعرف في باريز باكبر ادباء الفرنسيين اذ ذاك ولا يمكن ان يكون الا الشاعر ماليرب حيث قدمه له المستعرب « ابرته » وانه زار تونس وان المنصور الذهبي كان ينوي بعث سفارة الى اوربا تحت نظر القائد ابراهيم القلعي ولاكنه عدل عنه الى «افوغاي» « لان القائد عامي والقسيسون النصارى يشككونه في دينه » كما قال افوغاي وكانت هذه السفارة سبب وضع هذا الكتاب وذكر انه اتم تاليفه بمصر يوم الجمعة 21 ربيع الثاني سنة 1047 ومن هذا التلخيص الوجيز يظهر ما كانت عليه مؤلفات افوغاي الضائعة من الفائدة والمتعة .

وفي سنة 1016 الف ابو العباس احمد بن عبد الله بن ابي محلي — الثائر المشهور — رحلة حجازية وسماها : « عذراء الوسائل وهودج الرسائل » وتسمى ايضا « اصليت الخريت » ؛ ومنها نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية بالقاهرة ؛ ولعل ببعض الخزائن الخاصة بالمغرب نسخا منها ؛ وقد لخص العلامة المؤرخ قاضي مراكش السيد العباس بن ابراهيم اولية ابن ابي محلي عن هذه الرحلة ، وهذا الثائر هو الذي ارخت سنة ثورته وسنة قتله بقولهم « قام طيشا ومات كبشا » اي ثار سنة 1020 وقتل سنة 1023 .

وممن رحل ايام السعديين ابو زيد عبد الرحمن الغنامي الشاوي المعروف برحو ، وصنف رحلة ينقل عنها الافراني ايضا في نزهة الحادي لاكننا لا نعرف شيئا عنها ولا عن صاحبها سوى انه كان ايام السعديين، ويوجد بسطات ضريح يسمى صاحبه : سيدي رحو الغنامي . فلا يبعد ان يكون مؤلف هذه الرحلة .

وقد ختم العصر السعدي برحلة حجازية طريفة مفيدة لاحد اهل مراكش لا يعرف ادنى شيء عن حياته، ولم يرد ذكره في كتاب ، وانما يعرف اسمه من هذه الرحلة التي بقيت محفوظة باحدى الخزانات الخاصة بفاس ، وهو محمد بن احمد بن عبد العزيز بن محمد القيسي الشهير بالسراج الملقب بابن مليح ؛ وقد سافر سنة 1040 ايام الوليد بن زيدان على طريق البر جنوبا مع الركب المراكشي ؛ وقلما كان يتوجه الحجاج من هذه الطريق الوعرة وقد وصفها وصفا دقيقا له قيمة كبرى من الناحية الجغرافية حيث انه اعطى كل التفاصيل عن هذه المراحل الصحراوية القاحلة وما بها من آبار ؛ ولعل هذه الرحلة هي الرحلة الوحيدة التي وصفت هذه الطريق التي تسير من اغمات الى وارززات فبلاد درعة فالصحراء الفاصلة بينهما وبين بلاد توات ، ثم قطعوا بلاد توات حيث التقوا بالقائد علي بن عبد القادر الشرقي ، والي السودان العام عن السعديين ، ثم دخل الركب صحراء ازكر الفاصلة بين بلاد توات والفزان ، وفيها خمسون مرحلة قطعوها في خمسين يوما قال « وصلنا بلاد فزان ، وقد انتفضت الجراب ، وعجزت الركاب ، وماتت الرواحل ، لبعد المراحل ، وقد اشرف الناس فيها على الهلاك » ثم قطعوا بلاد الفزان في نحو الشهر ، ثم دخلوا بلاد وجلة فبلاد سيوة فمصر فعبروا النيل ودخلوا القاهرة ، وقد قطعوا المسافة من مراكش الى مصر في نحو سبعة أشهر . ومن مصر انضم الركب المراكشي الى الركب الفاسي وخرجا مع الركب المصري قاصدين البلاد الحجازية وقد رجع ابن مليح بعد اداء الفريضة على نفس الطريق وهي تحتوي على ثمان ومائتي مرحلة .

وهذه الرحلة المسماة (انس الساري والسارب من اقطار المغارب الى منتهى الآمال والمآرب وسيد الاعاجم والاعارب) من انفس ما تضمه الخزانة المغربية التي تتطلب من ابناء المغرب عناية خاصة لابراز ذخائرها وتجلية كنوزها التي غالبت الدهر ووصلتنا في نسخ غريبة أو فريدة .

يتبع

محمد العابد



في حفلة الاستقبال بقصر « دار السلام »



لقد نشرنا فى مجلة « دعوة الحق » الغراء ـ العدد الاول من السنة الثانية ـ تحت عنوان « القضاء الاداري فى المغرب » بحثا تضمن عرضا موجزا لنظام القضاء الاداري الفرنسي ، وللنظام الانجلوسكوني وابدينا بعض الملاحظات على نظام القضاء الاداري فى المغرب ، مشفوعة ببعض الاقتراحات التي رايناها مناسبة ؛ وقد علق الاستاذ موسى عبود على هذا البحث وابدى بدوره بعض الملاحظات على النقاط التي اثرناها . ونحن لا يسعنا الا ان نرحب بتعليق الاستاذ موسى عبود وبملاحظاته ، وقد راينا لذلك ان نعود الى الموضوع من جديد لايضاح بعض المسائل التي تناولها التعليق .

ذكرنا فى بحثنا السابق « اننا كنا نود ان نكتب فى موضوع القضاء الاداري كتابة موضوعية تتناول بالدراسة جانبا من جوانبه او تستقصي خاصية من خواصه ، ولكن ظروف هذا القضاء فى المغرب لا تتيح فرصة البحث فى مسالة محددة بالذات بحثا فقهيا تحليليا » .

وتساءل الاستاذ موسى عبود عن ماهية هذه الظروف التي تمنعنا من البحث فى مسالة محددة بالذات بحثا فقهيا تحليليا ، والواقع ان القضاء الاداري فى المغرب حديث العهد ، لم يمض على انشائه اكثر من سنة واحدة ، وهي فترة غير كافية للحكم على اتجاهاته الموضوعية ؛ فالقضاء الاداري لا يعتمد فقط على قواعد مكتوبة يفسرها وينزل احكامها على الوقائع التي تعرض عليه ؛ كما يفعل القضاء العادي ، وانما هو الى جانب ذلك ، يبتدع الحلول ويقرر المبادىء القانونية التي ينبغي للادارة ان تسير عليها والتي يرى انها تحقق مصلحتها ومصلحة الافراد فى آن واحد ، لذلك كانت المهمة التي يضطلع بها القضاء الاداري شاقة وعسيرة ، فهو يسير فى طريق غير معبد فى كثير من الاحيان ، ويتخذ من نفسه هاديا للادارة عن طريق الاحكام والمبادىء والتوجيهات التي يرسمها ، من اجل ذلك كان ضروريا لمن يريد تعقب خطوات القضاء الاداري فى المغرب ، ان يتريث حتى يتبين الاتجاهات التي سار فيها والمبادىء التي قررها ، ويجمع بين يديه مادة موضوعية تكفي لدراسة فقهية تحليلية .

كذلك لم نتناول فى بحثنا السابق قضاء التعويض لدى المحاكم المؤسسة بظهير سنة 1912 بما ينبغي من توسيع وتفصيل لعدة اسباب ، منها ان هذا الموضوع يحتاج وحده الى بحث خاص مستقل وهو ما لم يتسع له المجال ، ومنها ان اشارتنا اليه كانت كمقدمة ضرورية يستوجبها التسلسل المنطقي للعرض فقط ، قبل الدخول فى هذا الموضوع الذي اخذناه للبحث ، ومع ذلك فاننا نامل ان نتناول هذا الموضوع بالبحث فى مناسبة اخرى .

1) وبعد هذا الايضاح ننتقل الى مناقشة بعض الملاحظات الموضوعية التي تستحق المناقشة فى تعليق الاستاذ موسى عبود ، واولها ما ذكره تعليقه ـ تحت رقم (5) اولا ، وثانيا ، واراد به ان يبين ان الاخذ بنظام الدرجة الواحدة فى القضاء الاداري ليس بدعة مستدلا على ذلك بمحكمة القضاء الاداري فى مصر قبل سنة 1955 وبمجلس الدولة الفرنسي قبل سنة 1953 ، حيث كان كل منهما هو صاحب الاختصاص الابتدائي والنهائي فى المنازعات الادارية .

ونحن نعتقد ان قياس الاستاذ موسى عبود اختصاص المجلس الاعلى فى المغرب بالمنازعات الادارية على مجلس الدولة الفرنسي قبل سنة 1953 ، وعلى محكمة القضاء الاداري المصرية قبل سنة 1955 هو قياس مع فارق شديد ، ذلك ان مجلس الدولة الفرنسي لم ينشأ كهيئة قضائية منذ البداية ، ولم يناط به الفصل ابتداء فى منازعات الافراد مع الادارة ، كما هو الشأن بالنسبة للمجلس الاعلى فى المغرب ، بل على العكس من ذلك فان مجلس الدولة الفرنسي لم يكتسب هذه الصفة الا فى سنة 1872 حين تدخل المشرع فأعطاه اياها بقانون ، واذا كان هذا المجلس قد بقي فترة من الزمن هو صاحب الاختصاص العام بكل المنازعات الادارية ، فانما كان ذلك جزءا من نضاله فى سبيل فرض الرقابة على اعمال الادارة ليسد امامها الطريق فى البحث عن مخرج تفلت منه رقابته .

كذلك فان مجلس الدولة الفرنسي وان ظل منذ سنة 1889 حتى سنة 1953 هو صاحب الاختصاص العام بجميع المنازعات الادارية ، الا انه لم يكن هو صاحب الاختصاص الوحيد ، وهذه نقطة هامة ، فالمجلس السابق لم ينفرد بالاختصاص فى المنازعات الادارية ــ كما هو شأن المجلس الاعلى فى المغرب ــ وانما كان هناك محاكم ولجان ادارية تشاركه الاختصاص فى المسائل الادارية عهد اليها المشرع ببعض المنازعات على سبيل التحديد ، فكان مجلس الدولة الفرنسي هو صاحب الاختصاص العام فى كل ما لم يعهد به المشرع الى غيره ، اما المجلس الاعلى فى المغرب فقد انشيء فريدا وما يزال فريدا .

وبالاضافة الى ما تقدم فان مجلس الدولة الفرنسي لم يضف الى اختصاصاته بالمنازعات الادارية ، اختصاصا آخر بالمسائل المدنية او التجارية او الجنائية ــ كما هو شأن المجلس الاعلى ــ وانما ظل وما يزال الى الآن محكمة ادارية فقط ، لذلك كان القياس (على مجلس الدولة الفرنسي) قياسا مع فارق شديد .

كذلك ، فان محكمة القضاء الاداري فى مصر لا تصلح ان يقاس عليها المجلس الاعلى ، « لان المحكمة كانت مختصة بالمنازعات الادارية فقط ، ولم يمتد اختصاصها قط الى غير ذلك ، وهي وان بقيت مدة من الزمن صاحبة الاختصاص العام فى المسائل الادارية ابتداء وانتهاء ، فقد اضطرت تحت ضغط الظروف العملية وتراكم القضايا الى الرضوخ للامر الواقع ، فتدخل المشرع المصري وازاح عن كاهلها العبء الثقيل الذي كانت تتحمله عن طريق انشاء محاكم ادارية ، ومحكمة ادارية عليا .

ونحن اذا كنا قد اخذنا على المشرع المغربي انه وضع عبئا ثقيلا على المجلس الاعلى ، فما ذلك الا لاننا راعينا الاعتبارات العملية التى لابد وان تفرض نفسها عاجلا او آجلا ، ولا يقدم فى هذا الراي ان القضايا لم تتراكم بعد على المجلس ، فالمسألة ليست مسألة واقع فقط ، بل هي مسألة تصميم وتنظيم ايضا للمستقبل القريب والبعيد معا ، وما يمكن تداركه منذ البداية لا ينبغي تركه للظروف تفرضه كيفما اتفق ، فليس من الحكمة ان ينظر المشرع الى الواقع فى اللحظة التى يتناول فيها الموضوع بالتنظيم فقط ، لان الانظمة توضع من اجل البقاء والاستمرار ، لا من اجل مواجهة وضع قد يتبدل بعد حين .

ومع ذلك فنحن لم نقل بان الطريقة التي عالج بها المشرع القضاء الاداري فى المغرب غير قابلة للاصلاح بل بالعكس قد اشرنا الى ان هذا الوضع يمكن علاجه عن طريق انشاء مجموعة من اللجان ذات الاختصاص القضائي ، تكون مقدمة لانشاء محاكم ادارية فى المستقبل يكون لها اختصاص كامل بالمنازعات الادارية ، كما انه ليس هناك ما يمنع المشرع من انشاء غرف ادارية فى المستقبل داخل المحاكم العادية يكون لها اختصاص المحاكم الادارية . ولكن الذي لا نسلم به هو ان يبقى المجلس الاعلى وحده هو صاحب الاختصاص الوحيد بالمنازعات الادارية ابتداء وانتهاء ، لان لهذا المجلس اعباء اخرى كثيرة الى جانب عبء مراقبة مشروعية اعمال الادارة ، وليس من قبيل التكهن القول بان رقابة المجلس لاعمال الادارة ستكون غير فعالة ، ما دمنا نعلم ان نشاط الادارة متشعب متسع ، يتناول معظم ميادين الحياة فى الدولة ، وان قرارات الادارة على جانب كبير من التعقيد والتفاوت ، كما انه ليس مما يعاب على الباحث الذي يدرس نظاما ما يراد له البقاء ان ينظر الى المستقبل بعين التبصر والحذر .

2) كذلك اثار الاستاذ موسى عبود فى تعليقه (7) ملاحظة تتعلق باسباب نقض الاحكام والغاء القرارات الادارية معترضا على الاستنتاج الذي استنتجناه من الفصل الثالث عشر من ظهير 27 سبتمبر سنة 1957 .

ونحن نرى مع ذلك ان الطريقة التي عالج بها المشرع صياغة نصوص ذلك الظهير لا تمنع من هـذا الاستنتاج ، ذلك انه حاول ، بقدر الامكان ، الجمع بين الاحكام المشتركة لمختلف فروع اختصاص المجلس الاعلى في نصوص عامة ، ولم يتناول بالتخصيص الا الاحكام الخاصة بكل نوع منها ، الامر الذي يدعو الى الاعتقاد بانه لم يتناول بالتخصيص اسباب الغـاء القرارات الادارية ، اعتمادا على انها مفهومة من الفصل الثالث عشر الذي فصل فيه اسباب نقض الاحكام ، ما دامت هذه لا تضيق بها ، فالاسباب التي ذكرها النص ـ عدا ما تعلق منها بالقواعد الجوهرية للمرافعات ـ يمكن ان تتخذ اساسا لعيوب القرار الاداري ، ما دام المشرع لم يتناول هذه العيوب بالنص الواجب لها .

ولو فرضنا جدلا ان هذا الاستنتاج لا يتسع له الفصل الثالث عشر ، فمن اين يأتي القاضي باسباب الغاء القرار الاداري ، أي بالعيوب التي تلحقه وتتسبب في بطلانه ؟ ان اي نص في ظهير 27 سبتمبر 1957 لم يتناولها بالتفصيل . وهل يكون المشرع قد اغفلها مع انها هي حجر الزاوية في القضاء الاداري كله ؟ انه اذا جاز القول بذلك فقد حق الاعتقاد بان رقابة المجلس الاعلى لمشروعية القرار الاداري غير ممكنة قانونا .

اما اذا افترضنا ان المشرع المغربي قد سكت عن ذكر اسباب الغاء القرار الاداري اعتمادا على ان الفقه والقضاء المقارنين قد تكفلا بتحديد معنى الشطط في استعمال السلطة والعيوب التي يستند اليها ـ كمـا يعتقد الاستاذ موسى عبود ـ فان المشرع المغربي يكون بذلك قد تخلى عن مهمته الاساسية في هذا الصدد ، واحال القاضي المغربي على الفقه والقضاء الاجنبيين ، وهو ما لا يمكن ان نتصوره ، لذلك استبعدنا ان يكون المشرع المغربي قد اوجب على القاضي المغربي ان يتتبع اسباب الغاء القرارات الادارية في احكام الفقه والقضاء الاجنبيين ، وان يغير في اتجاهه نحوها كلما تغير اتجاه ذلك الفقه او ذلك القضاء ، وهذا ما دعانا الى استنتاج اسباب الغاء القرار الاداري من نص الفصل الثالث عشر ، لانه عندنا اهون من افتراض ان المشرع احال القاضي بشانها على الفقه والقضاء المقارنين .

3) وبالاضافة الى ما تقدم اثار الاستاذ موسى عبود في تعليقه نقطة اخرى تحت رقم (9) تتعلـق بالملاحظة التي سبق ان ابديناها في بحثنا السابق على الفقرة الثانية من الفصـل السابع عشر من ظهير 27 سبتمبر 1957 ، حيث قلنا انها تزيد مسلك المشرع غرابة ، ونحن وان كنا ننظر بعين الاعتبار الى ما ذكره المعلق خاصا بالاسباب الواقعية التي دعت الى ادراج الفقرة الثانية من النص السابق ، الا اننا مع ذلك نرى لزوما ان نذكره بفكرة اخرى بالغة الاهمية تستند الى اعتبارات علمية وفنية لا يمكن تجاهلها ؛ ذلـك ان استقلال القضاء الاداري عن القضاء العادي تحتمه طبيعة كل منهما لعدة اسباب منها :

ا ـ ان القضاء العادي تجري احكامه على هدى القواعد القانونية المكتوبة غالبا او المستنبطة من العرف المحلي الثابت ، وتكون مهمته انزال حكم تلك القواعد القانونية على الوقائع التي تعرض عليه ، اما القضـاء الاداري فلا تقف مهمته عند هذا الحد ، بل تتعداه الى ابتداع القواعد والمبادىء القانونية ، الامر الذي لا يفعله القضاء العادي .

ب ـ في تفسير القواعد القانونية قد يختلف القضـاء الاداري كثيـرا عن القضاء العادي لاسباب واقعية لا قانونية ترجع الى اختلاف مراكز القانون العام عن مراكز القانون الخاص، فالقاضي الاداري ينظر الى الاشياء بمنظار القانـون الخاص ، ومن طبيعة القضاء الاداري التحرر والمرونة ، اما القضاء العادي فتغلب عليه المحافظة ، وما قواعـد القانون الاداري واحكامه ومبادئه المرنة المتحررة ، الا من وحي تلك الروح المتحررة التي يتمتع بها القاضي الاداري ، لذلك كان من الصعوبة بمكان الجمع بين روح القضاء العادي وروح القضاء المدني في شخص واحد او هيئة واحدة .

ج ـ وهناك سبب علمي آخر يرجع الى التخصص الفني لدى القاضي ، فالقاضي الاداري في البلاد التي تأخذ بنظام القضاء الاداري يكتسب مع المدة خبـرة فنية خاصة بالنظم الادارية ، ويستطيع تفهم العقلية الادارية ، ومصلحة الادارة ـ بحكم اتصاله المباشر بها ـ اكثر مما يستطيع القاضي العادي الذي يتفـرغ لمنازعات الافراد في ميدان القانون الخاص ، وهذه الخبرة التي يكتسبها القاضي الاداري عامل نفسي هـام في خضوع الادارة لاحكامه وتوجيهاته .

وهذه الاعتبارات العلمية هي التـي تفـرض استقلال القضاء الاداري عن القضاء العادي ، وتجعل الجمع بينهما في مجلس واحد او شخص واحد امرا صعبا ، واذا كنا قد وصفنا في بحثنا السابق « المجلس

الاعلى » بانه مزيج من محكمة النقض والابرام ومحكمة القضاء الاداري ، فلم نكن نعني فقط تنظيم المجلس واندماج القضاءين فيه ، اي الجانب الشكلي فقط ، وانما كنا نعني ايضا الجانب الموضوعي الذي يتجلى في طبيعة كل من القضاء العادي والقضاء الاداري ، وكذلك الاعتبارات العلمية التي تبرر الفصل بينهما .

4) وبالنسبة للملاحظة الاخيرة التي ختم بها الاستاذ موسى عبود تعليقه تحت رقم (10) معترضا على الاقتراح الذي تقدمنا به في بحثنا السابق ، يسرنا ان نذكره باننا حين اقترحنا – كعلاج مؤقت – انشاء مجموعة من اللجان ذات الاختصاص القضائي ، لم نكن متأثرين – كما زعم – بالنظام الذي اخذ به المشرع المصري فترة من الزمن ثم عدله لاعتبارات عملية ، وانما اردنا باقتراحنا انشاء حلقة وسطى بين المتظلم من القرار الاداري وبين « المجلس الاعلى » وقد قلنا ان تلك اللجان ستكون مؤقتة الى حين يتم انشاء المحاكم الادارية ذات الاختصاص القضائي بمعنى الكلمة ، اذ مما لا شك فيه ان القضاء الاداري في المغرب لا يمكن ان يقوم على عاتق المجلس الاعلى وحده الذي يجمع بين يديه كل الرقابة على القضاء في الدولة .

وهناك اعتبارات علمية اخرى تدعونا الى التمسك بهذه الحلقة الوسطى منها :

ا – ان رفع الطعن الى المجلس الاعلى يكلف المتظلم مشاق وتكاليف لا يقوى عليها الا عدد قليل من الناس فليس خفيا ان رفع الطعن الى المجلس يستلزم وساطة محام مقبول للترافع امامه ، وهذه مسالة على جانب كبير من الاهمية لانها تلقى عبئا ثقيلا على كاهل المتقاضي المغربي ، وحتى لو فرضنا جدلا ان الطاعن استطاع الحصول على المساعدة القضائية ، فلن يكون ذلك الا بعد جهد جهيد ، الامر الذي يجعل الوصول الى المجلس الاعلى امنية اكثر منه واقعا .

ب – ان شعور الادارة برقابة القضاء لاعمالها لا يمكن ان يكون قويا ما دامت هذه الرقابة في يد هيئة واحدة مقرها بالعاصمة ، فالادارة واقعية في شعورها وتصرفاتها ، وهي تتاثر بالرقابة المباشرة المحسوسة اكثر مما تتاثر بالرقابة البعيدة البطيئة .

ج – ان التظلم الاداري الذي اخذ به المشرع المغربي لا يمكن ان يقوم مقام الحلقة الوسطى التي نقترحها – خلافا لما يذكر الاستاذ موسى عبود – ذلك ان هذا التظلم الموجه الى السلطة الرئاسية ، لا يشعر معه المتظلم بما يشعر به امام الحكم القضائي من طمأنينة وارتياح ، وهذه مسالة طبيعية لذلك فان المتظلم سيبحث كلما رفض تظلمه عن وسيلة اخرى لاعادة عرض شكواه ، واذا لم تسعفه وسائله الخاصة للوصول الى المجلس الاعلى ، انطوى على نفسه معتقدا – ولو خطأ – انه مظلوم .

ولقد مضى على المغرب فترة من الزمن تحت الحماية ، جرب فيها الافراد وسيلة التظلم الرياسي من القرارات الادارية – حيث كان هو الوسيلة الوحيدة – ورسخ في ذهنهم الا فائدة من ذلك التظلم لانه لا يحقق غالبا اية نتيجة عملية ، ما دام التظلم من الادارة واليها ، لذلك كان طبيعيا ان يبحث الافراد اليوم عن وسيلة اخرى للتظلم تحت رقابة القضاء .

وهذه الاعتبارات السابقة تدفعنا الى الاعتقاد بان رقابة المجلس الاعلى على اعمال الادارة لا يمكن ان تؤتي ثمارها الا اذا كان هناك حلقة وسطى بين المجلس وبين المتظلم من القرار الاداري ، تلك الحلقة التي ينبغي ان تكون درجة اولى للنزاع وفي متناول كل الافراد ، وليس طبيعيا ان يكون المجلس الاعلى – وهو اعلى هيئة قضائية في الدولة – هو الدرجة الاولى والاخيرة في حل المنازعات الادارية ، كما انه ليس طبيعيا ان يرتفع الطعن في القرار الاداري دفعة واحدة الى هذا المجلس كما لو كان محكمة درجة اولى عادية .

ولن نغالط انفسنا بالقول بان التظلم الاداري يمكن ان يقوم مقام محكمة مختصة يتوسم فيها الافراد العدالة ، بل ولا حتى مقام لجنة للطعون الادارية تتوافر فيها بعض مظاهر الحيدة والانصاف ، فليس هذا الامر مما يحتاج الى جدال او نقاش ، لان طبيعة الاشياء نفسها تفرضها ، واذا كنا قد وصفنا نظام القضاء الاداري في المغرب بانه معيب وغير فعال ، فقد راينا فيه بناء غير قائم على اساس سليم لابد من اعادة النظر فيه وتدعيمه حتى يقوم بالمهمة التي اناطها به المشرع على احسن وجه ممكن .

محمد الموري

الوحدة العربية حقيقة جغرافية

للأستاذ محمد الغزلي



لقد تميز القرن التاسع عشر بانبعاث قومي في اوربا كرد فعل لانتشار الافكار التي بشرت بها الثورة الفرنسية ، وكان استيلاء نابليون على اروبا ، وتوحيده لاماراتها وممالكها المختلفة ، واشاعته معاني الحرية والمساواة ، البيئة الاولى في انبعاث القوميات الايطالية والالمانية والبولونية والبلقانية .

وقيض لتلك الامم قادة ومفكرون وسياسيون امثال كافورد مازيني وغاريبالدي وسمبارك ، خرجوا بتلك الافكار من حيز الدعوة الى التنفيذ والنجاح .

وحمل القرن العشرون مفاهيم معدلة للفكرة القومية بعد استتباب امر الاشتراكية في روسيا ، وظهور مبدا التعايش واشتباك المصالح بين الامم ، وقد برز الاستعمار الى جانب كل ذلك — يحاول اعادة بناء امبراطورياته على انقاض القوميات المختلفة التي ابتليت به ، فشهد العالم قوميات تتداعى في جنوب افريقيا وفي الكونغو ، واخرى تتفكك في الشرقين الادنى والاوسط ، كما شهد انواعا من المبادلات الجنسية الواسعة كما حدث مثلا بين تركيا ودول البلقان .

ولقد استيقظت القومية العربية — بعد مرور قرون من الاستعباد والكبت — في مطلع هذا القرن ، فتخلصت من العثمانيين الذين حاولوا تتريكها وصهرها ، وناضلت القوى الاستعمارية ، وخرجت بفكرة الوحدة العربية والعدالة الاجتماعية .

واذا كان تحديد مفهوم القومية لا زال الى اليوم يشوبه بعض الغموض ، لان العامل العاطفي بقي مسيطرا ومائلا ، ولان الامم التي مارست النضال القومي كانت تضيق من ذلك المفهوم ، او تنحرف به كما هو الحال عند اصحاب نظرية العرق والوراثة ، فان عوامل الوحدة العربية ومظاهرها كثيرة وغنية ، فهناك ارتباط كلي من الوجهة الفكرية (الدين واللغة والتاريخ) وهناك تناظر في المظاهر الجغرافية واسلوب الحياة وهناك اخيرا تماثل لا يتطرق اليه الشك في المجال الاجتماعي وفي الآمال والآلام اي في وحدة المصير .

وقد احببت ان اتناول جانبا من هذه المظاهر التي توحد بين البلاد العربية وهي المظاهر الجغرافية على اعتبار ان الارض العربية وما يتصل بها من فاعليات مختلفة هي مجال القومية ومسرحها وهي العاكس لحياة الشعب العربي والمحدد لظروف حياته والمفسر لتاريخه الواحد .

العرب في التاريخ :

لقد تميز العنصر العربي بالحيوية والنشاط على مر التاريخ ، فنقل العرب حضارتهم الى شعوب اخرى وساكنوها وطبعوها بطابعهم وتدل الوثائق والآثار المادية الاخرى التي خلفها المصريون والفنيقيون والقرطاجيون والسومريون على ان العرب هم الذين اسسوا اول دولة بمعناها السياسي المنظم في التاريخ : واهتم البابليون بالعلم والفنيقيون بالتجارة والملاحة والمصريون بالبناء ولا زالت شواهد الحضارة العربية في اليمن — التي هي ينبوع الشعب العربي ومصدره — في طور الدراسة والاستقصاء .

ولم يمنع الاكتساح الروماني ـ الهليني البلاد العربية من مسايرة ركب الحضارة والعلم فظهر القواد المغاربة الاشداء وبرزت جامعة الاسكندرية ومدارس شمال سوريا .

وتبوا العرب المسلمون الصدارة في المجال الحضاري العالمي عند ما تمكنوا من بسط نفوذهم على اكبر امبراطورية عرفت في التاريخ وحمل رسالة التوحيد ـ العربية ـ اليها . وتبلور العقل العربي الخلاق في عهد العباسيين في المشرق والامويين في الاندلس ، والمرينيين والسعديين والعلويين في المغرب ، وعرف كيف يتمثل جميع الثقافات التي قدمتها امم اخرى ، وقدم للبشرية تراثا فكريا غنيا .

ودخل العرب ـ بعد ذلك ـ في طور الانعزال والتخلف عندما هجمت جحافل التتر والمغول على المشرق واساطيل البرتغال والاسبان على السواحل المغربية ، وعانت هذه البلاد مجتمعة من ضربات الصليبيين . وكان المغرب هو الجبهة الامامية، والصخرة التي تحطمت عليها اساطيلهم وقصمت جيوشهم ، وقيض للعرب آنذاك البطلان صلاح الدين الايوبي والمنصور الموحدي .

حاول العثمانيون ان يخلفوا العباسيين في المشرق في قيادة العالم الاسلامي ولكنهم كانوا عاملا سلبيا فشلوا الحياة الاقتصادية والاجتماعية والادارية ، وكان من نتيجة ذلك ان عم الجهل والمرض والجوع وتخلف العرب عن الركب الحضاري فاستلمت قيادته الدول الاوربية ، بينما ظل المغرب وحده طيلة هذه المدة يدفع الغرب ويرده عن حدوده .

وقد رافق نهضة اوربا من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية انحطاط كلي في الامبراطورية العثمانية واصبحت « بالمرض » فاتجهت انجلترا وفرنسا لاقتسام تركتها ، فسقطت عدن والجزائر ومصر وتونس ثم الجنوب العربي وليبيا والمغرب والهلال الخصيب .

الا ان العرب كانوا قد تحسسوا مشاكلهم ، وبداوا يشعرون بضرورة الوحدة والحرية منذ الاصلاح العثماني ، وبدات بوادر النهضة مع حملة نابليون لمصر وسورية ، فنفضت اللغة العربية عنها غبار الاهمال وبرزت اصلاحات محمد الذي بتوحيده مصر وسوريا وضع الحجر الاول في البعث العربي ، وقبيل الحرب الاولى عمت الشرق موجة قومية عارمة فافتتحت المدارس وظهرت الكتب والجرائد وتاسست الجمعيات السياسية والادبية ، وعقدت الندوات في الداخل والخارج ، وظهرت الدعوة لاستقلال العرب وتوحيدهم، وتبلور ذلك في ثورة الهاشميين سنة 1916 ، غير ان الاوربيين ـ بعيد الحرب ـ اقتسموا الاجزاء المحررة من الوطن العربي ، ثم لم يلبثوا ان تراجعوا امام الضغط الشعبي ، فاستقلت بعض البلاد العرب وبقي بعضها الاخر يناضل من اجل الاستقلال .

وهكذا نجد ان تاريخ العرب الحديث تميز بنضالهم من اجل الحرية والوحدة ، وليس هذا الاتجاه بالذي تمليه العاطفة ، ويدعو اليه القلب بل انه موضوعي يقوم على الوقائع ، فاذا كانت دول كبرى تتمتع بوحدة سياسية وتضم شعوبا وامما شتى كالاتحاد السوفياتي والصين والهند فان الامة العربية تضم امة واحدة تتكلم لغة واحدة وتنحدر من اصل واحد وينتظمها تاريخ متجاوب متكامل ، والعرب اذا سعوا الى الوحدة ، انما يلبون نداء الاجيال والامجاد ويسعون الى القوة والمنفعة

وحدة الموقع :

تحتل البلاد العربية قلب العالم القديم ، وتمتلك موقعا لا يدانيه في الاهمية اي موقع آخر ، والبلاد العربية هي بلاد مرور في القديم والحديث، فبينما عبرت الحضارة التي نشأت في حوض المتوسط بلاد الشام نحو الفرات واتجهت القوافل من الغرب نحو الهند والصين تلك القوافل التي كانت تجد في طريقها محطات للاستراحة والتجارة كبصري الشام وتدمر وحلب ودمشق ، كانت السفن تجتاز مضيق جبل طارق وتؤسس محطات تجارية اخرى على ساحل المغرب الشمالي .

وفي العصور الحديثة ، وبعد ان شقت قناة السويس ، عاد للعالم العربي ما كان له من الاهمية في المواصلات العالمية فهذا العالم يتوسط جهازين اقتصاديين متكاملين : جهاز اقتصادي غربي يقوم على الآلة والتصنيع ، وجهازا اقتصادي شرقي يقوم على انتاج المواد الصناعية الزراعية والمعدنية . والدورة التكاملية لهذين الجهازين تجري عن طريق جبل طارق وقناة السويس وعدن وعمان . وان التسابق المحموم الذي درجت عليه دول الغرب من اجل السيطرة على البلاد العربية انما كان هدفها من ورائه ان تحصل على مواطىء اقدام وجسور نحو بلاد اخرى ، فقد فخرت انجلترا مدة طويلة بان التاريخ البريطاني يحتوي على ذرة ثمينة هي الهند وحولها احجار كريمة متالقة هي السويس وجبل طارق وعدن .

وحدة الارومة :

تنفصل البلاد العربية عما جاورها بحدود وعرة الاجتياز والنفوذ ، ففي الشمال نجد جبال طوروس وزغروس تفصلها عن تركيا وايران ، في جنـــوب السودان والصحراء نجد الاقاليم الغابية المستنقعية ، بينما تشكل البحار حدود بقية المناطق .

فهذا الانعزال الجغرافي المكاني جعل الامة العربية لا تتلقى هجرات من الخارج الا على نطاق ضيــق ، وبالتالي جعلها صافية الاروومة عالقة بالمكان ، فقد منعت الحواجز الشمالية العناصر التي تقوم وراءها (العناصر الاروبية الهندية) كما منعت الحواجز الجنوبية العناصر السوداء من الاختلاط على نطاق واسع بالعنصر العربي، ومكب خصائصه الجسمانية .

والقول بان العنصر العربي صاف تمامــا ، لا يطابق الواقع ولا المنطق لانه لا يوجد شعب في العالم احتفظ بصفاء عنصره ونقاء دمه ، وان اختلاط العرب بغيرهم ظل محدودا ضعيف الاثر ، فاننا نجد بعض الاثار الارمينية والكردية في الشام والعراق وآثــارا حبشية وصينية وماليزية في اليمن وحضر موت وآثارا زنجية في جنوب مصر والمغرب .

وان الاقليات التي تتكلم لغات اخرى في البلاد العربية وتساكن العرب منذ القديم كالسريانيــين في سوريا والبربر في المغرب هذه الاقليات التي ثار حولها الكلام وهلل لها علماء الغرب ما هي الا جماعات انطلقت ــ كغيرها ــ من اليمن ضمن هجرات قديمة ثم انعزلت في الجبال وحافظت على لغتها الاولى ، وقد وجد بالفعل ان تماثلا كبيرا يوجد بين اللغة الحميرية والامهرية من جهة وبين اللهجات السريانية والبربرية من جهة اخرى

وتدل المستندات على ان المنطقة الواقعة في شرق اليمن والمعروفة اليوم « بالجوف » هي الوطــن الاول للعرب ، فقد كانت الاحوال المناخية تساعد على الزراعة والاقامة ثم بدأت الامطار تتحول عن هذه المناطق مما اضطر السكان الى اتخاذ وسائل الري من ســدود واقنية (ويشهد سد مأرب على عظمة الفن المعماري عند العرب الاول ومقدار ما وصلت اليه الادارة عندهم من دقة واحكام) ولكن الامطار امعنت في احتجابهــا فاضطر السكان الى الهجرة نحو الشمال والغــرب ، فعرف المنطلقون نحو الهلال الخصيب ومصر بالساميين (اتفاقا) ومن بينهم الاكاديون والكنعانيون والاراميون والانباط والغساسنة والمناذرة ، وسمي الذين اجتازوا مضيق باب المندب او برزخ السويس بالحاميين تمييزا لهم عن الاول ولوجود فوارق لغوية بينهما وهؤلاء كانوا قد اتجهوا نحو ارض النوبة والمغرب .

فاطلاق تعبير « الساميين » و « الحاميين » على الشعب العربي انما هو اصطلاح لغوي لا علاقة لــه بالجنس والاصل .

وقد قامت دراسات في اوربا وخاصة في فرنسا للبحث في اصل سكان المغرب الاقدمين ولكن تلــك الدراسات استهدفت خدمة السياسة والاستعمار اكثر من خدمة العلم والحقيقة .

فقد قام ــ مثلا ــ العالمان الفرنسيان شانتــر وبرتلون بدراسة القرائن الجنسية عند سكان الاطلس فقاسا طول الجمجمة ولاحظا الانوف والوان الشعور ، وانتهيا الى ان « الجنس البربري » ينقسم الى جذعين : جذع اسكندنافي قادم من شمال اوربا ضمن هجرات غامضة وجذع اسيوي كردي قدم من آسيا الغربية .

ولا يمكن تبرير هذه النتائـج « المدهشــة » بالدراسات القاصرة التي قاما بها ، وبالنظرة السطحية التي طبع بها بحثهما ، فقد كان ذلك البحث في جميع مناحيه منافيا للتاريخ ومجافيا لروح العلم . والثابت لحد الآن انه لم يقم اي دليل على وجود فرقة بيــن الجنسين في المجال الانتروبولوجي ، والفرق السطحي الذي يلاحظ بين العرب والبربر مرده الى الانفصال في التطور التاريخي كما حصل بين الشعوب المغولية التي تتوطن البلقان اليوم وبين المغول في سينكيانغ الصينية.

ومعنى ذلك ان سكان البلاد العربية امتدوا في المكان كما يفعل الحجر بماء البحر الصافي ، وموطنهم الاصلي هو شرق اليمن ، وانما نجد ذلك ، كما نجد طرق الهجرات العربية القديمة واسبابها ومراحلها مفصلا في كتب جميع المؤرخين العرب وفي مقدمتهم ابن خلدون في كتابه العبر والمسعودي والطبري والبكري .

وقد استغرب الباحثون الغربيون لهذا التمازج القوي الذي لاحظوه في المغرب ، ولم يصدقوا انه حصل في مدة اثنى عشر قرنا ولذلك فقد اخترعوا قضيــة « الحضارة البونيقية » وطبلوا لها كثيرا ، والواقع ان التناظر الكلي بين العرب والبربر من الوجهة الجسمانية لا يمكن ان يكون من آثار الحضارة الاسلامية او البونيقية وانما هو شيء اصيل .

الارض العربية :

الارض العربية هي المسرح الذي تتالت عليه الاجيال العربية وشهد ادوار حضارة العرب التي كانت تتألق حينا وتخبو حينا آخر ، والوطن العربي هو اول مقومات الكيان العربي فمن لا ارض له لا كيان له اون الخصائص التي يمتازبها هذا الوطن والتي ساجملها فيما يلي تجعل منه وحدة متماسكة او متكاملة :

1 ـ الحدود العربية :

ان الخطوط الوهمية المهتزة التي نجدها على الخرائط السياسية ليست سوى فواصل اتفاقية فرضت على العرب خدمة لمصالح دول اجنبية عنهم ، فمتى كانت اقطار المغرب العربي منقسمة على نفسها مثل هذا الانقسام الا عندما ابتليت بالاحتلال التركي ثم بالاستعمار الفرنسي ومتى كانت سوريا منفصلة عن لبنان والاردن وفلسطين ، ومتى كانت اليمن بمعزل عن الجزيرة العربية الا عندما خرجت مقدراتها من يدها .

ان العرب ينتظرون اليوم الذي تزال تلك العقبات ويصبح العربي حرا في بلاده .

ولكن هناك حدودا عربية اصلية تحمي الوطن العربي من جميع جهاته ففي الشمال ينفصل عن تركيا وايران بجبال طوروس وزغروس وفي الجنوب تنتشر مناطق الغابات والمستنقعات الموبوءة وفيما عدا ذلك توجد البحار .

2 ـ الاتساع :

يمتد الوطن العربي على اكثر من خمسة عشر مليونا من الكلمترات المربعة ، وهذا الامتداد الكبير هو عنصر من عناصر قوة العرب في الماضي كما سيكون مجال انقلابهم الاقتصادي والاستراتيجي في عالم الغد، واذا كانت الدول الراقية تسعى لامتلاك بعض المناطق قصد البحث عن المواد الخام ، وتصريف الانتاج المصنوع ، فان هذه المعضلة ـ اي معضلة البحث ـ تعتبر منحلة بالنسبة الينا . واذا كانت بلادنا تشكو ضعف السكان وتخلخلهم فان الخصب الجنسي كفيل بملء ذلك الفراغ اذ التزايد والتناسل عند العرب هما من اكبر ما عرف في تاريخ البشرية .

3 ـ الاتصال :

لقد قامت المواقع الجبلية التي فصلت العرب عن الاقوام الاخرى حائلا دون اختلاط العرب جنسيا بالاقوام الاروبية الهندية والتركية في الشمال وبالاقوام السودانية الحبشية في الجنوب ، واذا كان الاحباش قد اختلطوا قليلا باليمنيين والفرس بالعراقيين والاتراك بالسوريين والزنوج بالمغاربة فان ذلك الاختلاط لم يكن جذريا كما رأينا .

ولكن الوطن العربي لا توجد فيه فواصل تمنع بعض اجزائه من الاتصال بالبعض الآخر ، فلا جبال ضخمة ولا بحار فاصلة ، ولا صحاري يصعب اجتيازها والسلاسل الحقيقية الموجودة فيه هي الاطلس ولبنان وعمان وهي كلها تعج بالممرات والمسالك والسكان ، كما ان الصحراء لم تنفر السكان بل كانت منبع حضارة العرب ومعهد الاسلام العتيد ، وكانت القوافل والجيوش تجتازها في عهد المرينيين والسعديين .

وان هذه السهولة في الاتصال بين البلاد العربية سهلت انتقال العرب في القديم والحديث ضمن هجرات منظمة او عفوية ، ونتذكر هنا هجرات العرب الاولى وهجرات بني هلال وبني سليم والشاوية .

4 ـ الامكانيات :

قد يبدو لاول وهلة ان بلاد العرب بلاد الصحاري والمفاوز ، ولكن هل يقاس غنى الارض دائما بعذوبة المناخ واخضرار الاشجار ؟ حقيقة ان بلاد العرب اغلبها صحاري غير انها صحاري تعج بالمعادن لها اعظم مكانة اقتصادية سيشهدها المستقبل ، فالبترول يتفجر في في كل مكان والفسفاط في المغرب العربي والاردن والقوى المحركة في العراق والجمهورية العربية والمغرب والمعادن الصناعية في افريقيا العربية كلها ، وفي كل يوم تتكشف الصحراء عن خيرات جديدة .

ولا يجب هنا التغاضي عن الغنى والامكانيات الزراعية فقمح الهلال الخصيب والمغرب وتمور العراق وزيتون تونس وقطن مصر واحراج المغرب وحيواناته تشكل كلها ركنا راسخا في الاقتصاد العربي الجبار .

5 ـ التوسط :

راينا البلاد العربية هي قلب العالم القديم والحديث معا ، وان تهافت الدول العربية عليها وخلق الاشكالات فيها غايته الحصول على مفاتيح اسواق العالم الانتاجية والاستهلاكية .

6 ـ وحدة المناخ :

من الغريب ان جميع البلاد العربية تخضع لمؤثرات مناخية واحدة هي مؤثرات البحر الابيض المتوسط ، ففي السعودية او سوريا او العراق او مصر او المغرب نجد ان وقت الامطار هو الشتاء (مع بعض الشذوذ في اليمن والسودان) وان الجفاف والحرارة يعمان في الصيف ، وان الرطوبة قليلة بصفة عامة ، هذا بينما نجد بلادا كالولايات المتحدة او الاتحاد السوفياتي او الهند تخضع لمؤثرات مناخية شديد التباين فهناك مناطق يلتجيء سكانها الى البيوت ويقبعون الى جانب المدافيء بينما ينعم آخرون بمياه البحر المنعشة .

7 ـ وحدة الحياة :

ان وحدة المناخ وتركز الامطار في الشتاء يجعلان شروطا نباتية وحياتية واحدة تسود في الوطن العربي كله تقريبا ، ومن المعروف ان بلاد المتوسط او البلاد العربية هي موطن (النباتات الروحية) ، كما انها بلاد الكروم والزيتون والنخيل ، فلا نكاد نجد المنظر التقليدي للواحة والجمل الا هنا ، وان اهم مشكلة يشعر العربي بوطئتها هي نقص المياه ولا نجد فرقا في ذلك بين فلاح سوسي وفلاح حمصي .

الحضارة العربية :

ان الحضارة العربية غنية ومبدعة لانها متنوعة المشرب ، واسعة المنابع وقد كانت محدودة في المقومات والانتشار طيلة احقاب كثيرة ، ولكنها برزت منذ مطلع التاريخ وظهرت براعمها فيما بين النهرين وشمال سوريا ووادي النيل والجنوب العربي ، وتفجرت عبقريه واشراقا مع الاسلام وسنعرض باختصار لعناصر هذه الحاضرة التليدة .

اللغة العربية :

لقد خضعت اللغة العربية لتطور كبير منفصل ، ولكنها برهنت في كل زمان ومكان عن قابليتها لهضم مختلف الثقافات التي عايشتها ، وان وجود بعض الجزر اللغوية في البلاد العربية كالسريانية والقبطية والبربرية لا يمكن تعليله الا باسباب تاريخية بحتة ، وليس ادل على ذلك من ان اللغة السريانية تكاد تنقرض اليوم بعد استتباب الامن وانتشار وسائل المواصلات .

وعلى الرغم من كل ذلك فليس يوجد في العالم شعب يمثل هذه الضخامة ويتكلم لغة واحدة ذات اصل واحد ومشرب واحد ، فهذه الصين والهند وروسيا تقوم دليلا على امكانية قيام الانسجام بين شعوب تتكلم لغات متعددة ، فما بالنا بالشعب العربي الذي تتماثل جميع مقوماته كعنصر واحد .
ومهما يكن الامر فاللغة العربية هي لغة الاسلام .

التوسط الحضاري :

ولقد كانت بلاد العرب جسرا مرت عليه مختلف الحضارات ، والتقت فيها وطبعت بسيمائها ، كما كانت مركزا تألقت فيه حضارات اصلية فالفنيقيون في لبنان وتونس والمغرب نقلوا الحضارة العربية الى اوربا واساطيل الحميريين والتبابعة وصلت الى الشرق الاقصى ، ودقت الجيوش العربية ابواب سيبريا والصين ، ولابد من الاعتراف بان الحضارة الحديثة تدين بمقوماتها واصولها الى العرب اذ ان مدارس سالرنو والاندلس وفاس وحملات الصليبيين والرحالة، حملت جميعها نفحات الابداع والعبقرية للعرب .

فموقع الوطن العربي فرض عليه ان يكون موجها وطابعا ، وعندما كان العرب يتوفرون على القوة والمنعة كانوا يقيمون التوازن بين مختلف الحضارات ويكبحون من جماح الشعوب المتاخرة ، وعندما ضعف العرب نتج عن ذلك اصطراع الرومان والفرس وانطفاء الجذوة الاندلسية وهجوم القبائل المتوحشة الاسيوية واحتلال البلاد اخيرا بجيوش تركية وغربية .

فاذا كان لابد للعرب ان يعودوا الى دور الحكم والموجه ، وان يحافظوا على صفة التوسط وحفظ التوازن ، وان يعيدوا بناء قوة عتيدة جبارة فان عليهم ان يعملوا لوحدتهم هذه الوحدة التي هي نداء القرون وصوت الارض وتأجج العاطفة .

محمد العربي

ثورة في مفهوم التاريخ

للاستاذ :
عبد الحق بنيس

اصبح العلماء اليوم ، وفى جميع انحاء العالـــم المتمدن ، يولون اهمية قصوى للمباحث الاجتماعية . هذه المباحث التي يشكل التاريخ عنصرا هاما فيها . ولكن يقصد بالتاريخ هذا المفهوم الجديد الذي اعطته اياه ثورة نحن بصدد شرحها فى هذا المقال . ولا غرابة فى ذلك ، فمفاهيم الاشياء خاضعة للتطور والتبدل ، او لما يدعوه ابن خلدون (توفى فى القرن الرابع عشر للميلاد) **بالصيرورة** ، وهذه الصيرورة خاضعة بدورها الى عاملي الزمان والمكان ، وهي التي تعطي للاشياء مفاهيمها واشكالها المتفق عليها . ولهذا فلا مناص بادىء ذي بدء ان نرسم خطا بيانيا لتطور المعرفة البشرية بوجه عام ، وفى هذا الرسم سيتضح لنا عدد المراحل التي مر منها مفهوم التاريخ .

لقد كانت المعرفة فى العصور القديمة وحدة لا تنفصم عراها ولا تنفصل اسبابها، وكانت الحكمة تشمل كل انواع المعرفة ، فالحكيم ، عند قدماء الصينيين والهنود ، هو الذي اشتهر بطول باعه فى شتى مرافق الثقافة والعلم ، فهو الذي يشرع ويسن القوانين ، وهو الذي يعرف اسرار هذا الكون ، بل هو صلة الوصل بين البشر (والآلهة) التي كانوا يعبدونها ، وهو الذي يعرف اسرار السحر ، لانه يعلم مبادىء فى الرياضيات والطب والتنجيم والفلك وماشاكل . وبالجملة فهو العالم او الحكيم او الفيلسوف ، وكلها الفاظ مترادفة كانت تطلق على من يدعي فى العلم معرفة !

هكذا كان مفهوم الحكمة عند القدماء من سكان الشرق الاقصى ، وقد ظل هذا المفهوم بعينه سائدا عند قدماء المصريين واليونانيين . الم يكن سقراط الحكيم فيلسوفا ملما بجميع معارف عصره ! الم يأخذ علـــى عاتقه انارة السبيل للغافلين والضالين من الناس ؟ ومن يستطيع انارة السبيل غير الذي يعرف كل انـــواع **المعرفة ؟**

هذا وقد ازداد هذا المفهوم تبلورا عند العرب فى القرون الوسطى – مع مراعاة عامل الزمن فى التطور – واضحى العالم فى بغداد او دمشق او فاس او غرناطة مثلا ، اقول اضحى العالم يلم باصول الفقه والحديث والتوحيد والتفسير ، وبقواعد النحو والبلاغة وما يتعلق باللغة وآدابها ، يضيف الى ذلك علوما اخرى – اطلق عليها العرب اسم العلوم العقلية – كالمنطق والفلسفة والرياضيات وغيرها ، وفى العصر الحاضر لا زال العرب الذين يعيشون على هذه الحضارة ، يقولون عن المثقف الذي فاق علوم كثيرة : « **انه جاحظ عصره** » وذلـك تشبيها له بالجاحظ الذي احاط بكل ما عرٌف فى عصره من آداب وعلوم .

هكذا بقيت المعرفة وحدة متماسكة لا تعـرف الانفصال ولا الانفكاك ، وما ان اطل القرن السابع عشر حتى جاء بفكرته الانفصالية . وهي الفكرة التي نادت **بالتخصص** . ولهذا النداء ما يبرره لان اتساع دائـرة الابحاث العلمية لم يعد يسمح للشخص الواحد أن يعي جميع العلوم ويهضمها ويتصرف بها ، بله ان يبدع او يبتكر فيها . لم يكن بد من ان تتحرر الفلسفة (بمعناها الشمولي) من ابحاث اخذت اسم « العلم » وبـدات تشق طريقها نحو النضج والكمال . واول ما امتازت به هذه العلوم هو تحديد طريقة للبحث يسير على منهاجها كل عالم اراد الوصول الى الحقيقة العلمية ... ولئن استقلت علوم كالفيزياء والرياضيات عن الفلسفة الا ان ابحاثا أخرى ما فتئت تدخل فى نطاق المعرفة الفلسفية، غير ان هذا الانفصال سيحصل ولكنه سيتأخر الـى القرن الماضي . وهو ما سميته بالثورة فى مفهوم التاريخ وماشابهه من علوم انسانية .

هذه صورة سريعة تبين الخطوط الرئيسية التي مرت بها العلوم والآداب فى تطورها . والقصد من هذا الاستقراء السريع ، ان نفرق الى اي حد ساير التاريخ

هذا التطور ؟ وهل يمكن ان نعد التاريخ علما او ادبا ؟ هذا ما سنعرفه في هذا الحديث .

ليس من شك ان الحكيم حينما كان يكتب التاريخ، كان يهدف الى اغراض شخصية بالدرجة الاولى ؛ ولاجل ان يحبب للناس هذا التاريخ كان ينسق الحوادث تنسيقا ويلفقها تلفيقا حتى اذا قراها الانسان او سمعها باذنه ، استهوت فؤاده واثارت في مكامن شعوره رغبة التقديس لما يقرا ، او لما يسمع . كذا كانت اساطير كونفوشيوش الصيني ؛ واساطير (الفيدا) التي رتبها كهان هنود وصفوا انفسهم بالحكماء. لا اريد من ذلك ان اخلص الى نتيجة معينة ؛ وهي ان كل ما كتب في التواريخ القديمة كان باطلا . بل كانت معظم الحوادث واقعة ، ولكن عرضها يكون شكل اسطوري بعيد عن قواعد العقل والمنطق ومقولات العقل البشري

غير ان هذا لم يمنع من ظهور مؤرخين كهردوت وتوسيدس عند اليونان ، وكابن خلدون عند العرب . فلقد صاحوا بملء فيهم ان استعملوا العقل في ابحاثكم التاريخية ؛ واربطوا حوادث التاريخ ربطا يتفق والمنطق السليم ، وحاولوا تعليل الحوادث واستكناه الاسباب والنتائج ، بل وتجراوا على استنباط القوانين التي يسير عليها هذا الكون ...

وانه لمن الطريف ان نستمع الى ابن خلدون ينتقد حادثة تتعلق بتاريخ بني اسرائيل ، يقول ابن خلدون في مقدمته ما معناه : لقد قال المسعودي ان جيوش بني اسرائيل بعد ان احصاها موسى عليه السلام في صحراء التيه ؛ واجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها ، هذه الجيوش كانت ستمائة الف او يزيدون . وانني استغرب كيف ان المسعودي تناقلها عن الذين سبقوه دون ان يمحصها ويفرضها على معيار العقل ، فكيف يعقل ان يتكاثر نسل بني اسرائيل في الفترة الواقعة بين اسرائيل وبين موسى ؟ ، وقد روى المسعودي نفسه ان اسرائيل دخل مصر مع ولده الاسباط واولادهم حين اتوا الى يوسف سبعين نفسا ، وكان مقامهم بمصر الى ان خرجوا مع موسى عليه السلام الى التيه ، مائتين وعشرين سنة ، تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة ... ويبعد ان يتشعب النسل في اربعة اجيال الى مثل هذا العدد ، وكذلك يبعد ان يتشعب النسل الى هذا الحد ان كان احصاء الجيوش قد وقع في زمان سليمان ... الخ

ولكن صيحات هؤلاء ، مع الاسف ، ذهبت سدى، ولم تجد لها صدى ، وكانها كانت سابقة لاوانها ، فلم تؤت اكلها وثمارها المرجوة . وهكذا بقي التاريخ جامدا حتى بعد ان ظهرت فكرة التخصص، وبالتالي ظل يعيش في كنف الفلسفة وما اتصل بها من آداب ، وبقي ، في امكان الفيلسوف او الاديب ، ان يؤرخ . اذ يكفي ان يكون اسلوبه شيقا وتعبيره طريفا وقريبا الى الذوق الادبي العام . ويكفي ان يكون فيه نوع من التعمق الفلسفي ، تابع لوجهة نظر الفيلسوف . وقد تكون هذه النظرة خاصة به، ولكنها على كل حال موجودة في كتاباته الفلسفية كما هي موجودة في كتاباته التاريخية او الادبية

ومع ذلك ، فقد شهد القرن الماضي ثورة في مفهوم التاريخ ، وذلك حين قامت الحفريات تسبر الاغوار ، وتميط اللثام عن آثار الاقدمين ، فتفحصها ، وتعرف الى اي زمان تعود ، والى اية حضارة تنتسب . وانها لعمري ، ثورة عنيفة على التواريخ التقليدية ، فلقد اتت هذه العمليات بنتائج علمية محمودة في الابحاث التاريخية فاثبتت احيانا ما ورد في كتب التاريخ القديمة ، وكذبت ما زعموا انه وقع احيانا اخرى ، وفسرت حوادث كانت غامضة المحتد ، مجهولة الاسباب والنتائج .

نعم ! ظهر فريق من الباحثين ارادوا ان يصبغوا الصبغة العلمية على الابحاث التاريخية والاجتماعية ، وكانت اعمالهم في البدء فردية ، الا انها ما لبثت ان اكتست حلة جماعية بفضل التئام الاكاديميات (المجالس العلمية) التي ضمت علماء من انحاء المعمور، وكان هؤلاء العلماء يتبادلون وجهات النظر فيما بينهم ، فاذا بها متقاربة ومتفقة في الجوهر ، ولا غرابة ، فالنظريات صادرة عن عقول مصقولة بصقال واحد ، « صقال الموضوعية في البحث العلمي» لقد اتفقوا كلهم على ضرورة ايجاد طريقة خاصة بالبحث التاريخي باعتباره علما من العلوم ، واتفقوا على تجريد التاريخ من **« العاطفة »** التي تمتاز بها الآداب واعطائه صبغة **« العقل »** صبغة العلم الحديث . وهذا ليس بالامر الهين ، لان العلوم الاخرى، كالفيزياء مثلا ، تعتمد على التجربة المادية في طريقتها ؛ وهذه التجربة يمكن تكرارها عشرات المرات ، فعندئذ تستنبط العلاقة او القانون .

في الامكان احداث حادثة فيزيئية (اسقاط جسم من اعلى لدراسة سرعته وزمان سقوطه... الخ) ولكن ليس في الامكان احداث حادثة تاريخية ، فالمؤرخ ينتظر وقوع الحادثة التي تعنيه ، لكي يدرسها ، واحيانا يدرس حوادث حدثت في الماضي ، وهنا تكون المهمة اشق من مهمة القاضي ، لان هذا الاخير – كما يقولون – يحكم على الاحياء بينما المؤرخ يحكم على الاموات .

ومهما يكن من الامر ، فان الوثائق التاريخية بنوعيها (المكتوبة او غير المكتوبة كالآثار المادية) هذه الوثائق اصبحت بعد قيام « الثورة » تشكل المادة الاساسية الاولى في البحث التاريخي . وبهذا المعنى يمكن اعتبار التاريخ علما له طريقته الخاصة ، وقد اسماها العلماء العرب « مصطلح التاريخ » تشبيها لها بمصطلح الحديث عند العلماء المسلمين ، واعترافا لهم بابتكار هذه الطريقة في البحث عن الاحاديث الصحيحة من الاحاديث المكذوبة

ولكن هل يشترط في العلم ان تكون له طريقة متفق عليها وحسب ؟ كلا ان العلم يهدف الى ايجاد قوانين تخضع للحتمية الطبيعية . فهل للتاريخ اليوم قوانين تخضع لهذه الحتمية ؟

نحن لا ندعي ذلك الآن ، ولكن من يدريك ؟ لعل ذلك قريب ، فالتاريخ — كعلم — لا زال في بدء ثورته ، وهو لم يقطع بعد تلك الاشواط البعيدة التي قطعتها العلوم الاخرى . ومع ذلك فقد استطاع بفضل تقدم العلوم المساعدة ، كعلم النفس وكعلم الاجتماع ، ان يكتشف بعض قوانين ، ان لم تخضع للحتمية فهي قاب قوسين او ادنى ، لانها تخضع لحساب الاحتمالات ، اي ان هذه القوانين تتحقق في اغلب الحالات .

ان هذا التطور الذي حصل في مفهوم التاريخ دعا العلماء الى تحديد طريقة العرض التاريخي ، ليصبح التاريخ اقرب منالا واكثر فائدة . وهذه الطريقة الجديدة لا تولي الناحية السياسية المقام الاول كما كان الشان في الماضي ، بل تهتم باشكال المجتمع وطبقاته وتطوره ومرافق حياته الادارية والاقتصادية والفكرية والفنية . وهذا ما يسمى بالناحية الحضارية . نعم كانت هذه الناحية الحضارية غامضة في التواريخ الاولى ، وكانت لا تعالج الا عرضا . اما اليوم فقد انقلبت الاية واصبحت هذه الناحية المحور الذي تدور عليه الابحاث التاريخية ، ولا نتعرض للناحية السياسية الا بقدر ما يساعدنا ذلك على تسليط الانوار على الناحية الحضارية

انني من ذلك لا اريد ان اغمط الكتب التاريخية القديمة حقها وقيمتها . كلا ! فالمؤرخون اليوم يولونها قيمة واية قيمة ، لانها مادة خام صالحة لاستخدامها في مصنع التاريخ الجديد . وما احوجنا — نحن المغاربة بالخصوص — الى مثل هذا العمل الجليل ، فخزائننا زاخرة بالكنوز العلمية الثمينة ولا تحتاج الا لمن يقلب صفحاتها ويغوص في اعماقها ليطلع علينا في الاخير بالحضارة المغربية الخالدة . فعسى أن يهتم شبابنا بهذا النوع من الثقافة ، وعسى ان تشجع حكومة صاحب الجلالة هذا الاتجاه الذي من شانه ان يخلق فينا ايمانا بانفسنا وايمانا بذاتيتنا وبقوميتنا .

عبد الحق [illegible]



من ضواحي مدينة « تطوان »

الطريق الضيقة

للسيد محمد المختار بن اباه

ان بناء استقلال امة لا يتم – فقط – بتشييد القصور وتعبيد الطرق واصلاح الجهاز الاداري والقضائي . فكل هذه المظاهر المادية ضرورية ، لكنها لا تغني شيئا ان لم تكن حياة المجتمع مدعمة بعادات وتقاليد مستمدة من سلطة الدين والاخلاق .

وان هذه العادات والتقاليد الدينية والخلقية ، لا تثبت في الروح ولا تطمئن اليها النفس الا اذا كانت منسجمة مع العقل الانساني من جهة ، ومع الحاجيات الضرورية للمجتمع من جهة اخرى .

فيجب الا نركن بتقاليدنا « للجمود » الذي يخل بحرية الفكر ، ويضع من رتبة العقل ، وان لا نميل الى « الجحود » الذي ينكر مغزى الروح وفائدة الوجود الانساني .

وان على الامة المغربية ان تكون ممنونة بالدور السامي الذي اختطته لنفسها في هذا الميدان مجلة **« دعوة الحق »** ، فانها قد قررت ان تسلك هذه الطريق الضيقة ، لتشارك في بناء حضارة فكرية اسلامية ترتكز على اسس صحيحة تتفق مع ماضي المغرب المزدهر ومستقبله الحافل بالآمال .

وقد اطلعت في هذه المجلة بارتياح على تلك القصة الرائعة التي كتبها الفقيه الاستاذ المختار السوسي ، والمقالات الرائعة التي اصدرها الزعيم علال الفاسي في هذا الموضوع .

ان الطريق بين « الجمود والجحود » تستحق اعتناء كتاب الامة المغربية ومفكريها . وذلك لان « الجمود » الذي اكتسحت موجته الشعوب الاسلامية منذ عدة قرون ، كان سببا في تسرب الاستعمار الى هذه الشعوب . وان « الجحود » الملاحظ اليوم لم يكن الا من مخلفات الاستعمار .

ان الاستعمار وان كان قد ارتفعت رسميا سيطرته السياسية من المغرب ، فانه قد تمكن في ظرف خمسين سنة من وضع سيطرة روحية فكرية ليست اقل خطرا من سيطرته السياسية .

ان مخلفاته الفكرية وان كانت يصعب احصؤها بالضبط ، يمكن ان نلخصها في هاتين النقطتين .

اولا – محو اللغة العربية واحلال اللغة الفرنسية محلها .

ثانيا – تشويه دين الاسلام ، وايهام ضعفة العقول من المسلمين ان مبادىء هذا الدين تتنافى مع العلم والترقي .

وقد كان لهذين العملين اثر عظيم في فساد التفكير

فان اللغة لم تكن وسيلة للتعبير عما في الفكر فحسب ، بل ان لها مجالا هاما في تكوين التفكير نفسه، لان الكلمة ومعناها لا يمكن تفرقتهما كما لا يمكن ان يفرق بين صفحتي ورقة واحدة . فاللغة ان قصد منها التعبير عن المعاني تابى حينئذ ان تكون لغة مستقلة « موضوعية » وانما هي لغة امة محدودة لان المعاني تختلف باختلاف البيئات والامم . فليس يمكن ان نتحقق مثلا ان كلمة **« الفن »** في اللغة العربية ولفظة « Art » باللغة الفرنسية ، تدلان على معنى واحد محدود ، وكذلك ايضا « الدين » و « Religion » كما بينه الاستاذ علال الفاسي .

فيظهر من هذا ان اللغة تفكير مستقل له معايره وقيمه الخاصة به .

فكان من المؤسف ان اللغة الافرنجية قد فرضت على الاجيال الناشئة في المغرب ، مع ما يتبعها من تفكير وقيم ومعاير ، حتى ان اكثر المتكلمين بالعربية انما يترجمون تفكيرهم الافرنجي ، ويزنون – كلما قدر لهم الحكم عنه – بالموازين التي استمدوها من هذا التفكير . ولهذا التفكير خطر فيما يمس العوائد والاخلاق . اما ما

يتعلق بالاسلام فان الاستعمار قد استعمل نفوذه المادي، وزاده بوسائل اخرى كانت اشد خطورة واقوى مباشرة .

1) عرف الاستعمار ان العصر الذهبي للعلم الاسلامي قد انمحى ، ونسي وان الجمود قد اوثق الحياة الفكرية في العالم الاسلامي منذ عدة قرون . فاستغل هذا الضعف وحمل على اعدائه المسلمين ليفرقهم .

فنظر الى من تصلب في الجمود وقال له: احسنت! اذهب الى الوراء! فطريقك هي المثلى ! ومال الى الشباب فقال له : انظر الى هذه الخرفات التي يعتنقها اباؤك والتي ليست من الحق في شيء . فنظر الشباب في الامر وفكر ، فوجد عقله لا يصدق الآباء ، ورأى في الافرنجية بزة ودعة ، فتحير هنيهة لم استسلم الى التفرنج الصريح . ولم يكن سبب استسلامه الا جهله التام بالاسلام ومبادئه الرئيسية وبالحضارة الاسلامية .

استسلم الشباب للحضارة المادية فلا يؤمن الا بها ، ولا تطمئن نفسه الا لما يجده عن طريق « العلم » ويرى ان العقل لا يصدق سوى ما اتى به العلم العصري الذي نلنا اليوم من فضله هذه الحياة الراقية المزدهرة ، وعاب على الاسلام كل ما خالف مبادىء الحضارة المادية ، فظن ان الاسلام لا يساير العلم ، وان نظامه غير ديموقراطي وانه منشا الجمود .

ولو كان المتهم نظر الاشياء في آناة وتؤدةلميز بين الاسلام وبين الخرافات التي الصقت به ، ولعلم انه هو المثل الاعلى للديموقراطية والعدل .

وسناخذ لهذ مثلا يمكن ان يرى غريبا ، غير انه يوضح صحة ما نقول : ناخذ مسالة الرق في الاسلام .

يتهم الغبي والمكابر ان الاسلام قد شرع الرق . والحق انه قد شرع الحرية ، اما الرق فقد كان مثبتا في دين اليهودية . واقرته المسيحية بعدها . فقد امر (بولس) العبيد ان يطيعوا ساداتهم بخوف ورعدة ، واوصى (بطرس) بمثل ذلك .

وكانت الفلسفة القديمة تومن بهذا الراي وتنحوه. فكان ارسطو يرى ان فريقا من الناس خلق للعبودية ، ويرى افلاطون منع العبيد في « جمهوريته الكاملة » من حقوقهم كمواطنين .

اما الاسلام فلم يبح منه الا ما هو مباح اليوم في جميع دول العالم . وذلك ان العبودية لا تثبت في الاسلام الا بعد الشروط التالية :

1) جهاد شرعي لاعلاء كلمة الحق
2) أسر وقع عن معركة
3) حكم الامام بعبودية من سبى **(فانما هم مساجين حرب)**

وهذا مما يدلنا على ان جل اوكل العبيد الموجودين اليوم ، لا يبيح الشرع ملكهم . فانظر في هذه المسالة مقالا قيما (لاحمد باب التونبكتي) قد استطرده (الناصري السلاوي) في (الاستقصا في تاريخ المغرب الاقصى)

وقد حارب الاسلام العبودية في شكلها ، فامر الناس ان يطعموا عبيدهم ، وان يكسوهم مما يكسون منه ، وان لا يكلفوهم في العمل مالا يطيقون .

كما حاربها فيمضمونها فجعل العتق اكبر الحسنات ، ومكفرا لجميع الخطيئات . كالحنث ، ومخالفة قسم الظهار ، والقتل خطا .

ومن قتل مومنا خطا **فتحرير رقبة مومنة** ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن **فتحرير رقبة مومنة** وان كان منقومبينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله **وتحرير رقبة مومنة .** « سورة النساء » .

اما كون الاسلام لا يساير العلم فانه لا يعتقده الا من « جمد » عن فهم الاسلام ، او « جحد » بسبب جهله لمبادىء هذا الدين وتاريخه .

فاهل « الجمود » يعتقدون خرافات ليست من الدين في شيء ، وانما هي من الخرافات التي ادخلها بعض من يدعي الاسلام من اليهود والفرس والنصارى وصدق بها اهل التقليد المحض .

واهل « الجحود » جهلوا ان كل هذه الخرافات قد هدمها المسلمون وتبراوا منها، كما جهلوا ان المسلمين هم الذين احيوا العلم اليوناني وجددوه بكل دقة وعناية، وساهموا بقدر هام في بناء الحضارة العالمية ، فمنهم من اكتشف « الرقاص » ومنهم اول من صنع كرة على مثل الارض ، كما انهم تمكنوا من تنظيم امبراطورية من بلاد السند الى الاندلس ، ولم ياتها الاخفاق الا من تدخل الاتراك الذين بدلوا النظام الذي اسسه مسلمو العرب، فحولوا مجرى التاريخ ومالوا بالامة عن سواء السبيل ، حتى اتى مجددو التفكير ومبينو طريق الاصلاح .

محمد الأمين ولد البناء

الأخطل وعبد الملك

بقلم محمد برادة

ظاهرة تستحق التعليل تلك التي تطالعنا عندما نقرا عن حظوة الشاعر النصراني ابي مالك غياث بن غوث ، والشعر الذي هجا به الانصار ، وتشبثه بشرب الخمرة ووصفها ، وتفضيلها على ملك امير المومنين .

واظن اننا باستقراء الحوادث التاريخية وقصائد الاخطل بن عبد المالك ، نستطيع ان نجد نوعا من «الطبيعية» في هذه الظاهرة .. الا ان سؤالا يفرض نفسه علينا ـ خاصة بعد الاطلاع على حياة عبد الملك بن مروان قبل خلافته وبعدها ـ وملاحظة التغير المناقض الذي طرا على نفسيته بعد ان تسلم الملك ـ .. هذا السؤال هو :

ايهما اقوى : الواقع ام المثل ؟ واقع الحياة وتحكم الظروف ، ام المثل التي ينسجها الانسان بعيدا عن الفعل والعمل قبل ان ينغمر في دنيا الناس ؟

ومهما يكن الجواب عن هذا السؤال ـ ولعل هذا بعيد عن ميداننا ـ فان علاقة عبد الملك بالشاعر النصراني هي في جوهرها تشخيص لاحدى الحالات التي ينتصر فيها الواقع على المثل .

نستطيع ان نتخيل عبد الملك بن مروان في بلاطه بدمشق ، مساء احدى الايام ، وقد تصدر المجلس ، وسمح للشعراء بالدخول ليسمعوه مديحهم .. وتقدم الاخطل فطلب منه عبد الملك ان ينشده فاجاب :

ـ يبست حلقي فمر من يسقيني
ـ اسقوه ماء
ـ شراب الحمار، وهو عندنا كثير ياامير المومنين
ـ فاسقوه لبنا
ـ عن اللبن فطمت
ـ فاسقوه عسلا
ـ شراب المريض
فقال عبد الملك وقد نفد صبره : فتريد ماذا ؟
ـ خمرا يا امير المومنين
ـ او عهدتني اسقي الخمر لا ام لك ، لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت

ويستمر صاحب الاغاني فيقول : (فخرج ، فلقي فراشا لعبد الملك فقال : ويلك ان امير المومنين استنشدني وقد صحل صوتي ، فاسقني شربة خمر، فسقاه فقال : اعدله بآخر فسقاه آخر فقال : تركتهما يعتركان في بطني ، اسقني ثالثا ، فسقاه ثالثا فقال : تركتني امشي على واحدة ، اعدل ميلي برابع ، فسقاه رابعا ، فدخل على عبد الملك فانشده :

خف القطين فراحوا منك او بكروا
وازعجتهم نوى في صرفها غير

فقال عبد الملك : خذ بيده يا غلام فاخرجه ، ثم الق عليه من الخلع ما يغمره ، واحسن جائزته ، وقال: ان لكل قوم شاعرا ، وان شاعر بني امية الاخطل) .

فما هي الظروف التي مكنت لشاعر مسيحي ان يطلب من امير المومنين ان يسقيه خمرة في مجلسه ، والتي سمحت له «ان يجيء وعليه جبة خز وحرز خز، في عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب ، تنفض لحيته خمرا حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير اذن ؟»

ان الجواب على هذا السؤال يقتضي منا الرجوع الى التاريخ . واول ما نلاحظه ان عبد الملك ثاني خليفة بعد انتقال الملك من فرع السفيانيين الى المروانيين ، ويوم تسلم الخلافة كانت المعارضة على اشدها يقودها عبد الله بن الزبير في الحجاز ، واطراف المملكة مهددة من طرف البيزنطيين والفرس .. واذن فالبركان كان ينذر بالانفجار في كل حين ، فكانت الظروف تفرض على عبد الملك ان يعمل على قمع كل معارضة ليعيد الطمانينة الى المملكة الفتية .. وفي مثل هذه الظروف تكون كل مساعدة يتقدم بها الآخرون مقبولة . وقد

ابدت قبيلة تغلب استعدادها لنصرة عبد الملك كما نصرت اباه في وقعة مرج راهط ، فقاومت معه القيسيين (لان ذلك يوافق مصالحها كما سنبين فيما بعد) وساعدته في القضاء على الثورات الداخلية . وقد حفظ لهم عبد الملك هذا الجميل ، فعاملهم معاملة حسنة ، وتسامح معهم في الناحية الدينية الى ابعد حدود التسامح .

والاب لامانس يعلل هذه الظاهرة بقوله : «يجب ان نعترف بأن هؤلاء الملوك (يقصد الامويين) يظهرون في التاريخ الاسلامي كظاهرة تستحق التعليل ، فكل اجدادهم واخبار عائلتهم تشارك لتجعل منهم مسلمين جد فاترين .. فأبو سفيان والد مؤسس هذه الملكية ، قد حارب محمدا حربا شعواء ، واخر انتصار الاسلام عشرين سنة» .

فهو يرجع تسامح الامويين مع القبائل المسيحية الى كون تاريخهم القديم موصوما بالمعارضة الشديدة للاسلام والى ان اثر ذلك بقي كامنا حتى ظهر حينما تقلدوا امور الحكم ..

وارى ان هذا التفسير غير مقنع ، فقد يكون من المعقول ان يعارض ابو سفيان النبي في اول دعوته ، لانه اتى بعقيدة جديدة ، والعربي اشد ما يكون اخلاصا لتقاليده ومعتقداته ، فمقاومته لدعوة النبي في اول الامر كانت رد فعل ، وارى ان موقف الامويين من المسيحيين فرضته عليهم ظروف خاصة يمكن ان يوضحها لنا موقف عبد الملك فقد كان قبل ان يتولى الخلافة في منتهى التقوى والتعبد كما كتب عنه ابن الطقطقي في كتابه «الفخري» : (وكان عبد الملك قبل الخلافة احد فقهاء المدينة ، وكان يسمى حمامة المسجد لمداومته تلاوة القرآن ، فلما مات ابوه وبشر بالخلافة اطبق المصحف وقال : هذا فراق بيني وبينك ، وتصدى لامور الدنيا) .

فنحن نرى انه كان متدينا قبل ان يتولى الخلافة ولكن «امور الدنيا» واعباء الحكم هي التي صرفته عن تقواه .

ومما يؤكد هذا ما رواه صاحب كتاب الفخري ايضا «ومن طريف ما وقع في ذلك ان عبد الملك ، لما ارسل يزيد بن معاوية الجيش لقتال اهل المدينة وغزو الكعبة ، امتعض عبد الملك من ذلك غاية الامتعاض وقال ليت السماء اطبقت على الارض . فلما صار خليفة فعل ذلك واشد منه ، فانه ارسل الحجاج لحصار ابن الزبير وغزو مكة» .

فهذا يدلنا على تغير في شخصية عبد الملك ، منشاه الظروف الجديدة التي اصبحت تحيط به : فهو جالس على عرش مهزوز ، وفي سبيل تدعيم اركانه استباح ان يهاجم الكعبة التي هي اعظم رمز عند المسلمين .

سبب آخر جعل (التغلبي) وشاعرها الخطوة عند عبد الملك .. ذلك ان مهمة الشعر في هذه العصور كانت بالغة الاهمية ، تشبه بحق ــ كما عبر عن ذلك احد المستشرقين ــ الصحافة في ايامنا ، فالشعر هو الذي يسجل مآثر الخليفة ويشيد بخصاله ، فتطير شهرتها في كل البقاع . وعبد الملك كان في امس الحاجة الى شاعر يذيع بين الناس انه احق بالخلافة من غيره ، وانه اصلح لها من منافسيه . ولعل مسيحية الاخطل كانت تعد ميزة عند ملوك بني امية ، لان ذلك مما يساعدهم على مهاجمة اهل البيت والانصار ــ خصومهم ــ الامر الذي لايجسر عليه شاعر مسلم ، وهجاء الاخطل للانصار مشهور ، خاصة البيت الذي يقول فيه :

ذهبت قريش بالمكارم والعلى
واللؤم تحت عمائم الانصار

يضاف الى هذا ان الفرزدق وجريرا وهما ابرز شعراء ذلك العصر ، كانا موضع اهمال من عبد الملك (فالفرزدق مغرور شديد الاعتداد بنفسه ، تياه بنسبه ، وعهد الامويين بتطاوله على معاوية بن ابي سفيان ليس ببعيد ، وقد شغل الى ذلك بمدح ولاة العراق وهجائهم واستنفدت مفاخر قومه مجهوده الشعري ، واستغرقت مصالح تميم نشاطه السياسي ، فلم يفد على عبد الملك طول خلافته ، واكتفى بمدحه في بعض شعره الذي يمثل صلته ببعض العمال ، فلا جرم وقد ابتعد هذا الشاعر الكبير عن مقر الخلافة ان يزداد نجم الاخطل تالقا وبزوغا . اما جرير فكان عبد الملك غاضبا عليه لان قومه بني يربوع كانوا من دعاة ابن الزبير ، ولانه كان يدافع عن القيسية في شعره ويتغنى بانتصاراتهم ويؤيدهم فيما قاموا به من حروب . وزاد عبد الملك نفورا منه ، انه بالغ في مدح الحجاج مبالغة ضؤلت معها شخصية عبد الملك ، حتى تبدى الحجاج وكانه ملك متوج على العراق ، لا وال من قبل الخليفة بالشام) .

واذا انتقلنا الى تاريخ قبيلة (تغلب) في هـذه الفترة ، نجد ان علاقتها بقيس قد ساءت عندما اخذ رجال عمير بن الحباب يستاوون جواري تغلب، ولايحترمون شيوخهم، ويستعدون على قطعان مواشيهم .. وعندما كانوا يقدمون شكاتهم الى (زفر) كان يرفض مطالبهم ، ثم اسفر عن نيته فدعاهم الى الدخول فـي طاعة ابن الزبيـر ..

ولما كان الدافع لتحالف تغلب مع قيس هو دافع العصبية القبلية والمصالح المادية ؛ فقد رات تغلب فـي دعوة زفر ما يضر بمصالحها ، فآثرت التشبث بولائها للبيت الاموي لان مصالحها مرتبطة بالشام ، وكذلـك موقعها الهام من حيث الطرق التجارية المؤدية الـى الهنـد .

وكان رفض تغلب لعرض زفر بن الحارث، سببا في سلسلة من المعارك خسرت فيها تغلب الكثير من الرجال والاموال ، وواضح ان هذه الحرب بين القبيلتين كانت في صالح الامويين ، فقد اتاحت الفرصة لعبد الملك لان يتهنا ويجمع عدده . وكانت اولى خطواتـه محاصرة القيسيين في (قرقيسياء) ثم حاول ان يقيم صلحا بين القبيلتين ، ولكنه لم يكن سوى صلح مؤقت يخرق كلما عاود احدى القبيلتين حنينها الى الانتقام :

فقد ينبت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيا

* *

بعد ان عرفنا الظروف التي كانت تحيط بالخليفة عبد الملك وبالقبيلة المسيحية ، ننتقل الى شعر الاخطل لنرى مدى تأثير ذلك فيه .

اول ما نلاحظه ان الشعر الذي قاله الاخطل في عبد الملك لايتجاوز ثلاث قصائد وبعض المقطوعات التي قالها في المناسبات .. وهو شعر قليل بالنسبة الى ما كان يغدقه عبد الملك على الاخطل ، وبالنسبة الى الزمن الذي استمرت فيه علاقتهما .

والقصائد حسب ترتيب الدكتور مصطفى غازي كما يلـي :

الا ياسلمى ياهند هند بني بـدر
وان كان حيانا عدى آخـر الدهـر

ثم تليها قصيدته المشهورة التي ادعى انه انفق سنة في نظمهـا :

خف القطين فراحوا منك او بكروا
وازعجتهم نوى في صرفها غيـر

ثم القصيدة الثالثة :

لعمري لقد اسريت لا ليل عاجز
بساهمة الخدين طاوية القـرب

والطابع العام لكل من هذه القصائد يظهر في اربعة اغـراض :

1) الاستهلال بالغزل ووصف الخمر
2) مدح الخليفة وذكر اعماله
3) الافتخار بقبيلته تغلب وبتأييدها للامويين
4) هجاء قيس والقبائل الموالية لها او هجاء جرير .

والاخطل في مدحه لعبد الملك يقرر – قبل كل شيء – تأييد الله له وجعله خليفة في الارض :

الى امرىء لاتعرينا نوافلـه
اظفره الله فليهنا لـه الظفـر

الخائض الغمر والميمون طائره
خليفة الله يستسقي به المطر

والمستمر به امر الجميـع فما
يغتره بعـد توكيد له غـرر

وينتقل بعد ذلك الى وصفه بالكرم ، فيأتي بصورة الفرات عندما تجيش امواجه ، وينطلق سريعا من جبال الروم ، ويؤكد بأن الفرات بصورته هذه ليس اجود من عبد الملك ولا اروع منه .. ثم يبين بلاء عبد الملـك وقضاءه على عصيان اهل العراق :

ثم استقل باثقال العراق وقد
كانت له نقمة فيهم ومدخـر

حتى اذا ما انتهى من شخص عبد الملك ، انتقل الى مدح بني امية عموما ، فنجده يحشد الصفـات الكريمة التي كان العرب يعتزون بها :

حشد على الحق عيافو الخنا انف
اذا الـمّت بهم مكروهـة صبـروا

وان تدجت على الآفاق مظلمة
كان لهم مخرج منها ومعتصر

اعطاهم الله جدا ينصرون به
لا جد الا صغير بعد محتقر

شمس العداوة حتى يستقاد لهم
واعظم الناس احلاما اذا قدروا

وعند هذا الحد يلتفت الى قبيلته ليذكر دورها في تأييد بني امية عامة وعبد الملك بخاصة :

بني امية قد ناضلت دونكم
ابناء قوم هم آووا وهم نصروا

افحمت عنكم بني النجار قدعلمت
عليا معد وكانوا طالما نصروا

حتى استكانوا وهم مني على مضض
والقول ينفذ ما لاتنفذ الابر

بني امية اني ناصح لكم
فلا يبيتن فيكم آمنا زفر

واتخذوه عدوا ان شاهده
وما تغيب من اخلاقه دعر

ان الضغينة تلقاها وان قدمت
كالعر يكمن حينا ثم ينتشر

وقد نصرت امير المومنين بنا
لما اتاك ببطن الغوطة الخبر

فهو يدل على الملك بهجائه للانصار ايام معاوية رغم حرمتهم وما كاد يتعرض له من الاذى ، ثم يتطرق — في نبرة قوية — الى نصح بني امية بابعاد عدوقبيلته (زفر) لانه لايؤمن له بجانب .. كما يشير الى وقوف قبيلته بجانبه عندما اتاه خبر توليته بالغوطة .. وقبل ان يختم قصيدته عرج على جرير وقومه فاصلاهم من لسانه هجاء مرا لانهم يدافعون عن القيسية :

اما كليب بن يربوع فليس لهم
عند التفارط ايراد ولا صدر

مخلفون ويقضي الناس امرهم
وهم بغيب وفي عمياء ما شعروا

الآكلون خبيث الزاد وحدهم
والسائلون بظهر الغيب ما الخبر

صفراللحي من وقود الادخنات اذا
رد الرفاد وكف الحالب القرر

ثم الاياب الى سود مدنسة
ما يستحين اذا ما احتكت النقر

واقسم بطن المجد حقا لايحالفهم
حتى يحالف بطن الراحة الشعر

وهذا التقسيم الذي اتبعه الاخطل في هذه القصيدة يكاد يتكرر في القصيدتين التاليتين :

فهو في قصيدة «الا ياسلمي ياهند» يختمها بمدح قبيلته :

تخل ابن صفار فلا تذكر العلا
ولا تذكرن حيات قومك في الذكر

فقد نهضت للتغلبيين حية
كحية موسى يوم ايد بالنصر

وهكذا كان شعر الاخطل في عبد الملك توفيقا بين مصالح الدولة الاموية ، وبين مصالح قبيلته تغلب، فلم يدع فرصة تمر دون ان يندد باعداء القبيلة ، وبالاعمال الوحشية التي انزلوها بها ، ويلتمس من الخليفة ان يأخذ لهم ثأرهم .. ومن ناحية اخرى كان يتوخى في مدحه ان يثبت شرعية خلافة بني امية ، لانهم خففوا القيود التي فرضها عمر على المسيحيين من قبل ، ولان التغلبيين عرفوا في عهدهم تسامحا دينيا بعيد المدى .

والذي يؤكد لنا ان حسن العلاقة بين عبد الملك والاخطل كان سببه الرئيسي تلاقي مصالح الخليفة مع مصالح القبيلة ، هو ما نراه من تحول في معاملة الوليد بن عبد الملك للتغلبيين . الامر الذي جعل مدح الاخطل يأتي في نغمة ذليلة :

وقد حلفت يمينا غير كاذبة
بالله رب ستور البيت ذي الحجب

وكل موف بنذر كان يحمله
مضرج بدماء البدن مختضب

ان الوليد امين الله انقذني
وكان حصنا الى منجاته هربي

ذكر ان الوليد غير معاملته مع النصارى فنزع من نصارى الشام كنيستهم في دمشق وحولها الى

الجامع الاموي .. فالحالة في عهد الوليد تختلف عن عهد أبيه ، فقد استقرت امور الدولة الداخلية وقوى نفوذها في الخارج ، فكان من مصلحته ان يتشدد مع المسيحيين حتى يكسب ولاء المسلمين في الاقطار التي كانت تناوىء بني امية من قبل .

اما عن القيمة الفنية لمدائح الاخطل في عبد الملك فيجب ان نسجل الملاحظة التي ابداها احدالمستشرقين عن الناحية الشكلية للشعر العربي بعد الجاهلية حين قال ما ترجمته :

«ان قاعدة الوحدات الثلاث (يقصد الزمن والمكان والعمل في المسرحية) لم تقيد كتاب التراجيديا الفرنسيين للقرن السابع عشر ، بمثل القيود التي كبلت بها الاشكال المتخلفة عن العصر الجاهلي ، الادباء العرب للعهد الخليفي» .

فلا شيء في الشكل ـ عند الاخطل ومعاصريه ـ اختلف عن الجاهلية لا من حيث الاوزان ولا من حيث الاسلوب .. والتجديد الذي طرا على الشعر الاموي منحصر في بعض نواحي المضمون ، وفي استعمال الفاظ جديدة ، وذلك نتيجة للتغيرات الاجتماعية والدينية والسياسية التي تعرض لها المجتمع العربي

فنحن نجد الاخطل يصور الصراع الذي كان قائما بين الامويين والزبيريين ، وتعبئة عبد الملك للجهود ، حتى اخمد نار الفتنة في العراق وقضى على الروم :

وفي كل عام منك للروم غزوة
بعيدة آثار السنابك والسرب

يطرحن بالثغر السخال كانما
تشققن بالاشلاء اردية العصب

كما استطاع ان يدافع عن حق الامويين في الخلافة فربطه بالجهود التي بذلوها للاخذ بثار عثمان ، واغدق عليهم صفات تجعلهم اهلا لتدبير شؤون المسلمين

والاخطل متاثر بالشعر الجاهلي يتتبع خطواته ويتمسك برصانته ، وقد لاحظ ذلك ابو عبيدة فقال : «الاخطل اشبه بالجاهلية ، واشدهم اسر شعر ، واقلهم سقطا» وكان متاثرا خاصة بالنابغة الذبياني ، وعنه اخذ الاستدارة في قول النابغة :

فما الفرات اذا هب الرياح له
ترمي غواربه العبرين بالزبد

يمده كل واد مترع لجب
فيه ركام من الينبوت والخضد

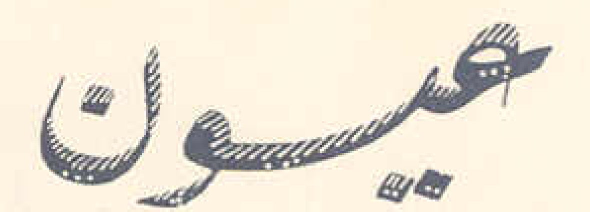
يظل من خوفه الملاح معتصما
بالخيزرانة بعد الاين والنجد

يوما باجود منه سيب نافلة
ولا يحول عطاء اليوم دون غد

على ان للاخطل ميزاته الخاصة ، مثل التاني في صياغة قصائده ، وتجويدها ، والاهتمام بالمقدمات والاستطراد الوصفي ..

من كل ما تقدم نرى ان الحظوة التي كانت لتغلب وشاعرها عند عبد الملك ، لم يكن سببها ما عرف به الامويون من معارضة للرسول في اول دعوته ، او ما اشيع عنهم من رقة اسلامهم .. وانما كانت هناك مصالح وظروف دفعت الامويين عامة وعبد الملك خاصة الى ان يتسامح مع التغلبيين في دياناتهم ، وان يهتم بشؤونهم ليظلوا مساندين له .. والاخطل عرف ذلك فاصبح بمثابة السفير لقومه في بلاط عبد الملك ، ينافح عن مصالحهم ، ويهدد اعداءهم ، واعانته على تادية مهمته مقدرة فنية جعلته احد اركان الثالوث الشعري المشهور في ذلك العصر .

محمد برادة



للشاعر: محمد الحلوي

الى زهرة لم تنلها يد ، ولا رشفت من لماها شفة

يا عيونا الهمتني الشعر والحب جديدا وقد نسيت الغراما
يا عيونا سهرت من سحرك الليل أعاني من طوله الآلاما
يا عيونا اسبلت من اجلها دمعي وحاكيت في بكاي الحماما
فقت في النوح ربة الطوق في الروض وفي الدمع اشبهتني اليتامى
يا عيونا يضم اهدابها النوم فتغري ظلالها الاحلاما
انعمي في سباتك الحلو وليسعدك أن تحرمي جفوني المناما
بين جفنيك ضاع عقلي وقلبي فاعذريني اذا اضعت الزماما
فاذا بي ارجوحة بين عينيك وكفيك لا تطيق مقاما
واذا بي في موكب الحب أمشي من جديد ارتل الانغاما
سرت ـ لا طائعا ـ لاشرب في الحب كؤوسا جرعتها اياما
لاغني لغادة لا يراها الورد الا وفتح الاكماما
اسكب الشعر في مسامعها عذبا واروي لها هواي غلاما
كالنسيم العليل خفة روح ، وهي كالروح رقة وانسجاما
جال فيها الجمال والسحر حتى ادركا مقلتين منها فناما
غارت الشمس من بهاها فصاغت من ضياء لوجنتيها لثاما

❊

انكرتني وقد شكوت اليها ما اعاني واوسعتني ملاما
حسبتني شيخا اعمم راسي وارى الحب في الحياة حراما
ما درت ان سحرها يدع الأسد حيارى ويصرع الاهراما
لست انسى وقد اطلت من الشباك يوما حسبته اعواما
نظرت ثم اغلقت دوني الباب فاورت بين الضلوع ضراما
منتهى جودها على ابتسام ، ومن العطف ان تنيل ابتساما
فاذا الجود هزها هزت الراس لراسي تحية وسلاما
كلما تقت للحديث اليها عن غرامي القينني تمتاما
كم اضاع المحب من خجل الحب حديثا اعده وكلاما !

❊

لا تخلني في حبها عبد لذاتي وذئبا اطارد الاغناما
حسب نفسي منها سويعة انس وحديث ينسي النديم المداما
فاذا انعمت لثمت يديها وشممت الورود والاكماما
ما الذي ضرها وقد حرمتني ثغرها ان اقبل الاقداما ؟
من رسولي الى المليكة اخت الشمس اني قد ذبت فيها غراما ؟

محمد الحلوي



كان مساء .. وكان برد وهواء وكان صوت العاصفة يدوي في الفضاء . وكان صديقي يسير مخيفا كالشبح . قاتما كافكار المتشائمين والظلمة حوله كثيفة كئيبة توحي الحزن ، وتبعث الهلع ، فقابلته صدفة فقال لي والدموع تنهمر من عينيه :

تشتري مني ذكرياتي ؟ قلت : بكم يا صديقي ؟ فقال :

بنجمة لامعة وكوكب مضيء
ينير لي السبيل علي اعثر على نهر النسيان
فلويت وجهي عنه وانا اقول :
بطيئا بطيئا سيظهر لك النساء
وتبدو الكواكب ضاحكة في السماء
فتعثر على نهر النسيان

❋

كان الجو متلبدا بالغيوم
والريح تهذي هذيان المحموم
والكآبة شاملة قاتلة
والسآمة من حياته المظلمة مائلة
فزلت به قدمه فشكا
ووجد نفسه طريح ارض جدباء فبكى
ولما التفت حوله
وجد شيخا يرثي لحاله
ويبكي لماله فالتفت اليه قائلا
اشتر مني ذكرياتي ؟
فقال الشيخ بكم يا بني ؟ فقال
بنجمة لامعة وكوكب مضيء
ينير لي السبيل علي اعثر على نهر النسيان
فلوى الشيخ وجهه وهو يقول :
بطيئا بطيئا سيظهر لك النساء
وتبدو الكواكب ضاحكة في السماء
فتعثر على نهر النسيان

❋

سرى المسكين في الليل وحده
وقد بلغ منه الالم اشده
سرى والمطر ينهمر انهمارا
وينتشر على جسده انتشارا
وهو في اسمال بالية وضلوعه ذاوية
وهو في قشعريرة قاسية وعيون باكية
واذا برجل كالح الوجه امامه
قد ركب فرس التعاسة والجهامه

فقال له

اتشتري مني ذكرياتي ؟
فصاح فيه الرجل بكم ، فقال
بنجمة لامعة وكوكب مضيء
ينير لي السبيل علي اعثر على نهر النسيان
فلوى التعس وجهه وهو يقول :
بطيئا بطيئا سيظهر لك النساء
وتبدو الكواكب ضاحكة في السماء
فتعثر على نهر النسيان
آوى الى ركن ناعم ليتقي الخطر
خطر العاصفة وعنف المطر
فوجدناه ذاويا امتصته السنون
واكلته الاحزان والشجون
والتفت اليه قائلا ايها الجمال :

اتشتري مني ذكرياتي ؟
فقال الجمال الداوي بكم ؟ فقال
بنجمة لامعة وكوكب مضيء
ينير لي السبيل علي اعثر على نهر النسيان
فلوى وجهه وهو يقول :
بطيئا بطيئا سيظهر لك النساء
وتبدو الكواكب ضاحكة في السماء
فتعثر على نهر النسيان
والتفت فوجدت صديقه القديم
ورفيق صباه الكريم

وقد غارت نظرتاه — وذبلت وجنتاه
واكل الزمن شبابه — وهدت الاحزان اعصابه

فقال له :
اتشتري مني ذكرياتي ؟
فاجابه بكم يا صديقي ؟ فقال
بنجمة لامعة وكوكب مضيء
ينير لي السبيل علي اعثر على نهر النسيان
فلوى الصديق وجهه عنه وهو يقول :
بطيئا بطيئا سيظهر النساء
وتبدو الكواكب ضاحكة في السماء
فتعثر على نهر النسيان

وصاح

آه يارب حياتي ومماتي
لم اجد من يشتري مني ذكرياتي
بنجمة لامعة من نجومك
وكوكب مضيء من كواكبك
علي اعثر على نهر النسيان
فاعني ياالاه التعساء المحرومين
والاه السعداء المجدودين

يا الاه النور والظلمة
وباعث الفرحة وكاشف الغمة

❊

وفجاة بدا نور متلالىء مهيب
له اريج عبق ولون غريب

وصاح يا بائع الذكريات
ايها المثقل بالآلام والحسرات

اية قيمة لذكرياتك بين الذكريات
حتى تطلب ثمنا تعجز عنه الخيالات

اتظن نفسك فى هذه الدنيا الوحيد
الذي يحمل ذكرياته بقلب عميد؟

وتقدم صديقي فى رقة المحب وخضوع الذليل
وصاح ، وحق رب القوة والضعف والكثير والقليل

ذكرياتي ثمينة غالية — لانها نتيجة تجارب قاسية
فيها دموعي والامي — وفيها ضحكاتي وابتسامي
فيها افكاري واحلامي — وفيها شعوري واوهامي

ولكنها ايها النور الحبيب تهد كياني هدا
وتذيب اعصابي وتفني قوتي جدا

فصاح النور اتبعني ايها المسكين
فادلك على نهر النسيان

ومضى النور وصاحبي يسيران
وحدهما في ليلة حافلة بالاحزان

يسيران وغايتهما نهر النسيان
ووسيلتهما ركوب متن الزمان
آه من الزمان
الزمان

عبدالكريم بن ثابت



راعه منظر الصباح الباسم، فترك نايه جانبا واستسلم للظنون فى تفكير عميق

ما لهذا الراعي لا ينفخ نايه
واجما يحنو على هذا القطيع — فى خشوع
ماله حيران لا ينشد غاية
هائما بين نسيمات الزهور — فى البكور

ما له اطرق فى صمت مريع
يتلهى عن تباشير الصباح — بالنواح
اخرست فيه اناشيد الربيع
ذكريات تنفث السم النقيع — فى الضلوع

ما له قد ضاق بالكون الرحيب
فاذا الكون فى عينيه غريب — ومريب
واذا المرعى ـ مع الحقل ـ جديب
يبعث الاشجان فى القلب الكئيب — والندوب

كان فى المربع كالطير الغراد
يتغنى باهازيج الغرام — فى هيام
فاذا الدنيا فنون تستجد
تتهادى فى اتساق وبهاء — ورواء

كان فى غابته صبا طروبا
مستهام الروح لا يشكو ندوبا — او كروبا
لا ، ولا حزنا ، ولا دمعا سكوبا
انما الغاب نعيم وسرور — وحبور

كانت الازهار تستوي فؤاده
وخرير النهر يوحيه السعادة — والتوآدة
فاذا الالحان فى فيه شهادة
رجع الناي على الدنيا صداها — فسباها

كان فى المرعى قصيدا يتبختر
واقاريد من الحب المعطر — تتبعثر
فاذا القطعان للاعشاب تجتر
فى اشتهاء وانتشاء وتمهل — وتدلل

كان يمضي لبعيد من هنا
ليس يدري من دنا الناس منى — او هنا
انما الدنيا دناه ، والمنى
نايه ، واللحن زاد وغنى — مجتنى

ومضى هيمان لا ينشد شيا
نابذا عالمنا ركنا قصيا — يتهيا
لاغانيه تناجيه سميا
يتقصاها مع الفجر مليا — فى حميا

ورنا يوما الى الوادي الخصيب
منشدا لحن الرعاة المستطاب — كالرضاب
فاذا اللحن على فيه يذوب
واذا الوادي على اللحن الحبيب — لا يجيب

ها هنا شيء ولكن أي شيء
ها هنا لحن غريب ونداء
وحداء
رجع الوادي صداه والدوى
فانحنى الراعي وغامت مقلتاه
اسفاه

اي خطب دهم الوادي الوديع
كان حتى الامس فردوس النجاة
للرعاة
فاذا الفردوس برد وصقيع
اخرس الراعي واودى بالربيع
والجذوع

وارتمى الراعي على الناي يضمه
في حنان زاخر يذكي اللهيب
في القلوب
ورنا للافق ، والافق يهمه
يستدر العطف للقلب الكسير
والضمير

كان يهوى الغاب والنهر النمير
لا يرى الدنيا سوى لحسن بديع
للقطيع
والمروج الخضر كون ، والغدير
قصة الاجيال تحكي في ممات
كل آت

كان دوما يتغنى بالحياة
غارقا في لجة من برحاه
واساه
غافلا عن كل شيء ما عداه
انه اغنية الحب الوليد
في الوجود

ومضى عهد الزهور الضاحكات
للغدير الثر والطير الصدوح
في جموح
وكسا الغاب شموس محرقات
فاذا كل ربيع قد مضى
وانقضى

وانتهى الامر فقد اقوى الربيع
وذوى الزهر وقد غاض الغدير
والخرير
والشميات على الوادي الوديع
جاهمات تلفح الشط النضير
بالهجير

واستوى الراعي كئيبا يتلوى
هاله ما حاق بالغاب البديع
والربيع
وبكى دمعا عصيا وتروى
فرأى كل الاماني سخريات
في الحياة

وعلا الربوة اسوان كسير
يسأل الماضي والماضي سحيق
وسحيق
فاذا الاصداء تجتر الزفير
تندب الاحلام والراعي الغرير
في هدير

فرمى الناي بعيدا وانتهى
يسأل الغابة عونا اوجدى
او هدى
فاذا الغابة خرساء ، سها
كل ما فيها عن الراعي لامين
في سكون

واتى الكوخ حسير النظرات
ينشد الراحة فيه والنجاة
ضيعتاه
لم يجد في الكوخ الا ذكريات
غائمات في سما الماضي البعيد
في شرود

هاله يا ويحه الوادي الجديب
فبكى عالمه الغالي الرحيب
بالغروب
وتمنى لو غفا الدهر المريب
ساعة يذكر فيها ما مضى
وانقضى

وشجاه الصمت في الدنيا الامينة
فتولاه ابتآس واضطراب
وارتياب
يا له الله اتضنيه السكينة
بعد ان هام بها طول السنين
في جنون

ما له غضبان يحتد زفيره
ويهيج الحزن في القلب سروره
وحبوره
وتمنى ما ترجاه يثيره
خانه الحظ واودى بغداته
وحياته

اين منه الثغر بسام الرواء
ساحر الاشراق وضاح البهاء والسناء
اين منه الجفن مجلو الضياء
رائق البشر كاحلام الذكر في السحر

اين احلامك يا حلم السنين
هامسات بين اطياف الظلال في ابتهال
بالمنى ، بالحب ، بالشوق الدفين
في قلوب ظامئات للحياه والشفاه

ما لمزمارك يا راعي تحطم
امن الحانك يا راعي تيتم فتهشم
ام بانفاسك يا راعي تهدم
انا حيران، فالهمني الجوابا والصوابا

ويك غن الحب لحنا قدسيا
واترك الدنيا وما فيها قصيا ثم هيا
ننشد الحب نشيدا ابديا
ونناغي الكون اسرار الاماني والتداني

هيا فالدنيا بيان في بيان
والاماني سوف تمضي كالسراب للخراب
والليالي مثل احلام الشباب
ليتها كانت ، فيا هول المصاب في الشباب

هيا سلينا وناغينا اللحونا
نحن للحب خلقنا لا نبالي بالليالي
واسقنا خمرك تنسينا الشجونا
فالدنا كاس وحب وفتون ومجون

عبد الكريم بلمزواري



من بحيرة « دار السلام » انبثقت بالليل « نيران صناعية » احتفالا بالاعياد الثلاثة المجيدة ؛ عيد الانبعاث وعيد الاستقلال وعيد العرش .



عسعس الليل ، وغار النجم في قلب الزمان
وسجا الكون ، واصغى لانين الحيوان
وتلاشت في دجى الاحلام اضواء الاماني
وغفا الوادي ، وناداني اليك الفرقدان
ثبت اللهم اقدامي ، وصلني بالامان
وابعث الايمان في قلبي ، اذا شك عراني
والطمأنينة في نفسي اذا روع دهاني

❋

رب هب لي من لدنك القصد في سبل حياتي
وازرع الايمان في قلبي ، وانبت ثمراتي
في سواد الليل ، في فحمته ، في الظلمات ..
في دياجي المحن الحلولكات الكالحات :
سوف تبقى لك يا ربي – ترانيم صلاتي

❋

سوف أمضي الدهر وحدي هائما في الفلوات
تشرق الشمس ؛ فلا تملا قلبي بالحياة
ويسود الصمت ايامي ، وتخبو ذكرياتي
فكاني انا في قفر على ارض موات
فلتكن يا رب – زادي في عشيي وغداتي
وليكن نورك في قلبي ؛ وفي عقلي وذاتي
وليكن وجهك محرابي اذا قامت صلاتي

احمد البقالي



لقد نشرت جريدة «اسبرى» الفرنسية في عددها الممتاز لمارس 1958 في دائرة بحث «السياسة والدين» . هذه القصيدة التي احببت ترجمة مقاطع منها من الفرنسية – بعد ان ترددت في ذلك، علما مني بان الترجمة كثيرا ما تذهب بروعة النص المترجم – ولكن رغبة مني في اطلاع قراء **(دعوة الحق)** على مكنون فكر يعتز به العالم الاسلامي ، وشاعرية تفتقت من الشرق ، فتردد صداها في الغرب ؛ ولم يكن ذلك الفكر الوقاد وتلك الشاعرية الخصبة ، ليفرضا وجودهما عن طريق جودة البناء والنظم وحدها ؛ بل فرضا ذلك الوجود بتلك الفلسفة التي تبعث من معين يترقرق صفاء وضياء ، وبتلك القوة الخالقة والمبدعة لشعور اقبال .

لقد آمن اقبال بعظمة الله ، وآمن في نفس الوقت بعظمة الانسان وحرية الانسان ، وسكب فكره وفلسفته النابضين حيوية وقوة في قصائد ، تمليت ، وتملى كثير غيري باتشادها . واليوم تتاح لي الفرصة ان اعثر على واحدة منها في مجلة فرنسية تحت هذا العنوان الشيق **«مسجد قرطبة»** . فلم اجد فيها نحيبا ولا عويلا ، ولكني وجدت فيها ايمانا قويا بعظمة المؤمن وجماله ونبله ، وايمانا قويا بطاقة الحب المودعة في قلب المؤمن ، تلك التي تلهمه في كل اعماله السحر والجلال ، واخيرا وجدت فيها ايمانا بالغا اشده بالحياة وبقيمها المثلى من خير وحق وجمال ، وكان ذلك سر جمال القصيدة وروعتها .

والآن ادع الفرصة لقراء **(دعوة الحق)** القراء لاكتشاف فكروشاعرية اقبال في قصيدة **(مسجد قرطبة)** مع تقديم احد المترجمين لها الى الفرنسية :

«نقدم هنا احدى قصائد اقبال الرائعة والتي كتبت باللغة الاردية ، لغة الباكستان الوطنية تلك التي يتكلم بها كثير من سكان الهند الشمالية ، ويتخاطب بها ما يقرب من مليون نسمة .

وهذه القصيدة احدى مقطوعات ديوان «جناح جبريل» الذي ظهر سنة 1935 .

ان «مسجد قرطبة» تمتاز بمتانة بنائها ، وكل مقطع منها ، رغم ما يمتاز به من حياة خاصة ، يساهم في وحدة بناء القصيدة . انها رائعة كروعة البناء الذي الهم شاعرها واوحى اليه بخيالها . ان «مسجد قرطبة» تقدم لنا فنا شعريا رفيعا ومذهبا روحيا ساميا . ان التهم الاجتماعية والسياسية التي توجهها، سوف لاتصدم الا الذين يريدون الحياة باعين مغلقة .

انني اتقدم بالشكر الخالص للاستاذ السيد محمد حسن عسكري على اعانته لي بخبرته الواسعة ، والتي بدونها ما كان يمكن لهذه الترجمة ان ترى الوجود .

اندري كمبرتيير

نعم ان شرارة الخلود تشع وتضيء ،
في هذه اللوحة الرائعة ، لقد رسمتها يد الايمان
ان حب المؤمن يكسو اعماله بالجلال

ان الحب منبع حياة لايلحقها الزوال
مهما عنفت امواج الزمان ، ومهما كانت سرعتها
فان موجة الحب تقهر جميع الامواج

ان الساعة الحاضرة في يومية الحب
قد تحمل ازمانا غفلا من الاسماء
ان الحب ، روح جبريل ، وقلب محمد
ان الحب ، رسول الاله وكلمته
ان جاذبية الحب تكسو الوردة بالضياء
ان الحب خمر جديد ، وكاس النبلاء
انه قائد الجيوش واسقف المعبد
ان الحب ابن السبيل ، يلج كل المغاني
ان الحب قوس كمان يعزف على اوتار الحياة
ان الحب اشعاع الوجود ولهيب الحياة

*

انك مدين للحب بوجودك ، يا مسجد قرطبة
ان نسيت الماضي والحاضر ، فان الحب خالد
مهما كان نشيد الرخام ، او موسيقى الصلاة
فان معجزة الفن ، لا تعرف التمام الا بالدماء
ان نقطة من دم تجعل من الصخرة قلبا يخفق
وبفضل هذا الدم غدا الدوى التهابا وطربا واغنية
بك يا مسجد ، تستعر روحي ، ويلتهمها غنائي
ان نداءك يوقظ قلبي ، ويفتح نوافذ روحي

*

ان عظمتك وجمالك يعكسان صفة المؤمن
اذ كان جميلا ونبيلا لتكون انت كذلك ؟
ان بناءك خالد واعمدتك عديدة
كبحر من نخيل فوق رمال سوريا
تشع فوق جدرانك اشعة وادي عمان
ويتجلى جبريل في مآذنك الرفيعة
لن يصيب المسلم فناء ، ان اذانه
يظهر سر موسى وابراهيم
ان ميدانه لا يعرف الحدود . فالدانوب
والفرات ، والنيل ، هي امواج لمحيطه
انه يعرف جمال الحركات وحلاوة النظرات
لقد حمل رسالة فتوحات جديدة
انه حامل كاس النبلاء ، وفارس الحب
خمره من اطيب ارومة وسيفه من اصفى معدن
ملجاه الوحيد في الحرب ، ودرعه القوي ، كلمة التوحيد
بك يا مسجد ذاع سر المؤمن
والتهاب ايامه ونشوة لياليه
وسمو افكاره وجلال خياله
انك المعبر الامين عن طربه
عن ارادته ، عن فقره وامجاده
لان يد المومن يد الله نفسها ، في المهارة
في الابداع ، وفي النحت ، انها خلاقة ودائما في الطليعة
لقد صنع المؤمن من طين وضياء ، انه خادم الاله
يخفق قلبه الوديع ، غير مبال بالارض او السماء
يقيس آماله ، لكنه يرسمها في بهاء وجلال
انه يعرف جمال الحركات وحلاوة النظرات
حنون في صداقته ، لكنه قوي في استكشاف الوجود
انه صافي القلب والعمل ، في الحرب والسلم
يرسم في مركز الدائرة ببركار الاله
ويمنح للكون صورة من السحر والجمال
ان حصاد الحب آخر مرحلة للادراك
اذ لا توجد في العالم حياة ملتهبة الا في جانبه !

*

يا معبد الفن وقوة الاسلام البارزة
بك اصبحت الاندلس تـوازي مكة
اذا كان جمال تحت السماء يشبه جمالك
فلا وجود له الا في قلب المسلم
آه ! لقد اظهر رجال العدل وفرسان العرب
ورسل الايمان والخلق الرفيع
اظهروا هذا السر العجيب : «ان عظمة الانسان الحي
ليست في اعطاء الاوامر بل في خدمة الغير»
لقد سحرت حكمتهم الشرق ، واعجب بها الغرب
وانارت السبيل حين كانت اوربا
اسيرة الظلام ، وبدمهم لا يزال يعيش
نسل سعيد متوثب للحياة، من نواصيه، ينبجس الضياء
وتنفذ سهام نظراته حتى اعماق الروح
في جو الاندلس الرطيب ، تعبق انسام اليمن
وفي اغانيها العذاب تتردد اصداء الحجاز

ان جدرانك للنجوم جنة ! واحسرتاه
منذ عهد بعيد ، لم تسمع : حي على الصلاة
في اي واد ، وفي اية مرحلة ، وقفت القافلة !
تلك التي انفت الاستسلام واحبت الحياة !
انه سر الاله ، تعجز عن ابانته الكلمات
لكن تاملوا فيما سينبغ من هذا المحيط
وكيف ستحيا الالوان في قبة السماء !!
انظروا كيف يطفو هذا السحاب الفريق في الشفق
انظروا كم يترك الاصيل من يواقيت حمر
في سماء باد خشان ، وتعكسها اغنية رقيقة
في فم فتاة من هذه البلاد
ان امواج الشباب تجرف سويداء القلب !
ايتها المياه الدافقة «النهر الكبير» على ضفتك انسان

يتامل الماضي ويحلم بزمن آخر
ان الغد يختبىء في ثنايا القدر
لكني ارى الفجر المكشوف لعالم الغد
لو قدر لافكاري ان تكشف اللثام ، ما استطاعت اوربا
ان تتحمل كلماتي النارية .
ان الحياة الرتيبة ليست سوى موت
ان روح الشعب يقدر لها البقاء بالكفاح المجدد
ان الامة التي تزن اعمالها ببريق السيف
مصيرها بين امواج القدر ،
اذا كان ينقص العمل الانساني دم القلب
فان هذا العمل عاطل من الكمال
وكل موسيقى ليست سوى رغبة سجينة !

محمد اقبال نجيب محمود



احد ابهاء المحكمة الاقليمية بالدار البيضاء ؛ وقد اسست حديثا حسب النماذج التقليدية للفن المغربي .

تعاويذ

بقلم: محمد الطنجاوي

. . . . !

ورجعت في ذيل الظلام ..
ورجعت اسحب ظل نفسي ..
ظل ماساة اليمة !
لا تسالوني ..
اي ماساة اليمة ؟!
كانت ...
وكنت ...
وشمعة في كوة البيت العتيق..
وهياكل الذكرى ...
واصداء ..
ونفسي .. والحياة ..
ولا نهاية !
شجو سحيق ...
ولا بداية !

. . . . !

ورجعت اسحب ظل نفسي ...
ظل ماساة اليمة ...
لا تسالوني !
اي ماساة اليمة !؟
العين تلسعها خيوط الحب ..
والفجر مكدود النظر ..
والقمر ...
عبثا احاول ان انام .. !!

صاحت ..
وصاح .. ورددا :
ويلاه !!
هذا ابننا الطفل الفريد ..
عيناه ...
يضحك فيهما جن شرير ...

يرمي الجمار ..
ويلاه !
عاد كوردة صفراء
في فصل الخريف .. !!
وملامح الوجه العفيف ..
نار ...
جمار ..
جن يطل باحداق كبار ..
كالجمار !!

واستقطرا الدمع الغزير ..
وتصدقا في يوم عيد ..
بعجينة دهنت بزيت ..
وبها قديد !
والصبية اللاهون حولي ..
في المسجد ...
رفعوا الاكف الى السماء ..
بالدعاء .. !
واذا يشير ...

عمي الفقيه اذا يشير ...
يرددون ..
هذا النشيد :

احفظه يا رب السماء
احفظه من كيد النساء
واعد اليه صوابه ..
هذا الفتى الضال الغرير ...
هذا الصغير !!
... وتموجت سحب البخور !

وتفرس الشيخ الوقور ..
بطلعتي
وتحركت شفتاه ...
في شبه ابتهال :

... هاتوا المجامر والبخور ..
هاتوا الشموع ..
هاتوا رياحين القبور ..
لا تنطقوا ..
لا تهمسوا ..
اني اصارع قوة الجن الكبير !
يا سمهروش ..
يا سيد الجن العظيم ..
يا صاحب الوجه الكريم ..
ماذا تحب من الهدايا ..
او تريد .. ؟
هذا الفتى ..
نفديه منك بما تريد ؟ !

وتموجت سحب البخور ...
وتالقت نظراتهم ..
الصبية اللاهون ..
حولي ..
في المسيد ! !

وتقلص الشيخ الوقور ..
والعين تحدج ..
والرموش ..
وشعيرات نثيرة ...
في الصدغ ..
شهباء صغيرة .. !
واانامل .
مقبوضة ..
مبسوطة ..
وحصيرة !
وتحركت شفتاه ..
في شبه ابتهال :

... هاتوا الموائد بالثريد ..
الجن يصرخ ...
الثريد ! !
هو يطلب ان يعب من الدماء !
هاتوا الدماء ..
الدماء !
هاتوا الدنانير ...
انثروها ...
وانثروها في اناء !
من حليب ..
او دماء !
يا شمهروش ...
يا شمهروش .. !
هي فدية ...
نفدي بها هذا الصغير !
... وتموجت سحب البخور.

امي تقطر ادمعا ..
وابي يتمتم خاشعا ..
والصبية اللاهون ...
حولي ...
في المسيد ..
يرددون اذا يشير ..
عمي الفقيه اذا يشير !
هذا النشيد :

احفظه يا رب السماء ..
احفظه من كيد النساء ..
واعد اليه صوابه ..
هذا الفتى الضال الغرير ..
هذا الصغير ...
... وتموجت سحب البخور !

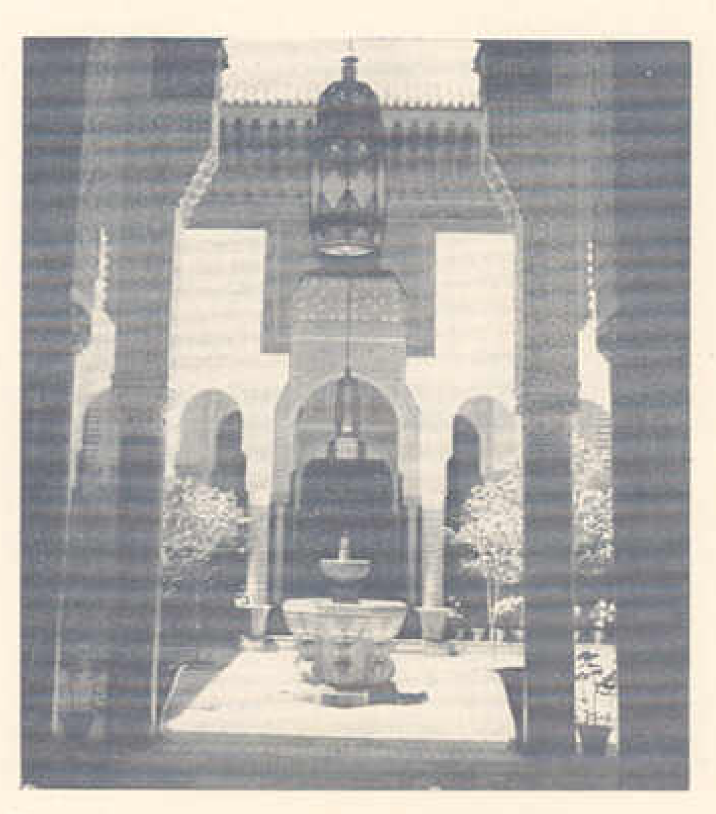
. . . . !
ورجعت في ذيل الظلام .. !
في يوم عيد ...
وهياكل الذكرى ..
واشباح من الامس البعيد ..
ولا نهاية .. !
هو عهدها ...
كانت تعانق موجة الموت الرهيبة !
في ليلة ...

نامت بها عين الحبيبة .. !
وشمعة على كفي تذوب ..
وانا اذوب ...
وكل ايامي تذوب !
نامت ...
والعين تهمس فى سكون ...
والحب يغرق فى الشجون .. !
هو عهدها ..
ان احفظ الذكرى ..
واحمل للقبر الحبيب ..
قرنفلة !
كانت تحب قرنفلة !
كانت .. وعيناها صلاة ..
تشم قرنفلة !

وحملت للقبر الحبيب ..
قرنفلة !
في ليلة ...
عصفت بقلبي ذكريات ...
من بعد عام ..

ورجعت فى ذيل الظلام !
ورجعت اسحب ظل نفسي ...
ظل ماساة اليمة !
انا فاسالوني ...
واسالوني ..
اي ماساة اليمة ..
من بعد عام !

محمد العلمي ورطا



تمثل هذه الصورة بهوا من الابهاء الداخلية للمحكمة الاقليمية بالرباط ، وتتجلى في تصميمه ونقوشه روعة الفن المغربي الاندلسي .



دعوني افكر قليلا ، دعوني اتامل دقيقة واحدة .
دعوني اتساكم في سراب هذا الصمت اللافح ، وانسى اني جئت من المدينة ، وان طريقي التي حملتني تحسب بالاميال ، واحيانا بخطوات الاحجار ، وجريان الاشجار .

خذو ما قلته بالامس من اشعار ، واصنعوا بها زورقا من غمام ، والحقوني في مصب انها القمر في « يفران » : انا وخميلة نجوم ، وبقايا حب قديم متهشم على الصخور ، وقناديل من الثلج معلق في اغصــان الصخور .

احس بدمي يجري ببراثن الجمال . في اعصابي صرخة محمومة ، وبين اسناني عطر عذراء ــ من نحت الثلج والاعشاب ، ونقش الظل ، والضوء ، والمستحيل ــ تدعوني ، تناديني ، تغريني كاشفة لي عن ساقيها ، وخصرها ، ونهديها في دلال شفاف كازارها الحريري المرقش بأفاعي الشهوة .

بي شهوة تدعوني الى الموت ، الى الحياة ، الــى البعث من جديد ، الى المرض ، الى التسكع في الطرقات حافيا عاريا ، الى الكراهية ، الى المحبة ، الى الغناء ، الى الاعتراف بالخطايا .
تدعوني شهوة الى الاستغراق في الضحـــك ، والتمادي في البكاء والعويل .

ما هو تاريخي ؟

القي هذا السؤال على عصفورة تمضغ الثلج في رفيف ظل ارزة ، فلا تجيبني الا بحفيف رفرفة مــن جناحيها وقد غيبت في السماء ...

وانظر الى نفسي المتسلقة في جذوع اشجار هذه الغابات ، والزاحفة على صخور هذا الشلال ، والهائمة مع الحشرات والنباتات وفراخ الطيور ، والراقصة مع الفراشات ، وعطر التراب على ملاءة النسيم في محبة وسلام ، دون أن يعاديها او يخاصمها احد . فاجدني : شجرة يابسة عقيمة تمشي في المدينة والاســـواق ، وخلفها الاطفال والشيوخ يلقمونها بالاحجار ، واحسني خرائب واطلال شلال عششت فيها عناكب الماء والطحلب في حوش مدينة يجتر نضارة صباه .

انظروا : ها هي آثار اقدام رجل مر من هنا متكئا على عصى النجوم ، حاملا سلة السلام ...

وتلك الخصلات التي تلملمها الاعشاب على مبسم الشلال ، انها من بقايا جدائل عذراء كانت تستحم هنا منذ مئات السنين ، فأيقظت في نفسي بعض ذكرياتي العميقة التي ما انست بها وقتذاك . ذكرتني : بصداقة حمامة بيضاء ــ كابتسامة المهد ــ كنت آنس بها ، فاحضنها ، واقبلها ، واحاكي خطواتها على سطح بيتي ضاحكا مترنما ، وقد اشتراها لي ابي ــ رحمه الله ــ مكافأة على حفظي لسورة يس ، كما ذكرتني بدميتي الشقراء التي كان يطيب لي ان القيها على ظهرها لتفتح عينيها ، وقد قدمتها لي جدتي هدية احد الاعياد .
خذوا هذه الذكريات ، وقد جمعتها لكم اكليلا ربطته بخصلات ثلج ، ووشوشات اعشاب ، وهدير شلال .

ليست لي ذكريات ، ولا تاريخ .
انا وجمال بلادي الحلو : وجها لوجه ، في حرب مستميتة في « يفران »

محمد الصبّاغ

قصة مغربيّة

الفقيه الكرفطي

للاستاذ :
أبي بكر اللمتوني

كان الصبية براوحون بين النظر الى الواحهم والتطلع الى فقيههم ، ولم يكونوا فى الحقيقة يتبينون شيئا ، فقد كانت الواحهم لا تكاد تستقر بحروفها على ضوء الذبالة الراقصة ، وكان فقيههم ، على بعده عن الشمعة التي يدورون هم عليها ، هامدا ساكنا ، لا يكاد يبين عن سره بحركة يتحركها جسمه الضخم ، او خلجة يختلجها وجهه الكبير ، وانما هو الفضول يدفع الصبية الى استطلاع سر الفقيه فيرنون اليه ، ثم الخوف يردهم الى الواحهم يتصنعون قراءتها وما هم بالقارئين .

وكان الشجن الذي يصارعه الفقيه خليقا ان يحمله على الزفير والنحيب ، او يحيله على لحوم صبيانه يشبعها قرصا وجلدا ، لولا انه صنع هكذا كله ، ثم ركن الى الخضوع والاستسلام .

واقفل « قاسم » البقال دكانه فى ضجته المعهودة . ومر الاعمى بائع النعنع يهتف ببضاعته على توقيعات عصاه الحديدية .

وظهر مؤذن الزاوية الذي يعرف الفقيه به الوقت كانه عقرب الساعة .

ولكن الفقيه الآن غافل عن الزمان والمكان ، فى دوامة الافكار والاحلام والاشجان .

كانت عينه الى الشارع ، ولكن فكره كان يذرع الخمسين سنة التي خلفها وراءه بما فيها من عسر ويسر وشدة ورخاء .

وبين الحين والحين ، كان يعود الى حاضره ، فيسدد نظره الى نافذة تخفف اضواؤها من رهبة الزقاق الموحش ، ثم يعود الى التيهان .

تلك نافذة البيت الكبير ... بيت الحاج الهادي الذي ترك عشرين مفتاحا فى المدينة وخمسة عشر فدانا فى الريف ... لقد اقرا الفقيه فيمن اقراهم من طلاب المدينة ، ولد الحاج الهادي عبد الرحمن ، وفى هذا البيت الذي يغمزه الآن فى سخرية وزدراء ، كانت « ختمة » عبد الرحمن . ان الفقيه لن ينسى يومه ذاك الذي قهر فيه حساده وقتلهم شماتة ونكاية . لقد سبقت ذلك اليوم ايام استروح فيها الفقيه عبير العز وعرف لذة التدليل : اليوم الذي ابدع فيه « الزواقة » على لوح « الختام » فانهالت عليه الريالات من بيته انهيالا ، واليوم الذي بعث فيه الى « القيسارية » ليختار كسوته بنفسه ويشرف على تفصيلها ، والايام الثلاثة التي كانت موائد بيت الحاج الهادي تتوالى عليه كما تتوالى موائد الجنة على سكانها السعداء . ايام سعيدة ... ولا كيوم الختمة ... انه ليذكر ذلك اليوم جيدا ... يذكر المقعد الذي اوثر به فى صحن الدار ، اكبارا لقدره ، واجلالا للكتاب الذي يحمله فى صدره ، وخضوعا لما يفرضه مقام شيخ الختام ... وانه ليذكر ، بل ويحس ، تلك الخيبة التي انتابته عندما دخل الصبيان بالختام وهم ينشدون : « جابوه فرحت يمه وبوه » ، عندما فارق المدعون مجالسهم فى الغرف ، واحتشدوا فى صحن الدار يتعرفون على الختام ، ويتبارون فى تكريمه بعطاياهم . كان هو حينذاك وكانه واحد من المدعوين ... هذا يكزه من هنا وذاك يدفعه من هناك ، حتى لكاد يقع من مقعده ذاك الذي نصب له نصبا واعد من اجله اعدادا ، لولا ان تصدى والد الختام لتصحيح الوضع وصاح بالمحتشدين : « على رسلكم يا قوم ، ان تفرحوا مرة بالختام ، فافرحوا سبعين مرة بمقرئه الفقيه الكرفطي ، معلم البلد وبركتها ، وصاحب الفتح فى تحفيظ القرآن بها ! » . وان الفقيه ليذكر ما كان لهذه الكلمة المنصفة من تاثير على المدعوين ، وكيف اربدت لها وجوه غرمائه التي كانت تلوح له كاحلة من خلال ابواب الغرف ونوافذها . لقد اعتصم المدررون بالغرف حتى لا ينفجروا غيظا مما كان هو عليه من السر والجلال ... هربوا حتى لا يشهدوا فضله . فاذا هذا الفضل ينتشر ويفيض عليهم فى الزوايا والاركان ، واذا هذا الفضل يعلوا ويعلوا ويغمر البيت

كله سفليه وفوقيه ، حتى ليدعو باشا المدينة ـ وكان من المدعوين ـ فقيهنا الى تناول الغداء على مائدته ، فانظر الى المدربين يضؤلون ويضؤلون حتى لتكاد العين تخطئهم ، وانظر الى فقيهنا يتخذ طريقه معدا نحو مائدة الباشا بين تبركات « التكافة » وزغاريد النساء .

ذلك الختام الذي كانت ختمته آية فى الاحتفاء بذكر الله واعزاز مقرئيه ، هو هذا الذي «يعرس» الآن على مرأى من شيخه ، فلا يتفضل ولو بدعوته مع المدعوين !

رحم الله الحاج الهادي صاحب النفس الطيبة والقلب الكبير ! .. لقد كان صادق الظن فى ولده عبد الرحمن ... كان يقول عنه : انه يقبل على الاوباش ويزهد فى اهل الصلاح . وانه لكذلك حقا . الم يقطع كل سبب له بشيخه بعد وفاة والده .. ؟ الم يحاول ان يجلوه عن الغرفة التي تركه والده يسكنها مقابل تفقد السطح الذي تقع فيه .. ؟

حقا لقد تغير الناس وحال الزمان .
عرس فى الحي ولا يدعى فقيه الحي اليه ؟ !
وهب انه دعاك ؟
نعم ، هب انه دعاك ؟

واعاد هذا السؤال فقيهنا الى ما حوله .. هل تغير دعوته الى عرس من هذه الحقيقة الفاجعة : جدران كالحة ، وشمعة تحتضر ، وخمسة صبيان انصاف عراة ...

لقد تنكر لمبدئه وعصف بضميره حتى يقبل الكتاب من عثرته ويبعث فيه الحياة ...

علق اللوح الاسود فوق راسه ، وقد كان يحرمه ويكفر من يكتب عليه كلام الله .

واغضى عن الصبيان يجلسون امامه وقد ارسلوا شعورهم كأنهم بنات الروم .

وعدل عن مهاجمة دور السينما ليحاسب من يلجها من صبيانه حرصا على اخلاقهم من الفساد .

وكان هذا بحسبه ، ولو ان الله اراد لامره ان يقبل بعد ادبار .

وعاد الفقيه من تيهانه مرة اخرى الى الجدران الكالحة . والشمعة المحتضرة ، وخمسة الاطفال انصاف العراة ، فشعر بتعسفه البالغ فى امساك هؤلاء المساكين حوله . وهم لو خيروا لما اختاروا الا ان يتركوه كما تركه زملاؤهم من قبل ..

ترى هل يجب ان يسرحهم باحسان ؟
وماذا يصنع بنفسه بعد ذلك ؟

وارتأى الفقيه بعد ان فكر كثيرا وخمن طويلا ، ان يتمارض ويسافر الى قريته لعله واجد فيها من امره مخرجا .

❊

ولاول مرة لم يستطع الفقيه ان ينام ، لا لان سريره فى ضيق القبر وصلابة الصخر ، ولا لان اصوات الليل تتادى الى غرفته فى السطح محتفظة بقوتها ، فتحرمه من السكون الذي يحتاج اليه النائمون ،،ولا لان قرميد الغرفة لا يفتأ يطقطق مهددا بالتراكم والانهيار ، بل لهذا المجهول الذي ينتظره بعد ما كبر ، واصبح من العسير عليه ان يبدل من شأنه ويغير من عاداته .

❊

وكان القمر لا يزال باهرا حين غادر الفقيه غرفته ، وقد ارتدى جلبابه الوزاني ، وحمل شمسيته العتيقة ، وحقيبته الخشبية التي تعطل قفلها فحزمها بحبل متين .

وادهشه ان يحس لرجليه ثقلا وان يضطر الى جرهما جرا ... فتوقف يتملى هذه المغاني التي قد يكون هذا آخر عهده بها ...

هنالك البحر ترتجف صفحته فى ضوء القمر كأنها اهاب جواد .

وهنا السطوح يغسل نور القمر جدرانها نقيا صافيا ثم ينساب منها ظلا داكنا .

سكون لا يشوبه الا طقطقة الزوارق التي تقوى حينا وتضعف احيانا .

ولكن السكون لن يلبث ان ينقلب حركة وحياة ...

سيتنفس الصباح ، وينتشر الناس فى سطوحهم يتثاءبون فى كلال ، ويخطون فى فتور ، ويسقون الغرس ويقطعون النعنع .

وستغلى الشمس ، ويرقص السراب ، وتسعى النسوة الى المغاسل ، فتغطس الاذرع الموردة فيها ، وتفيض الرغوة منها ، وتتدلى الصدور عليها ، وترقص الارداف دونها .

وقد يطلع النهار على تلك البنية البارة تنشر على الحبل غسيل امها ، وهي تعبس للشمس وتزوي ما بين حاجبيها ، وراسها ملطخ بالحناء ، ورجلاها حافيتان .

وسينصرف الناس عن السطوح الى موائد الغداء ، فتستقل بها الدجاج والديكة ، تلك تخطو فى حرص وتتسمع فى اهتمام ، وهذه تخطر مزهوة وتتلفت متاملة .

لكم ساعد الفقيه جارته « الضاوية » فى نشر الغسيل ، وامساك الدجاج ، وتنقية العدس . مسكينة ليست الا سقاءة ... ومع ذلك فان لها قلب السلاطين ... لقد بكت كثيرا من اجله ، وساهمت — على ضعفها — فى تجهيزه للسفر بخمسة ريالات ..

❋

علم الفقيه فى محطة القطار ان عربة الدرجة الرابعة لن تخرج الا بعد الضحى ، فتخفف من متاعه ، ومضى — وقد طلع الفجر — يتسكع فى الميناء .

ولم يكن البحر قد استفاق بعد ، فهو لا يزال ينكمش ويتلوى كانه الرصاص المصهور .

وكانت الاضواء الحمراء تحتضر كانها ورود تذبل فى قبضة النهار .

وفاضت الانوار من جوانب الافق ، فبدا الميناء كانه راهب اشيب ينزع طاقيته السوداء .

وبدات الزوارق ترقص فى مرابطها كانها ولدان تتحفز للحبو .

وبدا البحارة يتقاطرون على الميناء زرافات ووحدانا .

ونشط بائع الحريرة فى توزيعها على البحارة والعسس والحمالين .

وفكر الفقيه فى ان للرزق ابوابا غير بابه التي اصبحت فى ضيق سم الخياط ، فتمنى لو افاض البحر عليه هو الآخر رزقا يمسك عليه روحه ويكفيه هذا الرحيل الذي بدا يشك فى جدواه ..

صحيح انه لا يحسن الملاحة ليصبح بحارا
ولا يملك الجراة على ان يصبح حمالا

ولكن فى استطاعته ان يصبح واحدا من هؤلاء العسس الذين لا يصنعون شيئا الا ان يحملقوا ... وهو لا يحسن شيئا كما يحسن الحملقة التي طال عهده بها الكتاب .

وذكر الفقيه ان له صديقا فى الميناء هو « الرايس احمد » ، فمضى يبحث عنه لعله يدله على ما يجب ان يفعله ليصبح « عساسا » .

وانجلى البحث الطويل عن منظر الرايس احمد يعتمد مجدافيه تحت ابطيه ، وعيناه تحملقان فى البحر الذي يهدهد به الزورق فتتمايل عمامته الصفراء

وما لمح الرايس احمد الفقيه الكرفطي عند الرصيف ، حتى وثب اليه يقبل اطرافه ويهتف به فى حماسة وبراءة :

« ماذا يصنع سيدنا الفقيه بين براميل الزيت وصناديق السمك ... دعونا نحن لهذه الاوساخ ... ودونكم كتاب الله تعطرون به افواهكم وتلقشونه سبحاتكم ... صدقني يا سيدي انني لا اراك الا وجدت ريح الجنة ... اننا لا نرحم الا بكم .. ! »

ولم يملك الفقيه الا ان يتمتم بتحية باهتة ، وببضع كلمات برر بها وجوده بين براميل الزيت وصناديق السمك ...

❋

بدا القوم يتساقون كؤوس الشاي ، وقد فكوا مناطقهم ، واتكؤوا فى تربعهم ، وشخروا مع عبهم ، وتضمضموا بمشروبهم فى نشوة يغيب لها سواد الاعين .

وكان اعجب ما فى مظهرهم أن يكون نقيض ما ينعمون به من طرب وسرور ، فقد كانوا مكدودين منهوكين واهين ، ولكن الواقع انهم كانوا مسرورين من كل ما حولهم . انهم يحتفلون بمقدم الفقيه الكرفطي احد امجاد قريتهم وسفيرها فى المدينة ، ان جامع القرية لم يسبق له ان زخر بهذا الجمع وطفح بهذا الحبور . شائبة واحدة مرت كالسحابة فوق

رءوس القوم ؛ تلك ان وفرة الندامى جعلت الساقي يقتصد في انفاق الشراب ؛ فقد كانت الكئوس التي يشربون فيها تتدرج في الاتساع الى فوق ؛ فكان هذا « الفوق » الواسع يبقى فارغا ، فلو انقلبت الكأس – كما تمنى احد الندامى – عاليها سافلها ، لما كان في ذلك بأس كبير ، ولكن البأس كل البأس هو ان يبقى اوسع ما في الكأس خاويا . . .

واستراح القوم من عناء الشاي وجهده ، فصاح احدهم – وقد تطاولت نحوه الاعناق – :

« ان قدوم الفقيه الكرفطي يا قوم ، جاء مصداق الحديث النبوي الشريف : المومن ينظر بنور القلب ، فقد كفانا مئونة السعي اليه في المدينة ؛ لقد كنـ – واتجه بالحديث الى الفقيه الكرفطي – نعتزم القدوم اليك في مصاب نزل بالقرية فوجب ان يتظاهر على دفعه جميع ابنائها . . . انك تعرف ساحة بوجمعة المرعى الوحيد لمواشي القرية . . . لقد ظهر يا سيدي وبقدرة قادر ، اصحاب هذه الساحة ، فحازوها وتركوا مواشينا تلعق الحجر وتلحس التراب . . . وقد رأينا انه لابد ان يكون للامر علاج ، وان هذا العلاج يجب ان يلتمسه رجل مثلك ؛ ان لك في المدينة جاها واصدقاء ودالة على الحكام ! » .

وشرق الفقيه الكرفطي بجرعة الشاي التي كان قد جرعها .

وحين اعتصر غصته بالماء واستطاع ان يتكلم ، سأل عن موعد عودة القطار .

❊

وجد الفقيه الكرفطي نفسه من جديد بين الجدران الكالحة ، والشمعة المحتضرة ؛ وخمسة الصبيان انصاف العراة . . .

وحتى يحتفظ بوقاره ويدفع الظنون عن عقله ؛ كان يواري بسمته بكفه العريض كلما ذكر قول صاحبه :

« ان لك في المدينة جاها واصدقاء ودالة على الحكام »

واقفل قاسم البقال دكانه في شجنه المعهودة .

ومر الاعمى بائع النعنع يهتف ببضاعته على توقيعات عصاه الحديدية .

وظهر مؤذن الزاوية الذي يعرف الفقيه به الوقت كأنه عقرب الساعة .

أبو بكر اللمتوني



عيد الاستقلال

في يوم 17 نونبر المنصرم ، يوم العيد الثالث لاستقلال المغرب ، خصص جلالة الملك سيدي محمد الخامس استقبالا لرجال السلك الديبلوماسي ، العربي والاجنبي ؛ وذلك في قصر « دار السلام »

مذكرات دبلوماسي

1 نوفمبر

مسوح واسرار

قد يتبادر الى الذهن لاول وهلة ان اقــدر الدبلوماسيين ينتمون الى الدول الكبرى ، ولكن هذا ليس صحيحا ، وانما ينتمي اقدر الدبلوماسيين الى دولة من اصغر دول العالم ، هي حاضرة الفاتيكان .

هذا ما تذكرته اليوم وانا اقرا ترجمة البابا الراحل بيوس الثاني عشر ، ذلك الرجل الذي يعد ــ دون منازع ــ من عظماء القرن العشرين ، فقد تقلب الرجل وتكون في السلك الدبلوماسي التابع للفاتيكان .

فهل تعرف لماذا يتفوق الدبلوماسيون الرهبان ؟

لا شك ان التدريب الدبلوماسي في الفاتيكان تدريب دقيق ، ولكن يظهر ان السبب الحقيقي يرجع الى « **الاعتراف** » لانه يمكن الممثل الدبلوماسي الفاتيكاني من ان يلج بمسوحه عالما من الاسرار يظل الممثلون العاديون على مبعدة منها .

ــ جزائري ، فرنسي، صفة واحدة بعد الاستفتاء

ــ تعني بعد الطريقة التي تم بها الاستفتاء

ــ هلم ، لا تكن متعصبا ، جزائري فرنسي ، هذا لا يهم ، وفي كل دولة مناطق مختلفة واوصاف مختلفة ولهجات مختلفة ، انظر الى هنا مثلا . . .

ــ دعك من هنا ، وحدد لي اي جامع خارج عن القوة العسكرية يربط الجزائر بفرنسا ، لقد فتحت الجزائر بحد السلاح ، وها هي ذي اليوم تتحرر بحد السلاح .

ــ كان ذلك قبل الاستفتاء ونتائج الـ 98 ٪

ــ تعرف ان الجزائر تحارب فرنسا للحصول على استقلالها منذ اربع سنوات ؟

ــ نعم .

ــ وان فرنسا عجزت عن ان تقمع المناضلين بجيش عرمرم يتجاوز تعداده نصف مليون جندي مدجج بالسلاح ؟

يكتبها للمجلة : دعوة الحق كاتب ينم عنه اسلوبه

5 نوفمبر

جيش يلطخ نفسه

جمعتنا من قبل مناسبات عدة ، ولكنني لم اعهد من زميلي الغربي ان يتحدث بهذه السذاجة في موضوع مثل موضوع الجزائر .

قال « ارايت كيف ان 98 ٪ من الجزائريين صوتوا مع (دوجول) »

قلت « لا بد ان (دوجول) هذا جزائري . . . »

ــ نعم .

ــ اذن فلا تفسير لنتيجة الاستفتاء « الثمانية والتسعينية » ، الا تفسيرا واحدا يجب ان يندى له جبين الجنرالات العصاة في الجزائر ، وهذا التفسير هو ان 2 ٪ من الجزائريين فقط ، لا يحملون على الاسلحة بسهولة ، قد استطاعوا الوقوف في وجه جيش مدجج بالسلاح الثقيل يتجاوز عدد جنوده نصف مليون فمرحى للبطولة . . . !

الست معي في ان الجنرالات انما يلطخون سمعة فرنسا وجيشها بالوحل اذا سجل التاريخ هــذه

النتيجة ؟ ام ترى انهم يعرفون ان التزوير فى الانتخابات يمكن ان ينطلي على الجنرال دو جول ، ولكن ليس على التاريخ . . .

11 نوفمبر
جرونتر الداخل

انفه الكتب هي تلك التي يضعها مؤلفون يقضون سبعة ايام فى هذا القطر او ذاك ، ثم يضعون عنها كتابا من سبعمئة صفحة . . . وانفه منها تلك التي يضعها مؤلفون يعبرون القارات ثم يضعون عنها دائرة معارف، مثلما فعل الكاتب الامريكي جرونتر ، الذي لقبته بعض الصحف الامريكية بجرونتر الداخل ، لكثرة دخوله البلدان والقارات ، وكان يجب ان تلقبه بالداخل والخارج فى نفس الوقت ، لسرعة خروجه بعد دخوله . . . هذا الرجل الف كتابا عنوانه (داخل افريقيا) بعد رحلة عابرة بالقارة ، ومما يدعو الى السخرية انه فى رحلته زار المغرب بطبيعة الحال ، وبينما كان الرجل مكبا على كتابة الفصل الذي خصصه لبلادنا كان الفدائيون يدكون صروح الحماية كما لو كانوا فى سباق معه . . . وكما لو كانوا يعرفون ان المطبعة الامريكية تطبع كتابا عنوانه « داخل افريقيا » قال فيه مؤلفه : ان المغرب لن يستقل ابدا ، وقد عودنا الفدائيون من فتياننا الابرار ان يكونوا دائما من السابقين ، فقد حققوا استقلال المغرب قبل ان يصل الكتاب الى السوق . . .

ذكرني بهذا كله فصل عثرت عليه اليوم ، وقد كنت كتبته بعد مرور شهر واحد على اقامتي هنا ، ذلك انني اردت ان اجرب الامر بنفسي ، فانطلقت اسال وانقب وازور وابحث واقرا ، ثم وضعت الفصل عن البلاد ، ودسسته فى مكتبي لارجع اليه بعد شهور .

وقرات الفصل اليوم فاذا بي انكر كل شيء فيه ، واخذت اضحك ، اذ لم اعثر فيه على حقيقة واحدة تستحق الذكر . . . اليس من الصواب ان لا يكتب المرء منا اي تقرير دراسي عن البلاد التي يرسل اليها الا بعد مرور الوقت الكافي لتبين الحقائق وهو يتطلب الشهور . . . حتى لا نكون جميعا جرونتر الداخل والخارج . . .

18 نوفمبر
يوم الهداية

قليلون جدا فى التاريخ اولئك الملوك العظام الذين تفخر بهم عروشهم قبل ان يفخروا بها ، ولكن من المؤكد ان محمدا الخامس واحد منهم ان لم يكن على راسهم ، وربما كان الملك الاعزل الوحيد فى التاريخ الذي دحر الجيوش الجرارة التي يسندها المكر الخبيث ، بفضل ما امتازت به شخصيته من السجايا التي قل ان تجتمع فى شخص .

ان عيد العرش ليس مجرد عيد قومي ، انه هو نفسه مظهر من مظاهر المقاومة ، لان الشعب فرضه ، وحاول الاستعمار الغاءه ، فكان فرض الشعب له بالرغم من الاستعمار اول انتصار لنا فى طريق الاستقلال ، انه يوم الاحتفال بالمثل العليا التي وضعها الملك والشعب لتحقيق تحرير البلاد ورفع مستواها ، والقضاء ليس على الاستعمار فحسب ، ولكن القضاء ايضا على كل ما من شانه ان يعرقل سير البلاد نحو المستقبل المرموق الذي ينتظرها .

انه مرحلة سنوية نقف فيها لنرجع بالبصر الى الوراء متبينين ما فى تاريخنا القريب من خطا وصواب، ثم لنتطلع بعد ذلك ببصرنا الى المستقبل ، محاولين ان نستزيد من الصواب وان نتجنب الخطا ، **انه يوم الهداية فى تاريخ المغرب الحديث .**

21 نوفمبر
اكاديمية

اذا انت انخرطت فى السلك الديبلوماسي فكانما التحقت باكاديمية للشؤون العالمية . . . زارني اليوم زميل ومكث معي فترة طويلة خرجت بعدها بالفكرة التي افتتحت بها : مذكرة اليوم ، فقد اصغى الي الرجل اصغاء واعيا حينما كنت احدثه عن المغرب ، وكان من آن لآخر يستوضح ويستفهم ويستزيد ، فلما جاء دوره ليتحدث عن بلاده تحدث بدقة واجاب بدقة وكان حديثه شاملا وربما كان يغني عن قراءة عدة كتب .

فاذا اجتمع اعضاء هذه الاكاديمية فى حفلة من هذه الحفلات الكثيرة التي تقام بمناسبة وبدون مناسبة سمعت من الانباء والاحاديث التي تتعلق باقطار متباعدة من اقطار العالم ما ينمي معلوماتك الدولية ، واذا حصل حادث فى بلاد ما طار اعضاء الاكاديمية الى ممثل تلك البلاد يستطلعون فى الواقع ، اما فى الظاهر فيواسون او يهنئون بحسب طبيعة ذلك الحادث .

يضاف الى ذلك ان الحياة فى الاكاديمية تنمي فى المرء غريزة الفضول والاستطلاع حتى يصير فى بعض الاحيان نوعا من المرض غير مامون العواقب ، الذي يبعد عنك الحقائق بينما انت تحاول الاقتراب منها ، ومن امثلة ذلك ان زميلا هنا همس الى زميل ثان بانه رأى زميلا ثالثا فى بزة عسكرية ذات يوم معلوم فى مكان له خطورته ، وهي حقيقة لو صحت لكانت ذات مغزى بعيد المدى ، وبدأ البحث والاستقصاء فتبين ان الزميل الثالث لم يقض اليوم فى المدينة ، وان السبب فى الخطا هو الامعان فى الفضول ، اذ اقتفى الزميل الثاني سيارة ضابط ظنه الزميل الثالث الى ان رآه يدخل المكان الخطير .

يجب ان يدرب المرء منا نفسه على تحقيق نوع من الموازنة بين القدرة على رؤية الاشياء القريبة ورؤية الاشياء البعيدة فى نفس الوقت ، لان الامعان فى متابعة البعيد ينسى القريب ، والامعان فى متابعة القريب ينسى البعيد .

انها اكاديمية ، ولها هي ايضا قواعدها كما رايت .

23 نوفمبر

غروب وغروب

الامسية امسية عطلة من هذه الحفلات المتواصلة ولذلك فانا جالس فى شرفة السفارة ارنو فى شبه غيبوبة الى الغروب الاحمر الذي يصرخ بجمال الصحراء وروعة مفاتنها ، وقد عشت طويلا عند تخوم الصحراء ، وتشبعت نفسي بروائعها المحجوبة خلف شواظ شمسها المحرقة ورمالها التي نسيت الخصوبة منذ ازل بعيد ، فتحول سكانها من النعومة الى البسالة ، وخاضوا فى فترات متباعدة من التاريخ معارك الانسانية الفاصلة فى سبيل تحقيق مثلها العليا .

ذلك انه حينما يتحرك سكان المناطق الخصبة ، ينشئون حضارة النعومة والرفاهية ؛ اما حينما يتحرك سكان اليباب فانهم يحولون مثلهم العليا الى حقائق مناضلة تتحرك وتسعى ...

والمناطق الباردة بهذا الكوكب الشقي هي التي ابتدعت فكرة الصبر على المهاترة فى اطار الديمقراطية، فلما انتقلت الفكرة الى المناطق الحارة فهمت على انها تبرير لمشروعية الملاكمة ... والمناطق الحارة هي التي ابتدعت لخصاصتها فكرة القيادة الرشيدة ، فلما انتقلت الى المناطق الباردة فهمت على انها صك للدكتاتورية العاتية .

هناك يموت الغروب الشاحب خلف تلال من الثلوج العالية مخلفا قلوبا تجمدت كالصقيع ، ليستيقظ الناس غدا على طبول الانتقام .

وهنا تحتضر الشمس خلف ستار قرمزي شفاف خلف افق الصحراء الوضاح الدافىء الصريح، ليستيقظ الناس غدا على نفس الشمس فى مهدها خلف نفس الستار القرمزي ، ولتعزف موسيقى مجهولة المصدر لحن التحرر والعدل والتمركز والقيادة الرشيدة .

ثم اسندت راسي الى ظهر المقعد وانا اعب من مفاتن الغروب فى نهم ، واغذي روحي بلبن الصحراء الاحمر الذي يحول الرخوة الى فولاذ .

العدد الماضي في الميزان

الاستاذ فريد رمضان
عضو البعثة التعليمية المصرية

على هامش الشعر :

لعل الاستاذ الصحراوي ما يزال يذكر اول سؤال القيته على الطلاب حين جئت الى المغرب منذ عامين عن شاعر المغرب الاكبر ، ولعله يذكر ان هذا السؤال اثار شجونه فكتب في جريدة العلم يسال عن وجود الادب المغربي ، ويدعو الى الكشف عن معالمه في صراحة ووضوح .

وكنت قبل ان القي السؤال قد اطلعت سلفا على المناهج المدرسية ، ولاحظت انها حين تعرضت للادب المغربي عنيت بالشخصيات الادبية في حدود دولتي المرابطين والموحدين ، اما العصر الحديث ، واما ادباؤه، واما مذاهبهم واما اتجاهاتهم ، واما انتاجهم فلم يكن لذلك كله ظل في المناهج .

ما معنى هذا ؟ لنقلها في صراحة وصدق اننا ما زلنا نعيش على تراثنا الماضي ، ونذوب فيه ناسين ان الزمن والعصر ومستلزمات الحياة تهيب بنا ان نستيقظ ونسير ، بل نسرع في سيرنا متجهين نحو هدف اسمى .

ولكن كيف نسير ؟ هل نتريث في سيرنا كما يفعل الشاعر الاستاذ علال الفاسي في فنه الشعري ؟ او نقفز في عجلة ودون ريث كما يفعل الطنجاوي في ثورته على القديم ؟ او نسير بين بين كما صنع الشاعران : البقالي ، والمجاطي ؟ . والحديث عن الشاعر علال الفاسي اوقعني في مشكل طريف ، ذلك ان صديقا مسئولا علم اني بصدد الكتابة عن العدد الماضي من « دعوة الحق » فنصحني بان اعتذر ، ولم اجد في نفسي من رغبة اكثر من احترام نصيحته دون ان اعمل بها ، ذلك لاني احترم عملي كمرب او لا، وكمعلم ثانيا ، ولاني قبل ذلك وبعده افهم نفوس الشعراء ، واحس بصلة قوية تربطني بهم من قرب ، او بعد ، ولست اذيع سرا ان قلت : ان القصيدة الاخيرة للشاعر علال الفاسي (ذكرى المولد النبوي) قد قرئت في قسم (الباكلوريا) على الطلاب لتنقد لا لتقرظ .

وهنا نقطة تربوية هامة تتعلق بالطالب ، فمن حقه علينا ان ناخذ بيده الى الحكم على الاشياء في تعقل واناة ، وبصر ، وان نجنبه الزلل ، والزيغ .

لهذا لم يظلم الطلاب الرجل حين لم يقيسوا عمله كشاعر ، بعمله كخطيب سياسي ، وقد شعروا من باديء الامر — وهم على وعي لا باس به — ان شخصية علال الخطابية الفذة تطغى على شعره ، وفي حدود هذا الوعي نقدوا القصيدة ، وابدوا رايهم في علال الشاعر ، واختصموا في فنه ، ومن حق الادب المغربي ، ومن حق علال علينا ان نختصم في شعره .

وفي راي الطلاب ، وفي رايي كذلك ، ان للقصيدة موضوعا تاريخيا اسلاميا ، وانها تعبير عما يعتمل في نفوسنا وتجيش به خواطرنا، وان نفسها الطويل العميق وتدفقها يدلان على اقتدار ، وطبع سليم ، وانها تعبر في صدق عن مشاعر صاحبها .

وقمة القصيدة دون شك الجزء الذي ينسى فيه الشاعر نفسه امام ربه فيصدر عن ايمان رفيع .

على ان بعض الطلاب راى ان الشاعر اتباعي في حين حمل على قواعد اللغة التي لا شك في درايته بها اكثر من غيره .

فهو يسالم احيانا حروف الجر فيقول : (لا تعير له حسابا) بدل (لا تعيره حسابا) ، واحيانا اخرى يخاصمها فيقول : (فما يحتاج واسطة) بدل (فما يحتاج الى واسطة) ويقول : (وضحى العرش) بفتح الشين كما يفهم من المعنى ، في حين يتعدى الفعل

بالباء في نفس هذا المعنى . واحيانا يعلن المساواة بين حروف الجر فيقول : (ودمت الى البلاد) بدل (ودمت للبلاد) وربما تساهل في التعبير فقال : (وكان البدر وسطاها انتشارا) وكان من الممكن ان يقول (وكان البدر اوسطها) ويقول (القدر المهاب) وما نعرفه هو : المهوب او المهيب ، ولا يمكن ان يريد الشاعر بالكلمة اسم المكان .

وما يعنينا من ذلك واللغة العربية ايد الله ملكها وادامه واسعة الابواب ، تستطيع فيها نصب الفاعل ان اردت، ورفع المفعول اذا شئت، والك واجد لكل حال عذرا من عبث الرواة والشعراء بعلماء اللغة في عصر التدوين .

وحين ناخذ على الشاعر ثورته هذه ، لا ننسى ان المنهج الفقهي اصبح مرفوضا في النقد الحديث ، وانما نفعل ذلك من قبيل : حسنات الابرار سيئات المقربين .

وقد شعر الطلاب الاذكياء ان روح شوقي كانت تحوم على الشاعر ، وان قصيدته : سلوا قلبي ... تسلطت على قلمه ، وان الشاعر قد عني اكثر بسرد الاحداث التاريخية .

*

وقد نحا الزميل اللمتوني منحى اتباعيا ايضا، واستطيع ان اهنئه على بيته الثاني والثالث ، اما البيت الخامس عشر فهو اي شيء غير الشعر .

*

واما الشاعر الطنجاوي فان الاعجاب به ، وبجراته لا ينسينا ان عليه ان يسير على قواعد ، اي قواعد ، ولو رسمها لنفسه بنفسه ؛ ففيه روح الشاعرة ورغبته في الانفلات من القيود ، غير انه حرى ان يسير على هدى اهم عناصره (النظر فيما حوله) ونحن ما ما زلنا في مرحلة تطور ، ولم نهضم بعد الخروج بتاتا على قاعدة الوزن الموسيقي (المقنن) ان صح هذ التعبير

لقد قبلنا (وحسنا نفعل) تحطيم القافية والبحر الواحد ، وسرنا في طريق التفعيله ، ولكنا لم نتهيا بعد عاطفيا لتقبل الراي القائل : ان كل كلام جميل هو شعر . وقد سمعنا من قبل هذه الدعوة ، غير انها لم تثبت للصراع .

قل ما تشاء عني : قديم ، جاهلي ، من عصر ما قبل التاريخ ، ودعني اقل لك اني لا اسمي شعرا :

انا يا جزائر ...
وقفت هنا ...
نصف ساعة ...
وفي حلقي يا جزائر ...
شجى الالم المر ...
من الف ساعة ...

انا لا اهضم شعرا نصفه نقاط على السطور ، هل هناك افكار حبيسة ؟ قلها اذن وارحنا او فاكتب المقطع هكذا : (انا يا جزائر وقفت هنا نصف ساعة ، وفي حلقي يا جزائر شجى الالم المر من الف ساعة) .

سوف تقول : انه لا يحس الموسيقى الداخلية ، ولا يرى منها الا القديم الرتيب ، وان صوت الخليل ابن احمد يتردد في مسمعه ، فيطغى على ذوقه ، قل ما تشاء ، ولكن رايي ان فيك روحا ، وروحا شاعريا منطلقا يوشك ان يتدفق اناشيد ، غير انه في حاجة الى ملحن (موسيقار) .

*

واما الشاعران البقالي ، والمجاطي : فقد سارا على هدى من موسيقاهما وان كانت المطبعة ظلمت البقالي فزادت واوا قبل كلمة (يموت) في المقطع (وفي قلبك العنكبوت حيا يموت) فانكسر المقطع الذي يتدفق على انغام (المتقارب) .

وسقطت كذلك كلمة من قصيدة المجاطي في المقطع **(لبثت ارفع صوتي فضاع صوتي هباء)**
ان الادب المغربي ينهض في شكله ومضمونه ، ويسير في القافلة المتحررة نحو سماء افسح ، فقصيدة « **كهف الحمام** » اغنية الطبيعة المغربية الساحرة ، و « **مولد لحن** » نشيد البطولة التي تنتفض لتحرس شواطئ المحيط .

الموضوعات الثقافية :

1) الرحالة المغاربة : محاضرة للاستاذ محمد الفاسي القيت من ست سنوات ، وهي قيمة وممتعة لاشك تلائم المنهج الذي اتبعه لاظهار الشخصية المغربية وطوابعها التي تميزها ، غير اني اعرف في الاستاذ محمد الفاسي مدير الجامعة رجلا خصب الانتاج نشيطا يفتح كل يوم افقا جديدا ، فعسى ان نرى هذه الشخصية المتميزة تنطبع بها الجامعة المغربية فتحيى عمليا هذا الاتجاه الذي فاق به المغاربة غيرهم .

2) بين الجمود والجحود : موضوع ديني خصب حاول كاتبه ان يكون فيه حواريا فسلك طريق الخطابة فى اغلب مناحيه ، وقد ضغطت فيه الآراء ، وركزت بشكل يرهق الذهن . وفى آخر الموضوع حياة وحركة ما اجدر الاستاذ ان يعيشهما فى كل ما يكتب .

والاحظ انه اتجه فى الموضوع الى الاقناع ، وكان خليقا ان يجعل للعاطفة مجالا واسعا من الحوار ، فالديانات كما ترتكز على العقل تعتمد على اساس من العاطفة متين ، تسميه حين يعجز العقل : ايمانا . وهذا الايمان الذي تشترك العواطف فى تكوينه ان لم يكن رفيعا كان دون ريب مصدر التعصب الذي يطغى على منطق التفكير .

3) موارد مالية : موضوع لاشك يعطي فكرة عن اتساع جوانب نظريات التشريع الاسلامي ، وفيضانها بوجهات النظر التي تصلح لكل جيل لانها ترتكز فى صميم منطقها على المجتمع وحاجاته .

ولكن الذي الاحظه اننا فى مثل هذه الموضوعات نلجا احيانا الى ايراد البرهان على صحة التشريع او ملائمته من مجتمعات ماضية تختلف فى تكوينها دون ريب عن مجتمعاتنا ، وحسنا فعل الاستاذ حين نبه الى هذا . وان كنت لا ارى باسا فى ان ناخذ من الآخرين لنطعم حياتنا ما دام هذا التطعيم لا يمس ديننا ، ولا يمسخ شخصيتنا .

آراء ودراسات :

1) المقدسات : هذه الكلمة من الاصطلاحات الغائمة ، وكثيرا ما كانت سببا فى مآس تاريخية ، فلنعمد الى رسم خطوط واضحة بمفاهيم محددة لمنطوقها الفضفاض ، والا فان حرية الفكر ستكون دائما الضحية الاولى لكل صيحة باسم المقدسات .

ولست اشارك الاستاذ الفهري فى ان نعزل الابناء ايا كانت سنهم عن المشاركة فى امر ما ، وانما الذي ينبغي ان نفكر فيه هو طريقة المشاركة ووسائل المعرفة

2) القضاء الاداري فى المغرب : معركة قضائية قانونية لا ناقة لي فيها ولا جمل ، ولست اشك اطلاقا فى قيمة الموضوع ، ولكن انى لي بذكاء الدكتور الاهواني الذي استطاع ان ينتفع بما فيه من حقائق نظرية وواقعية .

وفى القضاء نواح كثيرة يمكن ان تكون الافادة منها شاملة كتحليل نفسية المجرم ، ووسائل اخفاء الجريمة وعرض المحاكمات الممتعة .

3) عبرة السويس : مقال تحليلي ممتع لماساة الاخلاق والانسانية التي انتهت بانحدار الظلم ، ولا شك ان هذا الاعتداء اغضب شعوبا ، وشعوبا كثيرة ، بل انه اغضب شعوب المستبدين انفسهم .

ولكن الاستاذ يحسن الظن حين يفترض ما يسمى بالراي العام العالمي ، اين هذا الراي من قضية الجزائر وفلسطين ؟ ان العالم ما يزال يقبل سياسة الامر الواقع .

يا سيدي الاستاذ هذا تعبير شعري ساحر يستغله الاقوياء حين يريدون ، ويخمدون صوته اما شاءوا وان لم تصدقني فالبس ثياب جدك الاكرم ابن بطوطة واذهب الى الصين ، وجب اقطارها ، واسال عن مساحتها وعدد سكانها ، وقسهم بسكان الارض ، ثم اعبر المحيط الى الامم المتحدة واسال اعضاءها الاجاويد عن ممثل ستمائة مليون نسمة .

وانما اكلفك بهذه الرحلة للاستمتاع والدرس واحياء ذكرى جدك الكريم ، ولكي تحدثني بعد عن رايك الشخصي فى الراي العام العالمي .

سيدى الاستاذ ، ان خيبة الثالوث المعتدى سببها الخوف ، والخوف وحده ، على اني ارجو مخلصا ان تحقق الايام حسن ظنك وان يتفهم العالم فى عمق رسالة (الفيلسوف الانسان مالك بن نبي) وان كنت ارى انه يحلم كفيلسوف متجرد لا يضع فى حسابه طبائع الاشياء ، واختلاف النفوس ، كما صنع الفيلسوف الواقعي (ابن خلدون) .

على ان الحضارة الحديثة ان كانت اليوم فى محنة فانها عن غير عمد تتجه الى خلق ترابط قوى بين الشعوب ، وعسى ان يكون هذا كفيلا غدا باقرار السلام فى الارض .

قصة امراة : احيي صاحبها السيد (الريسوني) واسر اليه اننا قد كبرنا وتخطينا دور القصص الانفعالية الى الوان اخرى فيها عمق وتحليل وفلسفة ، ووراءها اهداف ومثل .

حول بناني الفنان : ان المدرسة التعبيرية في الرسم تخضع الفن للحياة ، وتشق له طريقا ليسهم في خلق اجيال صاعدة .

وصورة (الجوكند) للرسام العالمي (دافنشي) خالدة بجمالها ولكنها لا تحمل معنى البعائيا .

وقد لفت نظري في صورة (بنت الشعب) للرسام بناني الصدر المفتوح ، فهل هذا ايماء بالانطلاق والانفلات من رواسب الماضي .

على اني قرات مرة ان اشق عمل فني يكون في رسم الاطراف ، لهذا لم استسغ الكف والاصابع بوضعها الحالي في صورة (المغربية) على الغلاف .

❊

حول ديوان ملك غرناطة : سيدي الاستاذ (كنون) لقد مات محمد بن ابراهيم شاعر الحمراء ، وذهب الى عالم يستوي فيه القياصرة و (السوقة) ، عالم يقول فيه المعري :

ولا يبالي الميت في قبره ❊ بذمه شيع أم حمده

وعسى ان يكون في هذا شفيع يحملك ــ وانت الاديب الاريب ــ على بعث موهبة شاعر مغربي معاصر فذ ، يوشك أن يلحق باخيه الجراوي الساخر الى عالم النسيان قائلا :

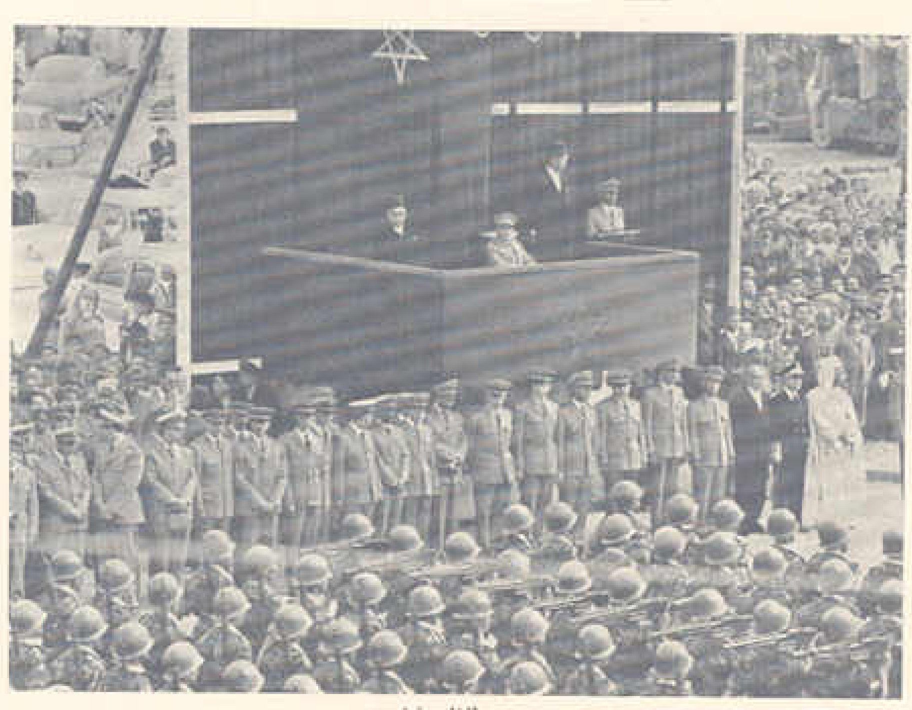
اضاعوني واي فتى اضاعوا .

❊

وبعد ، فتحية الى مجلة « دعوة الحق » الغنية بمادتها الفنية بروحها ، المصممة على تادية رسالتها ناهضة نابضة ، تتدفق شبابا ، وتفيض ارادة وكفاحا .

فريد رمضان

الرباط مدارس محمد الخامس



عيد الانبعاث

جلالة الملك سيدي محمد الخامس في تطوان ، يستعرض القوات الملكية المسلحة ، بمناسبة الذكرى الثالثة ليوم « الانبعاث » يوم رجوع جلالته من المنفى الى أرض الوطن : 16 نونبر



مجال الأديب

للأستاذ عبد الواحد بناني .

مهداة إلى الإذاعة الوطنية

وأديب قوم تستحق يمينه
قطع الانامل ، او لظى الاحراق
في كفه قلم ، يمج لعابه
سما ، وينفثه على الاوراق
يرد الحقائق ، وهي بيض نصع
قدسية ، علوية الاشراق
فيردها سودا ، على جنباتها
من ظلمة التمويه الف نطاق

لا يكاد يختلف اثنان اليوم في اهمية الدور الذي تقوم به الاذاعة في الامة ، من حيث توجيهها افرادا وجماعات الى ما فيه خيرها وسعادتها ، مستغلة الروح الجماعية فيها ، عاملة على تقويتها وتنشيطها ، هادفة من كل هذا وذاك الى الابقاء على روح المجتمع قوية ، متسامية ، متوثبة ، ترتاد ابواب المستقبل في ثقة وعزم وعصامية ، وسيلتها الى كل ذلك « حق استغلال » العناصر الثابتة في الامة : كاللغة والدين والتاريخ وغيرها من مقومات الامم ، مصطنعة كل ما وصل اليه العلم والفن معا للوصول الى هذه الغاية عن طريق الايحاء واللاشعور تارة ، والمنطق والاحتجاج والاقناع في الاعم الاغلب .

وتاتي اهمية بل خطورة الدور الذي تقوم به « اذاعتنا الوطنية » من حقيقة اخرى مضافة الى كل الحقائق المذكورة ، هذه الحقيقة هي ان مجتمعنا المغربي في ظروفه الحالية ، ــ لتفشي الامية فيه ، وندرة ما يتاح من مجلات وصحف للمتعلمين من ابنائه ــ يقبل على الاستماع الى الاذاعة اقبال الضنين بها المتعطش لها ، لانها وسيلته الوحيدة وطريقه المفردة الى اشباع غريزة « حب الاستطلاع » المركبة فيه ، فان وجد في « اذاعته الوطنية » ضالته وغايته سعد واطمأن ، والا كان له غيرها من « الاذاعات غير الوطنية » ــ وما اكثرها ــ غناء اي غناء ، وعندها تخسر الدولة كثيرا وكثيرا جدا ، اذ يصبح اكبر جهاز للدعاية غير ذي جدوى ، وينطبق عليه قول شاعر العربية « ابي العلاء المعري » في شعر ابن هانيء الاندلسي : (ما اشبهه الا برحي ... تطحن قرونا) .

لهذه الاعتبارات جميعا ، كان ترحيبنا واحتفاؤنا وتفاؤلنا بالبرنامج الجديد « مجال الاديب » لا يدانيه او يساويه الا ترحيبنا وتفاؤلنا بكل ظاهرة جديدة في مجتمعنا العزيز تدفعه نحو القوة والنضج والاكتمال . .

ذلك ان الادب « فن جميل ، وظيفته التعبير عن الحياة والتجارب الانسانية بالفاظ موحية » .

فالحياة بكل ما فيها من صراع بين قوى الخير والشر ، والعلم والجهل ، الظلام والنور ، التقدمية والرجعية ، الحرية والعبودية .. مادة ثرة للادب ، يجد فيها على الدوام ما يمنحه الحياة والقوة والنماء .

والتجارب الانسانية كلها ... مشاعر الانسان ، احساساته ، انفعالاته ، اخيلته .. مرآة الاديب التي تعكس له نفسه ــ بل الحياة والناس ــ فاذا بها آية من آيات الفن ، تأخذك بما تنطوي عليه من جمال التصوير ، وروعة التعبير ، وقوة التأثير .

وليس للاديب الفنان من هدف يحيى لتحقيقه سوى أن يعبر عن احساسه اولا ، ثم أن يشرك الناس معه في هذا الاحساس . فالحاجة الى التعبير اذن والى التأثير هي قوام الادب ، وعليها مداره .

ولقد ايد علماء النفس حديثا بما لا يدع مجالا للريبة والحذر، ما كان يذهب اليه فلاسفة الاغريق القدماء — منذ ايام سقراط — من ان مراتب الشعور لدى الانسان في التحليل الاخير لها ثلاثة : فكر، واحساس، ونزع ... فاذا لم ننس ان الادب هو الآخر — في تحليله الاخير — احساس يحركه الفكر، ويحرك بدوره النزوع — والا لفقد عنصريه الهامين : التعبير والتأثير — واذا تذكرنا ان الامة — اية امة — ليست في الحقيقة سوى مجموعة من الناس، تعيش متساندة متعاونة، تعمل للصالح العام، في تناغم وانسجام، اذا تذكرنا هذه ولم ننس تلك، سلمنا بحقيقة هامة لابد من تقديمها بين يدي هذا الحديث **الا وهي ان مساس امة ما في ادبها مساسا غير كريم ليس هو في الحقيقة سوى طعنة نجلاء تسدد الى قلب الامة لتصيب منها بؤرة الشعور ومركز الوجدان، ولتطوح بعاطفتها الجماعية في مهاوي البوار والهزيمة والخذلان .**

ومن عجب ان تعمد الاذاعة الوطنية للامة ذاتها — وعهدنا بالاذاعات الوطنية ان تكون دائما للامة لا عليها — الى ان تذيع في برامجها شيئا — اي شيء — من هذا القبيل .. هذا بالنسبة للخارج، اما هنا في المغرب بالنسبة لاذاعتنا الوطنية بالذات، فقد حدث، ولا عجب ما دام سيادة مديرها الاستاذ قاسم الزهيري يعتقد في حديثه القيم عن ازمة الادب في المغرب، المذاع بالعدد الاول من مجال الاديب — ان المغرب « بلاد الاعاجيب » . اما كيف حدث هذا فاليكم البيان :

في مساء يوم الاثنين 20 اكتوبر 1958 اذاع السيد محمد التازي حديثا عن اتجاهات الادب العربي بالعدد الثالث من برنامج « مجال الاديب » تطرق فيه الى الكلام عن الادب المغربي المعاصر، منكرا ان يوجد بالمغرب ادب، فضلا عن ان توجد اتجاهات لهذا الادب متسائلا :

(اين هو الادب ؟ هل منه هذه البحوث التي تمسخ من الكتب مسخا، وتنشر في المغرب على انها ادب مغربي ؟ امنه هذه المواعظ الدينية .. الخ .. دون ان ينسى وصف جميع ادباء المغرب بـ « الناشئين ») .

ترى ما الفائدة التي جناها المغاربة من وراء هذا الحديث .. يسخر اكبر جهاز للدعاية في الدولة لينشر على العالم كله اتهام جميع كتابهم بالماسخين ووصف ادبائهم بالناشئين .

اقوال عالمة مائعة القاها صاحبها ومضى، دون ان يكلف نفسه عناء الاحتجاج لها والتدليل عليها، ودون ان تتكفل الاذاعة هي الاخرى بمراقبتها، واعمال النظر في النتائج التي قد تفضي اليها .

ولو ان اتهام السيد التازي ينصب على فرد او فردين لاعرضنا عنه اليوم كما اعرضنا عنه بالامس، يوم انتقد احاديث سجلناها بالاذاعة الوطنية قبل ان يذاع اول حديث منها باسبوع كامل، وكان نقده ذاتيا صرفا هو بالتنظيم الداخلي للاذاعة الصق .. ولكن التازي — وهو يتهم مجتمعا كاملا ويزري بتراث امة — حقيق بان يرد الى الصواب، ويسمع الجواب .

ولنا ان نتساءل اولا وقبل كل شيء : هل حظ السيد التازي من الثقافة والادب يسمح له بالخوض في مثل هذه المواضيع واصدار حكم نهائي فيها ؟

ونسارع فنقول : لا .. وآية ذلك ان مثل هذا الحكم لابد ان تسبقه دراسة منهجية منظمة، ويدعمه تفكير استقرائي منتج، يرصد الظاهرة الادبية، ويسلط عليها الاضواء الكاشفة .. ومثل هذه الدراسة لم تتح للسيد التازي كما نعلم، لان موطنها الجامعة، والسيد التازي لم تتح له الدراسة الجامعية بعد، ولا يحمل اي مؤهل من هذا القبيل .

بقي هناك افتراض آخر : هو ان يكون السيد التازي اديبا موهوبا بالطبع، شانه شان امرىء القيس والنابغة وشعراء العربية الموهوبين، ولكن الاديب المطبوع الذي يغنيه طبعه العبقري عن المعاناة والممارسة اخص خصائص انتاجه الادبي : الاصالة، والجدة، والطرافة، والابتكار .. والاسهام بنصيب ما في تنمية التراث الانساني بالاضافة اليه، لا عن طريق الادعاء المكشوف والاستغلال الرخيص .

ولا نظن الا ان السيد التازي بما يذيعه على الناس من قصص وقصائد « مستعارة » في برنامج « قصة الاسبوع » و « صور ادبية » ليس لشيئا ما من هذا القبيل .

فاذا كان يعني بقوله « انه لا يوجد للمغاربة ادب حديث » هذا الادب الذي يذيعه، فهو على حق، اما اذا كان يعني شيئا آخر فلابد اذن من تفصيل ..

« ففي النظرة الفنية التي نريد ان تقوم عليها الدراسة الادبية — نقلا عن استاذنا الدكتور شكري فيصل في كتابه (مناهج الدراسة الادبية) (ص 234) — يجب ان ننتقل بالادب من دائرته الضيقة الى اوسع

دوائره ، اعني من معناه الخاص الى معناه العام ، فلا نفهم منه هذه النماذج النثرية ، وهذه القصائد الشعرية وهذه التوقيعات والخطب ، وهذه الرسائل والكتب ، ولكننا نتجاوز ذلك الى آفاق اخرى ، هي من الادب ايضا غير ان سير التاريخ الادبي اشاح عنها مهملا لها ، وتركها غير ملتفت اليها ... وكان من اقرب نتائج هذا الاهمال اننا افقرنا الادب وزرعنا الجدب في الدراسة الادبية : : افقرنا الادب لاننا اقتصرنا فيه على هذا القصيد والنثر الفني ، وهما كما تحس في نفسك اشد الانواع تعلقا بالتقاليد الادبية ، وجمودا على القوالب المعهودة ، واستجابة الى الماضي البعيد ، فلم نصل بينه وبين الآفاق الفكرية الواسعة ، في التاريخ او الفلسفة او في التصوف ـ الا نادرا ـ .. وانما كان عملنا اننا جعلناه حبيس هذه الموضوعات وسجين هذه التقاليد ، واحسب ان جمود الادب العربي وقلة الوانه وفقره الفكري ، يرجع اكثر ما يرجع الى فقدان التجاوب بينه وبين ميادين الفكر في الدراسات الانسانية ، التي تشترك معه في كثير من المعالم والمظاهر .. وزرعنا الجدب في الدراسة الادبية لاننا كنا نضيق آمادها ونطوي اجنحتها ، ونجعلها تعيد وتبدي في هذه الآثار الادبية لا تتجاوزها ، على حين تشهد الى جانبها الوانا من الادب الرفيع لا تصرف اليه جهدها ، ولا تلفت اليه همها .. اننا نؤمن جميعا في دراستنا الادبية ان القرن الثامن كان من عصور الانحطاط الادبي ، ولكننا حين نمد في معنى الادب ، نشهد ان مقدمة ابن خلدون كانت مثالا ادبيا رائعا ، تستحق التمهل الطويل ، والدراسة العميقة التي تغير كثيرا من موضوعاتنا وآرائنا ، ونشهد في التراث التاريخي من هذا الادب الرفيع .. وما من شك في ان دراسته ستشيع الخصب والنماء في عملنا الادبي ، وستبعث انقلابا عميقا في احكامنا الادبية ، وستغير من نظرتنا الى كثير من العصور والازمنة ، وستتيح لنا ان نشهد كيف يكون هذا التبادل بين الادب وبين الدراسات الانسانية الاخرى ، كيف يدخل هذا الادب آفاق الفلسفة والتاريخ ، وكيف يكون التزاوج بين هذه المعارف .. وحينذاك نستطيع ان نتبين المذاهب الفنية في الانواع الادبية جميعا .. وستكون اقرب الى الحق ، والصق بالصدق ، وادنى الى الاصالة والعمق »

ارايت ايها الاخ التازي كيف تكون الدراسة الادبية .. كيف تكون البداية الممهدة للحكم على هذا الادب او ذاك .. انها ليست اقوالي ، وانما هي اقوال الاستاذ الدكتور شكري فيصل ، خرج بها على الناس بعد دراسات « طويلة المدى » نال بها ليسانس في الآداب ، وليسانس في الحقوق ، وماجستير في الآداب ، ودبلوم معهد اللهجات العربية بجامعة القاهرة ، واخيرا ـ لا آخرا ـ الدكتوراه في الادب من جامعة القاهرة .

ولعلك مقتنع الآن بان الواجب يقضي علينا ـ حكومة وشعبا ـ قبل الحكم على ادبنا المغربي الحديث بالاعدام او العدم ، بجرة قلم ، ان تتظافر الجهود لجمع هذا الادب من مظانه ، فيقع الاتصال المباشر بكل شخص عرفت له مشاركة فيه ابتداء من مستهل القرن العشرين الحالي ، كالاساتذة علال الفاسي ، وعبد الله كنون ، وعبد الخالق الطريس ، والحسن الوزاني ، وعبد الهادي بوطالب ، ومحمد داوود ، واليمني الناصري ، والمكي الناصري ، وناصر الكتاني ، وابراهيم الالغي ، وعبد المجيد بن جلون ، وعبد الكريم بن ثابت ، وعبد الكريم غلاب ، ومحمد الحلوي ، وغير هؤلاء واولئك من شعراء المغرب وكتابه ، ليقدموا ـ باسم المصلحة العامة ـ كل ما في استطاعتهم تقديمه من انتاج ادبي مغربي ، سواء لهم او لغيرهم ، وان يفتح الباب على مصراعيه لكل من يأنس من نفسه القدرة على اقتحام « تجربة التعبير » من شبابنا ، وان تؤسس لجنة من ذوي الاختصاص للنظر فيما سيتجمع لدينا من انتاج لتصنيفه ودراسته ثم للحكم ـ آنذاك ـ له او عليه .

وما احسب ان اعتمادا يخصصه القسم الثقافي بوزارة التربية والتهذيب الوطني ، وحملة منظمة تجند لها اذاعتنا الوطنية برنامجها « مجال الاديب » وتسهم فيها « دعوة الحق » و « رسالة الاديب » وغيرها من الصحف السيارة ، لتحقيق هذا الغرض .. بالشيء العسير .

انني لا اريد ان اثبت هنا بجرة قلم ما نفاه غيري بجرة قلم ، ولكنني مقتنع ـ كمنهجي ـ ان هذا هو واجبنا اولا وقبل كل شيء ، واجبنا نحو انفسنا ، وواجبنا نحو الادب والوطن والتاريخ .

ويوم نفعل ـ وارجو ان يكون ذلك قريبا ـ سنحس ان النقص الذي نلمسه في جدب الدراسة الادبية بالمغرب قد زال ، وسيشعر الكثير ان المغرب بخير ، وانه يضم عناصر اخرى من غير « الماسخين » و « الادباء الناشئين » .

محمد عبد الواحد ناجي



رجل في القاهرة

تاليف : رشاد صالح
تعليق : محمد الناصري

من بين الكتب التي صدرت في الاونة الاخيرة بمصر كتاب بعنوان« رجل في القاهرة » لمؤلفه الاستاذ رشدي صالح ، وهو يتضمن قصة طويلة من نوع القصص التاريخي ، لان مادتها منتزعة من صميم التاريخ ، تتناول حياة ابن خلدون في فترة محدودة ، هي تلك التي عاشها منذ حل بمصر الى وفاته .

وقد اعتمد المؤلف في جمع حوادث هذه القصة على كتاب التعريف لابن خلدون ، وعلى كتب التاريخ المصري ، كما اعتمد على مقدمة ابن خلدون في عرض نظرياته في علم الاجتماع .

وتبتدىء احداث القصة حينما رست السفينة التي كانت تقل ابن خلدون بميناء الاسكندرية ، اذ يصور المؤلف اللحظات التي اخذ فيها رجال الجمرك يفتشون امتعة ابن خلدون . ثم يرافقه وهو يتردد على فنادق الاسكندرية حينا ويرتاد شواطئها حينا آخر ، ويحلل خواطره حينما يعود بالليل الى الفندق ، تلك الخواطر التي تبدو في استعراض ابن خلدون لحياته التي مر منها ثلاث وخمسون سنة ، بما فيها ذكريات طفولته التي كان فيها ميالا للشغب ، شغوفا بالقصص ورواية الاخبار . ويرحل ابن خلدون الى القاهرة ، فيرحل وراءه المؤلف مشخصا ما يحس به من عظمتها التي تبهره وتستولي على مشاعره ؛ وهنا يحاول المؤلف رسم صورة للقاهرة باسواقها ومدارسها ، متخيلا ابن خلدون يسير فيها مبهور الانفاس معجبا بمشاهدته لعمرانها ، وهناك تشتد اواصر الصداقة بين ابن خلدون وبين تاجر مغربي ، كان رحل الى مصر حيا في الثراء واصبح من اكبر اغنيائها ، يقرض امراء المماليك ويتعزى عن ماله الضائع بالتمتع بالجواري والقيان اذا اقبل المساء . وفي قصر هذا التاجر يطيب العيش لابن خلدون ، فيشرب النبيذ وينسجم مع الحان القيان . ثم ينقله المؤلف من قصر التاجر الى الازهر بعد ان ابدى طلابه رغبتهم في ان يتصدر مجلس التدريس فيه ، وياخذ في القاء دروسه وتكون موضوعاتها : نظرياته في علم الاجتماع ، وينصرف الطلاب معجبين باستاذهم ، وتنتقل اخبار ابن خلدون الى السلطان برقوق فيربط له راتبا ويشمله برعايته ، ويعيش ابن خلدون بين طلابه الخمسة النابغين وهم : السيوطي والحموي وعبد الله وعمر وعنترة ، فيفضون اليه بما تكن صدورهم عن قسوة المماليك وعن الظلم الذي يعانيه الفلاح المصري منهم . وتلتف الجموع مرة اخرى لحضور درس ابن خلدون ، فيجد نفسه محاطا بهالة من الامراء والعلماء والتجار والاعيان ، وينصرف هؤلاء يضفون عليه — بدورهم — الوانا من الاطراء . ويترك المؤلف ابن خلدون في الازهر ليتحدث عن اللحظات التاريخية التي تم فيها تاليف المقدمة — قبل رحيل ابن خلدون الى مصر — وعن مميزات هذا العصر ودوله ، ودنو انبثاق عصر النهضة في اوربا حين هاجرت الثقافات شرقا وغربا سنة 779 . وفجاة وبلا مقدمات يجري المؤلف حديثا على لسان ابن خلدون وبعض تلاميذه عن الموشحات الاندلسية وعن الازجال المصرية، ولا نكاد نستمع الى الموشحات والازجال حتى يلج بنا باب البحث في علم الاجتماع ، محللا نظريات ابن خلدون التي اوردها في مقدمته . ويسند الى ابن خلدون قضاء المالكية ، فيقيم باحكامه موازين العدل ويتحدى به السلطان فيديته ولا يخشى بطشه ، ويشفق الطلاب على استاذهم ويلبثون بجانبه ليدفعوا عنه شرا قد يصيبه من طرف الامير ناصر الدين ، وفي اثناء ملازمتهم له تجري احاديث متفرقة يحلل فيها ابن خلدون نظريته: الانسان مدني بالطبع ، ونظريات اخرى في علم الاجتماع

ثم يشتد قلق ابن خلدون على عائلته ، فيتوسل الى السلطان ليتوسط لدى سلطان تونس ليخلي سبيل اهله ، وتنجح الوساطة ، وينتظر اهله على احر من الجمر ، ولكن السفينة التي كانت تقلهم تكتسحها

المواصف فتغرق بالقرب من شواطىء الاسكندرية ، وتخيب آماله في لقائهم . وهكذا نجد المؤلف قد وصل الى عقدة القصة دون ان يهيىء لها ، وهكذا تسير احداث القصة من غير ترابط او اتساق . وتظهر شخصيات وتختفي اخرى ، واخيرا يعدل ابن خلدون عن خطته في مقارعة السلطان ويطمع الى بريق المجد ويتخلى عن تلاميذه وافكارهم الحماسية ، ويصالح الامير ناصر الدين فيخلع عليه لقب قاضي القضاة والوزير الرئيسي ... وترد الانباء من دمشق معلنة ان تيمور لنك يوشك ان يدمر عاصمة الامويين ، ويسير ابن خلدون في جملة الائمة الذين رافقوا الجيش المدافع عنها ، ويقع هؤلاء الائمة — ومعهم ابن خلدون — اسرى لدى تيمورلنك .

كان حتما علي ان الخص احداث هذه القصة حتى يكون القارىء الكريم على بينة منها ان لم تتيسر له قراءتها ، وحتى يتلمس معي مواطن الضعف والقوة فيها ، وليسايرني فيما اقدم عليه من نقد لا يعدو ان يكون مسا رفيقا وفق مناهج النقد الحديث .

فيما يختص بشكل القصة : لا توجد فيها حبكة محكمة ، فحلقات الحوادث فيها متنافرة ، لا يبدو فيها ذلك النمو الطبيعي الذي تسير به الى نهايتها . ويلاحظ تكلف المؤلف في ايجاد رابطة بين بعضها بينما ينتقل من حادثة الى اخرى في معظم القصة عن طريق الوثب ، وهذه الظاهرة تبدو من اول وهلة لمن يقرا القصة او التلخيص السالف .

ولم يحاول رسم صورة واضحة المعالم للبيئة التي انتزعت منها الاحداث ، فعلى الرغم من انه استمد مادته من كتب التاريخ المصري ومن رحلة ابن خلدون ، الا انه لم يوفق في ذلك فيما يتصل بالوسط الطبيعي للقصة واخلاق شخصياتها بشمائلهم واساليبهم في الحياة ؛ فقد ترك في القصة قصور المماليك موصدة ، يفتحها ولم يلجها ليصف ما تحتوي عليه من بذخ ونعيم وجوار وقيان ، ولم يشخص المحنة التي كان يعانيها الشعب من هؤلاء الحاكمين الذين كانوا يستغلونه ويمتصون دمائه ، لم يجسم شقاء الطبقة الكادحة ، ولم يعرج على التاجر الذي يعيش في قلق دائم ويتعرض لابتزاز امواله حينا وللموت حينا من طرف هؤلاء المماليك واعوانهم ، ولم يذكر شيئا عن تطاحن هؤلاء المماليك وتطاول بعضهم على بعض وحبك الدسائس وترتيب الاغتيالات ، وحتى الازهر لم يحاول ان يتجول في حلقاته ، بل اكتفى بالوقوف في زاوية خاصة في تلك التي تضم حلقة ابن خلدون مع تلاميذه . لقد اكتفى من البيئة بصورة عابرة لاسواق القاهرة ومدارسها ، واخرى شاحبة لشاطىء النيل . وان مقارنة بين هذه القصة وبين قصة جرجي زيدان عن المماليك يظهر منها البون الشاسع فيما يختص بوصف بيئة مصر في عهود المماليك ؛ فجرجي زيدان وصف بيئة مصر في عهد المماليك وصفا دقيقا يجعل القارىء يندمج فيها ويعيش في ذلك المجتمع المضطرب المتماوج وينفعل لالم هذا الشعب الذي يرزح تحت قهر المماليك ؛ اما مؤلف هذه القصة فقد قصر عن وصف البيئة وترك القارىء يعيش بعيدا عنها ولا ينفعل بها .

ولم يقم باي عمل فني يختص باستخراج العقدة وتهييئها، لان احداث القصة لم تسر في طريقها الطبيعي، ولم تتدرج حتى تصل الى ذلك التوتر الذي يجب ان تصل اليه . ففي القصة عقدتان : تتمثل الاولى في غرق عائلة ابن خلدون ، وتبدو الاخرى في وقوع ابن خلدون اسيرا لدى تيمورلنك ، ولم يسبق اي تمهيد في الحوادث التي سبقتهما .

وظلت شخصيات القصة غامضة ، لم تحلل تحليلا نفسيا يكشف عن ميولها واتجاهاتها وعواطفها ومشاعرها بل انك لا تكاد تدرك الفرق بين الرئيسية وبين الثانوية منها ؛ ومعظم هذه الشخصيات التاريخية لم يسند اليها الدور الذي تقوم به في الحوار وتنمية الاحداث ؛ فالشخصيات التي بدت فيها بعض الحيوية هي شخصية ابن خلدون وتلاميذه الخمسة ؛ اما الشخصيات الاخرى وهي شخصيات منصور التاجر والسلطان برقوق والوزير عمر بن عبد الله والزاهد وسيبويه المصري وتيمورلنك والامير ناصر الدين ، فانها تكاد تكون ميتة ؛ فقد كان سبيل المؤلف ان يظهرها في فصل او فصلين ثم تختفي بعد ذلك نهائيا .

واسلوب القصة تغلب عليه الصبغة العلمية ، لان الكاتب حشر في قصته الكثير من نظريات ابن خلدون في علم الاجتماع ، وحاول جاهدا بسط هذه النظريات، والواقع انه غير مؤاخذ على تحليل ما يشاء من نظريات علمية في قصته ، شريطة ان يبعد بها عن الاسلوب العلمي الجاف ، وقد طغى هذا الاسلوب العلمي في القصة التي كان يجب ان تتوفر فيها بجانب هذه الافكار الفائدة القصصية والروعة البيانية . كان يجب ان يحافظ على فنية التعبير ويحاول تبسيط هذه النظريات ويبتعد عن الدخول في تفاصيلها وربطها باحداث

القصة التي تفككت بما اورده منها في مختلف الفصول. واحيانا كان يجنح الى نقد اسلوب ابن خلدون في رحلته، ويناقشه مناقشة علمية بعيدة عن فن القصة كما نرى في الفقرة التالية « وبرغم جهوده للانطلاق من قيود التقاليد ، فانه يلجا الى استخدام السجع والتعميم . وهو الذي يومن بان هذا النوع من الاساليب زخارف كاذبة كالوشي الرخيص فوق قماش رخيص في حين انه يفهم ان المهم دائما هو نوع النجيج ونوع الخيوط التي يصنع منها الطراز ... المهم دائما هو اللحم ... موضوع الكتابة ... موضوع الحياة ... (1) ولم يتخلص الكاتب من حالاته النفسية السيئة اثناء تاليفه لهذه القصة ، ولذلك انعكست هذه الحالات على اسلوبه فظهرت فيه بعض الكلمات النابية مثل التعبير غير ما مرة بقوله « هذا الشقي » يعني ابن خلدون وغيرها من التعبيرات التي سترد فيما بعد .

فيما يختص بالمضمون او الفكرة فقد كان يهدف الى رسم صورة لابن خلدون ليست بذات اضواء وليست بذات ظلال ، ولكنها صورة باهتة اضيفت اليها كل الاحوال اللازمة لتبدو من خلالها شخصية ابن خلدون شخصية تافهة تنماع في المجتمع المصري او تطفو على سطح محيطه كما تطفو قشة التبن على سطح الماء . وهذه الفكرة تبدو بوضوح في عنوان القصة « رجل في القاهرة » والواقع ان حب المؤلف لوطنه قد طغى في القصة حتى غمر الشخصية التي كانت محورها؛ فابن خلدون رجل غريب يرحل الى مصر ويقيم فيها كما يقيم الرجل العادي من الناس لم يقم باي دور له اثر في هذا المجتمع ، ولعل الوقائع التالية تبرر هذا الاستنتاج :

القصة منتزعة من احداث التاريخ ، تقيد في معظمها بالتاريخ ؛ ومن المعتقد انه ليس ملزما بالتقيد بكل ما ورد في التاريخ ، ولكنه مطالب بان يبرز القسمات الواضحة من معالم التاريخ ، ويضيف اليها لمساته الفنية التي تعود بها الى الاطار القصصي ؛ غير انه كان يشوه بعض الاحداث التاريخية التي من شانها ان تترك اثرا لابن خلدون في السياسة المصرية ، مثل موقفه من تيمورلنك ، فهو في نظره موقف رجل متخاذل متملق وكفى ، اما انه انقذ بدهائه علماء مصر وخلصهم من الاسر او القتل بعد ان وقعوا في قبضة تيمورلنك ، فلم يشر اليه من قريب او بعيد ؛ والامير ناصر الدين لم يقرب ابن خلدون اليه ولم يخلع عليه الالقاب الا لان ابن خلدون عادت اليه مراهقته وحن الى ايام المجد ، فتملق الامير ناصر الدين ؛ اما ان ناصر الدين قد عجم عوده ، وراى موقفه الصلب في القضاء ،وقوة شخصيته فيما كان يصدره من احكام ، الامر الذي جعله يضمه الى رفقته في الحملة التي كان متوجها فيها لمنازلة تيمورلنك، لياخذ بمشورته في هذه المحنة ــ فذلك جانب آخر لم يلتفت اليه الكاتب وهو يصوغ القصة .

وقد كان ابن خلدون قاضيا مثالا في العدل والنزاهة ، تحدى الامير ناصر الدين فاذاته واصدر الحكم شده ، ولكنه في راي الكاتب لم يندفع الى اقامة موازين العدل الا لان نفحة من حماس تلاميذه هبت عليه والا يحافز من الياس ، فما دام قد فشل في خططه ومؤامراته هناك في شمالي افريقية ايام شبابه وزهوه فليتشبث هاهنا في مصر بجانب العدالة وليتحد باحكامه الامراء وليكن ما يكون .

ولم يفته وهو يصف تلهف التلاميذ على هذا العلم الغريب الذي حمله اليهم ابن خلدون ــ لم يفته ان يذكر ان ابن خلدون كان استاذا لجميع الناس وتلميذا لهؤلاء الطلاب الذين كانوا يلقنونه علما غريبا عليه .

كان من الممكن غض الطرف عن هذا الاتجاه الغريب، والتماس المبررات للكاتب ، فقد يكون رائده حسن النية ، وقد تكون الصياغة الفنية اضطرته ــ امام سيل الاحداث التاريخية الى تحريف بعضها ، او اختصارها او التغاضي عن جوانب مهمة منها ؛ ولكن الذي يقرا الكلمة التي اوردها في ذيل القصة عن حياة ابن خلدون وافكاره ، لا يخامره شك انه تناول هذه القصة بخطة موضوعة ، ففي الكلمة يشرح اتجاهه فيقول : « على هذا النحو سرت به في القصة ذا تجارب وذا قلب تحاصره القاهرة وتغزوه ، وترتقي الحوادث من حوله ، فاذا ما اعتراه ضعف او فتور فما ذلك الا لان الزمان والمكان اكبر منه » ويقول ايضا : « ومن اللافت للنظر حقا ان يقتصر نشاط ابن خلدون في مصر على التدريس والقضاء ومراجعة مقدمته والتعريف بنفسه ، والا يلعب

---

1) صفحة 20

ذلك الدور السياسي — بل وذلك الدور الفكري المبكر — الذي لعبه في المغرب . ومما يدعو الى التأمل ان يكون مستوى طموحه هنا الوصول الى كرسي القضاء ... ورأيي ان السبب لا يرجع الى زهده في السياسة ، بل ان السبب هو ان السياسة كانت اضخم منه » (1) .

وبعد لم يكن في عهد المماليك نظام مستقر للحكم، ولم يكن الجو السياسي فيها يسير في اتجاه يستهدف مصلحة الشعب . مماليك غرباء عن مصر بيدهم زمام الامور ، يتطاول بعضهم على بعض ، ويعيشون في جو من الدسائس والمؤامرات ، يعيثون بمقدرات الشعب ويرهقون كواهله بالضرائب الفادحة ، فلا يامن المرء على ماله وروحه منهم ، وبين حين وآخر يسقط مملوك ضعيف ليجلس على كرسي الحكم مملوك غالب ، والشعب في واد وهؤلاء الحاكمون في واد آخر ، كذلك كان جو السياسة في مصر ، فهل نعتقد مع المؤلف انه كان اضخم من ابن خلدون ؟ .

ونزوح ابن خلدون الى مصر انما تم بعد ان مل جو المغامرات ، وحينما احس بالسعايات والوشايات تكاد تمسك بخناقه في تونس ، آنذاك رحل الى مصر اشبه ما يكون بلاجىء سياسي ينشد مكانا امينا — الى حد ما بالنسبة اليه — يقضي فيه بقية حياته ، ولم يصل اليها الا بعد ان بلغ الثالثة والخمسين من عمره ، وبعد ان ودع سن الشباب الحافز الى الطموح والمغامرة ، وكان يرمي الى حياة غير عاصفة لينظر في مؤلفاته ، تلك التي الفها فيما مضى وليستانف العمل في كتاب التاريخ الذي بدا في تدوين فصول منه قبل رحيله الى مصر ، يضاف الى هذا النكبة التي حلت به ، وتتمثل في غرق افراد اسرته ، وهي وحدها كفيلة بان تخمد جذوة حماسه وطموحه ، وترمي به في بؤرة من اليأس القاتل .

تلك هي الاسباب التي يحجم عن خوض غمار السياسة في مصر ، على ان مكانته العلمية فرضت وجوده ، فلمع في المجتمع المصري وولاه السلطان برقوق قضاء المالكية ، وقربه ناصر الدين وخلع عليه القاب الشرف ، واخذه في زمرة العلماء الذين رحلوا معه في رحلته ضد تيمور لنك ، ولعب دورا مهما في السياسة بتخليصه علماء مصر من اسر تيمور لنك .

والكاتب ليس الوحيد الذي حاول النيل من مكانة ابن خلدون ، فمن خلال المحاضرات والمناقشات العلمية التي كنت احضرها بمصر كنت استشف مبلغ سوء الحظ الذي يلقاه ابن خلدون ، وعدم التقدير من بعض المفكرين العرب ! ففي محاضرة للدكتور عبد اللطيف حمزة مدير معهد الصحافة بجامعة القاهرة كان يتحدث عن منهج ابن خلدون في المقدمة فقال : « ذهب ابن خلدون الى ان الغاية من التاريخ هي شرح تطور المجتمع البشري في اشكاله المختلفة ، وقال بوجود قوانين تتحدث عن هذا التطور وسير الحركة الاجتماعية على وفقها ، وقد اطلق على هذه الدراسة اسم علم العمران . ونظر الناس ونظر ابن خلدون الى نفسه على انه خالق هذا العلم ، لكن هذا القول فيه مبالغة ، فقد كان المسلمون منذ القرن السابع قد اتجهوا في هذا السبيل ، وكان النويري اول رجل في التاريخ الاسلامي آثر هذا الاتجاه » . وفي مناقشة الرسالة التي تقدم بها الدكتور بدوي طبانة لنيل درجة الدكتوراة اخذ يتحدث عن الكشف العلمي الذي حققه في رسالته « قدامة ابن جعفر والنقد الادبي » فذكر منها انه اهتدى الى كشف علمي يتلخص في ان نظريات ابن خلدون في علم الاجتماع سبقه اليها قدامة ابن جعفر ، وهي مدونة في كتابه « ديوان الخراج » .

وبعد ، بماذا تعلل ايها القارىء الكريم هذا السلوك ازاء شخصية ابن خلدون ؟ !

انها شعوبية من نوع جديد يجب ان يتنبه دعاة القومية العربية لمحاربتها .

محمد الناصري

(1) صفحة 139 .

مظاهر الحضارة المغربية

تأليف الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله • تقديم الأستاذ الطاهر ابو بكر ازنيبر

اذا كان هناك شيء نحن في اشد الحاجة الى العناية به والعمل على ابرازه كحقيقة ملموسة ، فانما هو حضارة البلاد ، بما تضم هذه الحضارة من معاني الوجود الحقيقي والكياني الذاتي .

والاستاذ عبد العزيز بن عبد الله اذ يطلع علينا بهذا الكتاب القيم سيكون قد واجه اولئك المغرضين من الاجانب الذين ينكرون على هذه البلاد وجودها الحضاري ، وتاريخه الحافل بمظاهر هذه الحضارة ومقوماتها بقيمة وطنهم وقيمة ما سجله في تاريخه المجيد من حضارة شامخة ثابتة الاركان ، كما يكون هذا العمل نورا لهذا الجيل الناشيء وللاجيال بعده حتى يروا — في ثقة وايمان — حقائق هذا الوطن ناطقة في حضارة شامخة لا تبلى ولن تبلى مدى السنين .

لقد كانت للكاتب مميزات تجعلنا نعترف بانها جديرة بالاعجاب والتقدير ؛ فالموضوع جديد والمنهج جديد، وعلى ضوء هذا المنهج اصبح البحث العلمي الحديث يسير في طريقه لانه الوسيلة الى نشر هذه الثقافة وهذا التراث الفكري ، اذ اصبح من العسير على القراء والمستمعين ان يجدوا وقتا لقراءة هذا التراث او الاستماع اليه وهو في اطاره المتداخل الشاسع الاطراف، والمنهج من جهة اخرى يخدم ثقافتنا القديمة التي كتبت في عصر لم تكن فيه مناهج البحث العلمي على ما هي عليه اليوم .

والى جانب جدة الموضوع وجدة المنهج ، نجد الكاتب يضم عناصره الحية التي تعتبر اساسية في تقييم هذا الكتاب .

فلقد تحدث الكاتب عن شروط قيام هذه الحضارة المغربية والعوامل الضرورية لايجادها ، هذه العوامل التي تتمثل في :

1) طبيعة البلاد ، فهي بلاد تتمتع بالمناخ المعتدل وبالسهول والجبال والبحار والاودية والانهار والحيوانات الى جانب الموقع الجغرافي .

2) النظام الاقتصادي ، هذا النظام الذي يتمثل في الثروات المعدنية والحيوانية والماشية وفي الحركة التجارية والصناعية والزراعية .

3) النظام الاجتماعي الذي يتمثل في الاستقرار في المدينة او القرية ويتمثل في النظام للاسرة الصغيرة التي تتكون من امراة ورجل او الاسرة الكبيرة التي تتمثل في الشارع والمدينة والقرية النموذجية ، كما يتمثل هذا النظام وهذه الوحدة في اللغة والدين والاخلاق والعادات .

4) نظام الحكم ، ولعل هذا من ابرز الشروط للحضارة ، فالبلاد التي لا يجمعها نظام حكم معين مهما كان اتجاهه ولا تخضع لسلطة قارة ، تحكم وتملك حق التنفيذ لهذا الحكم ، وتنظم وتجد سبيلا لهذا النظام ؛ هذه البلاد التي ليست على هذا الوضع لا يمكن ان تبني حضارة ولا يمكن ان تجد طريقا للاستقرار .



الاستاذ الطاهر ابو بكر ازنيبر

والمغرب — كما حدثنا الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله في كتابه — قد اخذ حظا وافرا من هذه الشروط ، ولذلك فهو جدير بان يبني حضارة ويخلد مجدا .

اما عن مظاهر هذه الحضارة المغربية فقد تحدث الاستاذ بنعبد الله عن المظهر السياسي ، وان البلاد كانت تسير وفق نظام ملكي ، وكان هذا دائما يعمل للمحافظة على كيان هذا الوطن ، ويصارع ويقاوم ضد اي اعتداء اجنبي او غير اجنبي ويبني ويشيد معالم هذه الحضارة .

وتحدث عن المظهر الاقتصادي ، وذلك في فصل تحت عنوان : اقتصاد المغرب في الف عام ، وقد جمع في هذا الفصل عوامل نمو هذه الحركة الاقتصادية والمراكز التي كانت منبعا لهذه الحركة كما تحدث عن العلاقات التجارية بين المغرب والبلاد الاجنبية ومدى استغلال النفوذ الاجنبي لهذه الحركة ، واوضح ذلك بخريطة هامة كانت سندا في الموضوع ، ولم يغفل

المؤلف الدور الذي كان يقوم به ملوك المغرب فى مقاومة الاستغلال الاجنبي ، والعمل على استقلال المغرب استقلاله الاقتصادي مثلما استرجع الاستقلال السياسي ، ويرى السبيل لهذا هو الاستغناء عن الكماليات واشباه الكماليات .

وتحدث الكاتب عن المظهر الفني ، واهتم كثيرا بالفن المعماري ، واتى بعدة صور تصور مدى ما بلغ اليه المغرب من براعة فى هذا النوع من الفن ، كما تحدث عن انواع اخرى من الفنون الفرعية كالخزف والمنسوجات والطرز وصناعة الحصر والزخارف الخطية .

اما مظهر الحضارة الاجتماعي فقد تحدث عنه ممثلا فى الاوقاف والروح التعاونية التي كانت تمثل هذا المظهر ، كما كان هذا المظهر ممثلا فى المراة المغربية ومدى الادوار التي لعبتها هذه المراة فى حياة المغرب .

ولم يقف الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله عند هذا الحد من الحديث عن مظاهر الحضارة المغربية وشروطها ، بل ذهب الى الحديث عن تقييم هذه الحضارة ومدى تاثيرها على الحضارات الاخرى وتاثرها بها ، كما تحدث عن المكانة التي تحتلها هذه الحضارة بالنسبة للحضارة الاسلامية والحضارة العربية ، وبالنسبة للحضارة الاقليمية التي سبقت الاسلام فى هذا البلد ، وبالنسبة للحضارة العالمية .

فكانت هذه الاسئلة فى الواقع اسئلة حية تدل على عمق فى البحث وشمول فى التفكير .

وكان من ابرز مميزات هذه الحضارة ــ كما حدثنا الاستاذ بنعبد الله ــ انها كانت تحمل رسالة على حوضي البحر الابيض المتوسط والبحر الاطلسي .

والكتاب دسم بالموضوعات والعناصر والنصوص والمصادر العربية والاجنبية ولكنه ــ فيما يبدو لي ــ فى حاجة الى قليل من اعادة النظر حتى ياخذ البحث منهجا آخر فى التبويب والترتيب والتنسيق . ولعل ذلك كان نتيجة للظروف التي كان يعيش فيها المؤلف ، فهي ظروف لم تكن تبعث على الاستقرار ولم تكن تبعث على اعادة النظر فيما كتب من عناصر هذا البحث .

كما ان المظاهر التي تناولها الاستاذ بنعبد الله فى حاجة الى مزيد من الاستقراء ، فانه لم يتحدث عن مظاهر الحضارة المغربية فى الفكر والثقافة والادب ، ولم يتحدث فى الفن عن الموسيقى ــ كما لاحظ ذلك الزعيم الاستاذ علال الفاسي فى المقدمة ــ ولعل الحديث عن روح المقاومة فى الادب المغربي والحديث عن اللغة العربية لا يعتبر من اجل مظاهر الحضارة فى الثقافة والفكر والادب فى هذا البلد .

على ان كل هذا لا ينقص شيئا من الاعجاب والتقدير اللذين نكنهما للكاتب وللمؤلف الذي عرفناه بالاخلاص فى البحث والمثابرة والصبر على مثل هذه الاعمال القيمة التي تدين له البلاد وندين معها بالشكر الجزيل، وننتظر ، وننتظر معها ، الحلقة الثالثة او القسم الثالث الذي يضم حضارة المغرب فى العصر الحاضر ، هذه الحلقة التي دفعنا الاطلاع على البحث الى انتظارها قبل ان يضرب معنا من اجنها الاستاذ بنعبد الله موعدا قريبا او بعيدا .

الطاهر ابوبكر زنيبر



تاليف : الاستاذ عبد الكريم غلاب

تعليق : عبد القادر الصحراوي

هذا الكتاب ليس مدرسيا فحسب، فهو قد وضع بحيث يستفيد منه المدرس والطالب ، كما يستفيد منه القارىء الذي يريد ان ينمي معلوماته او يصححها ، او يربي فى نفسه ملكة الفهم التاريخي والذوق الادبي معا .

وقد يبدو لاول وهلة ان تاريخ الاسلام قد اشبع درسا ، وان ما الف فيه من الكتب المدرسية وغير المدرسية كثير جدا ، يغني عن كل مجهود جديد يبذل فيه ، وانه كان احرى بحضرة المؤلف ان يصرف همه وجهده للتاليف فى موضوع آخر غيره .

ولكن مجرد تصفح الكتاب كاف للدلالة على قيمته واهميته ، بل وعلى الحاجة الشديدة الملحة اليه ؛ ذلك ان ما نعرفه حتى الآن من كتب فى تاريخ الاسلام لا يعدو ان يكون واحدا من اثنين : فهو اما كتاب مدرسي جاف ، يقدم للطالب المعلومات والقضايا التاريخية باسلوب القواعد اللغوية والحسابية ، فلا يجد الطالب اية متعة فيه ، ولا اي ميل اليه ، وانما هو يدرسه ،

ويحفظ ملخصاته حفظا ، ليتخلص منها بعد حين على اوراق الامتحانات ؛ واما كتاب غير مدرسي يطلق فيه مؤلفه العنان لعلمه وقلمه ، ليفلسف الحوادث ، ويحاول ان يسبر اغوارها ، ويسرف في الاستنتاج والبحث والمقارنة ، ويملأ هوامش الصفحات بالمراجع المختلفة . هذا اذا لم يكن الكتاب من نوع الكتب التي تمتزج فيها الحقائق التاريخية بالخيال المجنح .. او الخيال المريض .. !!

اما في كتاب الاستاذ عبد الكريم غلاب ، فنحن امام تجربة جديدة ؛ امام اسلوب في البحث ، يتحرى الحقيقة ، ويتحرى الاحداث التاريخية ذات الدلالة العميقة والتأثير الكبير على سير الامور والاحداث ، فيبرزها ويدل على مكانتها واهميتها من غير اسراف او تقصير ، وامام اسلوب جديد في الصياغة ؛ لا يلقي الى الطالب او القارىء بالملخصات او « القواعد » التاريخية من اعلى ، وانما يتحدث اليه كما يتحدث الانسان الى الانسان ، ويأخذ بيده برفق ليكتشفا معا المناطق المجهولة ، وليقفا معا قليلا على ما ينبغي الوقوف عنده من التصرفات والاقوال والاعمال .

ولعل اصعب اسلوب في الكتابة على الاطلاق هو هذا الاسلوب الوسط بين اسلوب «القواعد» واسلوب البحث المنهجي ، او الكتابة الفنية الحرة التي لا يتقيد فيها الكاتب بأي قيد .

وقد عرف الاستاذ عبد الكريم غلاب ببراعة كيف يختار اسلوبه ، فجاء كتابه بحيث لا يغني عنه غيره او يسد مسده .

※

ويزيد في قيمة الكتاب انه يربط في ذهن الطالب بين المعلومات التاريخية وبين بعض الآيات القرآنية او الاحاديث النبوية الواردة في موضوعها ، وذلك كالمثال التالي :

يتحدث المؤلف في فصل من فصول كتابه عن غزوة بدر والخندق وغيرهما من الغزوات النبوية ، ويختم الفصل بعدة تمرينات وتطبيقات منها هذا السؤال :

قال تعالى :

« ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

« يايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ، اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا » .

تشير الآيتان الكريمتان الى حادثتين في تاريخ الاسلام فما هما ؟

وهكذا يعرف الطالب او القارىء تاريخ الاسلام مرتبطا بكتاب الاسلام ، وباقوال نبيه ، وباقوال ابطاله الذين نصروه ودافعوا عنه باموالهم وارواحهم .

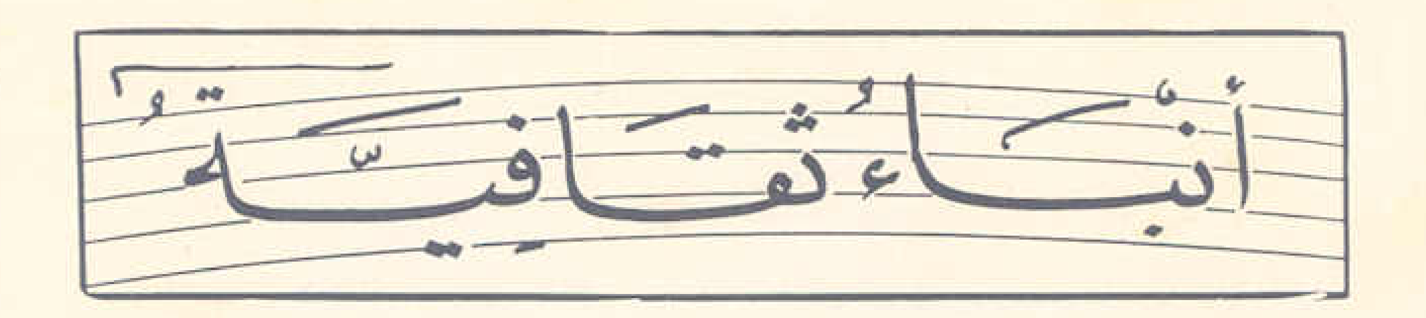
※

وميزة اخرى ، وهي ان الاستاذ غلاب دأب في كتابه على ان يختم كل موضوع بفصل ادبي ينقله عن احد اعلام الكتاب العرب او الاجانب ، فيلتقي الطالب في كتاب « تاريخ الاسلام » بالكاتب الفرنسي (غوستاف لوبون) في كتابه « حضارة العرب » وبالدكتور طه حسين في كتابه « على هامش السيرة » وبالدكتور حسين هيكل في كتابه « حياة محمد » وبالاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه « عبقرية محمد » وغيرهم ... وغيرهم وبذلك يستفيد الطالب علما وادبا ، ويتطلع الى المزيد من المعرفة .

※

نهنىء الاستاذ عبد الكريم غلاب ، ونتمنى لكتابه ما هو خليق به من التقدير والاعتبار ، ونحن في انتظار مجموعة قصصه الوطنية والاجتماعية التي اعلنت عنها (دار السلمي) التي تولت نشر الكتاب ، على صفحة الغلاف الاخيرة منه : « مات قرير العين » .

عبد القادر الصحراوي



* بمناسبة ذكرى عيد العرش الواحد والثلاثين القى المغربي الاول صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس خطابا عامرا جليلا بلفظه ، وعميقا بمعناه ، وجياشا مضطربا بالمحبة المتغلغلة في مقاطعه، وفي كل حرف من حروفه ، ونقطة من نقاطه ، نحو شعبه الذي يسهر على مصالحه ومقدساته من ان تعبث بها ايدي العابثين في مطلع استقلالنا. فتحدث جلالته في خطابه عن المشاريع المنجزة في السنة الماضية سواء في داخل البلاد او خارجها ، وشرح جلالته الجهود التي بذلت لتوطيد اسس الاستقلال ، كما تحدث عن مناطق المغرب التي ما تزال تحت السيطرة الاجنبية ، ومساعي المغرب لاسترجاعها حتى تتحقق وحدة البلاد الطبيعية والتاريخية والاجتماعية والقومية ، كما ذكر حفظه الله ان بقاء الجيوش لا يتناق مع الاستقلال فحسب بل يشكل خطرا مستمرا ، وعن القواعد الاميركية قال جلالته ان جواب اميركا عن مذكرة المغرب لا يتفق ومطالبنا ، كما اعلن نصره الله عن بشرى صدور قانون الحريات العامة فقال : انه وضع طابعه الشريف على القانون الخاص بها ، والذي يعتبر اول لبنة في صرح النظام التمثيلي ، كما زاد قائلا : ان الحرية سلاح ذو حدين اما احسنت استعماله فنفعك ، واما اسأت استعماله فارتد في نحرك والحق بك وبمن حواليك ضررا كبيرا . وفي ختام الكلمة الملكية دعا جلالته للمواطنين بالتشبث بالروح الوطنية والاخلاقية الدينية حتى يستطيع الشعب مواصلة السير والبناء ، وان يقاوم دعاة التفرقة والعنصرية ، لان هذه الدعايات ستحبط كل مسعى ، وتشتت شمل الشعب ، وتؤدي به الى فقدان حريته وكرامته وسيادته .

* اجرى السيد محمود المسعدي كاتب الدولة في شؤون التربية القومية الذي كان يراس الوفد التونسي في احتفالات عيد العرش محادثة مع السيد محمد الدويري نائب وزير التربية الوطنية المغربية حول مختلف المسائل في التعليم والثقافة على العموم . وقد اغتنم الاستاذ المسعدي وجوده في المغرب فزار الجامعة المغربية ومراكز التعليم فيه .

* زار المغرب في اواخر الشهر المنفرط بعض الصحافيين السوريين وهم السادة : سعيد التلاوي ، صاحب جريدة « الفيحاء » وفوزي امين صاحب مجلة « النقاد » وبشير العوف صاحب جريدة « المنار » ووجيه الحفار صاحب جريدة « الانشاء » وكل هذه الصحف تصدر بسوريا .

* تخليدا لذكرى تدشين مقر اليونيسكو الجديد بباريس ستصدر في المغرب مجموعة من طوابع البريد تحمل بعضها صورة صاحب الجلالة ومقر اليونسكو .

* انتخب المغرب لاول مرة عضوا في اللجنة التنفيذية لليونسكو .

* بمناسبة الاعياد الثلاثة قدمت الاذاعة الوطنية مسرحية شعرية بعنوان « عرش الملك » كتبها خصيصا للاذاعة الشاعر علي الصقلي .

* الف الاستاذ احمد بن الهاشمي مسرحية جديدة باللغة الفرنسية قدمتها في اذاعتها فرقة التمثيل بالقسم الفرنسي في الاذاعة الوطنية .

* القى الاستاذ الزعيم الكبير السيد علال الفاسي محاضرة قيمة موضوعها « هدف الساعة » عندما كان حضرته في تونس . وقد دعا الزعيم في هذه المحاضرة الى التحرر من الرواسب التي تهدف الى محو الامة الاسلامية والعربية واكثرها رواسب فكرية روحية . وقد حضر هذه المحاضرة اكبر الشخصيات التونسية في العلم والادب والدين . وقام بتقديم الاستاذ الفاسي

الى المستمعين الاستاذ محمود المسعدي كاتب الدولة للتربية القومية الذي ابان للحاضرين تاريخ كفاح الزعيم وجهاده في سبيل امته المغرب الكبير ووصفه بانه عالم كبير تخرج من جامعة القرويين، وانه من طليعة العاملين لوحدة الشمال الافريقي .

* فاز الجناح المغربي في معرض بروكسيل بالجائزة الاولى في ميدان الصناعة التقليدية الذي نال اعجاب الجماهير .

* القى الاستاذ محمد العربي الهلالي محاضرة قيمة بعنوان « كيف رايت المغرب » وذلك في قاعة المحاضرات لنيابة التربية بالشمال .

* عقدت جمعية « الشباب العربي » بتطوان سلسلة من المحاضرات دعت الى القائها نخبة ممتازة من الادباء والعاملين في الحقل الثقافي بتطوان .

* سحبت الحكومة التونسية طلابها الموجودين في الجامعة السورية وعددهم اربعون طالبا .

* نظم المجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون بالقاهرة مهرجانا كبيرا في اواخر شهر نوفمبر الماضي احتفالا بذكرى رفاعة الطهطاوي .

* ستقوم حكومة الجمهورية العربية المتحدة بترجمة القرآن الكريم ترجمة رسمية للغات الفرنسية والانجليزية والالمانية . وقد قرر وزير المعارف عقد اجتماع لجنة مكلفة بامعان النظر في ترجمة كتاب الله . وستشمل هذه اللجنة على العلماء المختصين في اللغة وعلى نخبة من الفقهاء من جامعة الازهر . ونحن نعرف ان هذه الدعوة اول من قام بها هو الدكتور طه حسين في كتابه « نقد واصلاح » نتيجة لما قراه من ترجمات القرآن التي قام بها كثير من المستشرقين الذين لم تكن ترجماتهم امينة وصحيحة . انه لعمل جدير بالتقدير والاعجاب تقوم به حكومة الجمهورية العربية المتحدة .

* افادة للقارىء نسوق له ترجمة للكاتب والشاعر اليهودي الروسي الكبير بوريس باسترناك الذي فاز بجائزة نوبل للاداب لهذه السنة : ولد باسترناك سنة 1890 في وسط عائلة جل افرادها فنانون . ليونيد ابوه كان رساما كبيرا ، وكان يشتغل بتدريس الرسم في مدرسة الفنون الجميلة بموسكو ، وقام برسم لوحات لكتب تولستوي . امه كانت عازفة ماهرة على البيانو . درس بوريس في جامعة موسكو ثم في جامعة مرجوركو بالمانيا ، وبعد انتهائه من دراسته الجامعية ، قام برحلات الى بعض الاقطار الاوربية كفرنسا وايطاليا . تزوج بايطالية ، وفي السنة الماضية قام صاحب دار نشر بميلانو بطبع روايته « الدكتور تشيفاكو » التي نالت رضا الاكاديمية السويدية . في سنة 1919 بدا حياته الادبية فنشر اول ما نشر كتاب « ابعد من الحدود » ثم كتبا اخرى : « اختي الحياة » « مواضيع واشتات » « قصيدة سبيرطوركي » وكتابا عن الثورة الروسية منذ مطلع العصر بعنوان « في سنة 1905 . و « القبطان تشميد » و « الولادة الثانية » والى جانب كتبه الموضوعة فقد اشتهر بدقة وذوق في الترجمة لشكسبير ، وغوته، وريلكي .

* احتجت اذاعة موسكو ، وبعض الصحف السوفياتية بصرامة على الاكاديمية السويدية التي منحت جائزة نوبل للاداب الى بوريس باسترناك ، كما قرر المجلس الاعلى لاتحاد ادباء الاتحاد السوفياتي ان يحرم بوريس من لقب كاتب سوفياتي ، وان يطرد من اتحاد الادباء . وقد اذاعت وكالة طاس الاسباب التي دفعت الى اتخاذ قرار الطرد . وقد جاء في مقال نشرته صحيفة « ليتراتونيا كزيطا » ان مؤلفات بوريس تهدف الى المس بتقاليد الادب الروسي، وهي موجهة ضد الشعب والسلام وضد الاشتراكية . فالدفاع عن الفن الصميم اصبح الان اداة للدعاوة البرجوازية وآلة في يد الاوساط التي تذكي نار الحرب الباردة ، وتزيد نشر الاكاذيب الزائفة الباطلة في سبيل احباط الحركات التقدمية والثورية ، واضافت نفس الجريدة قائلة « ان تسليم جائزة نوبل لباسترناك عمل مستوحى من اغراض سياسية .

* رفض الكاتب الروسي باسترناك جائزة نوبل للاداب ، وذلك تحت ضغط جمعية اتحاد الكتاب السوفياتيين والصحافة السوفياتية .

* منحت الاكاديمية السويدية جائزة نوبل للفزياء لهذه السنة الى ثلاثة علماء روسيين وهم شيرنكوف ، وايكور ، ا . طام و ا . م . فرانك .

منحت جائزة لينين الادبية لهذه السنة الى الكاتب السويدي ارثر لاندكيست . وقد صرح الفائز على اثر احرازه على هذه الجائزة بانه يرغب في ان يستخدم مجموع جائزة نوبل الذي يبلغ 11 مليون فرنك في ترجمة الانتاج السويدي الى اللغة الروسية .

※ منحت الاكاديمية السويدية جائزة نوبل للكيمياء لهذه السنة الى البروفسور بجامعة كمبردج الدكتور فريدريس سانجير الذي يبلغ اربعين سنة .

※ جرت خلال شهر نوفمبر الماضي حفلات ثقافية بمناسبة تدشين المركز الجديد لمنظمة اليونسكو والدورة العاشرة لها . وقد قامت اللجنة الوطنية الفرنسية في منظمة اليونيسكو بتحضير حفلات هذا الشهر مشتملة على عدة معارض ، وعدة حفلات لعرض الافلام الثقافية مع حفلة سمر في مسرح « كوميدي فرانس » وحفلات اخرى استثنائية ، ومائدة مستديرة يشارك فيها عدد من حملة جائزة نوبل .

※ بمناسبة الاحتفال بافتتاح مقر اليونسكو الدائم في باريس الذي كان في 3 نوفمبر الماضي اصدرت الحكومة الفرنسية طابعي بريد تذكاري يحمل كل منهما منظرا مختلفا لمباني اليونسكو الجديدة . كما قررت حكومات 17 دولة من دول اليونسكو الاعضاء اصدار طوابع تذكارية بهذه المناسبة وهي الافغنستان، بلغاريا ، الصين ، كوبا ، جمهورية الدومينكان ، اكوادور، جواتيمالا ، ايران ، كوريا لاروسي ، المكسيك ، موناكو، نيجارجواي ، بولندة ، سلفادور ، اورجواي ، الفيتنام .

※ ستعقد الدورة الرابعة لمؤتمر ادباء العرب في الكويت نزولا عند رغبة سمو حاكم الكويت التي ابداها في الدورة الثالثة التي كانت انعقدت بالقاهرة في دجمبر 1957 . ولقد تقرر أن توجه الدعوة لعدد من الادباء من بينهم اعضاء المكتب الدائم في كل بلد عربي على ان تتحمل حكومة الكويت نفقات سفر هؤلاء المدعوين ذهابا وايابا كما انهم سينزلون ضيوفا على الحكومة الكويتية مدة المؤتمر . والى جانب هذا تعلن حكومة الكويت — وزارة معارفها — ترحيبها بجميع الادباء الاخرين من مختلف البلاد العربية الذين يريدون الاشتراك في المؤتمر حيث يسهمون في مناقشات وجميع أوجه نشاطه على ان يتحمل هؤلاء نفقات السفر الى الكويت ومنها ، بينما ينزلون ضيوفا على الحكومة مدة المؤتمر ولكن بشرط ان تصل اسماؤهم الى مدير معارف الكويت قبل فاتح دجمبر 1958 . ولقد تقرر بالاتفاق مع المكتب الدائم بالقاهرة ان يكون موضوع البحث في هذه الدورة من شقين :

1 — الشق الاول :

محاضرات تلقى ويعلق عليها حول « البطولة في الادب العربي » على حسب التفريعات المقترحة الاتية :

1) البطولة كما يصورها الادب الجاهلي :
ا — في الشعر والنثر
ب — ادب الصعاليك .
ج — مقارنة بين نماذج البطولة في الادب الجاهلي ونماذجها في الآداب الاخرى . . .

2) البطولة كما يصورها الادب العربي بعد ظهور الاسلام حتى سقوط بغداد :
ا — في القرآن الكريم والشعر والحكايات والقصص المترجمة والمقامات والنوادر والمحاورات والرسائل المطولة .
ب — وصف المواقع في كتب الادب مع الاهتمام بادب الخوارج وحروب الروم .
ج — اثر العقيدة الدينية في نماذج البطولة وادبها في هذا العصر .
د — ادب الرحلات وما فيه من تصوير المغامرات . . .

3) البطولة كما يصورها الادب العربي في الاندلس وشمال افريقيا :
ا — في الشعر
ب — وصف البطولات في كتب الادب والرحلات
ج — كفاح المدن العربية ضد الغزاة
د — البطولات الخيالية . . .

4) البطولة كما يصورها الادب العربي بعد سقوط بغداد حتى بداية القرن التاسع عشر :
ا — في الشعر
ب — الفتوة في عهد الاقطاع واصداؤها في الادب
ج — المعتقدات الدينية الغيبية واثرها في تصوير البطولات . . .

5) البطولة كما يصورها الادب العربي الحديث :
ا — في الرواية
ب — في القصة
ج — في المسرحية
د — في الشعر
ه — في ادب الصحافة

6) البطولة في ادب الاطفال :
ا — نشأة الاطفال
ب — البطولة في القصص المؤلفة للاطفال والمترجمة
ج — دراسة نفسية تربوية لما يجب ان تكون عليه نماذج البطولة في مراحل الطفولة
د — اثر القصص الجيدة في اعداد النشء

هـ ـ نظرات نقدية عن البطولة في قصص الاطفال المتداولة ومدى ملائمة الاسلوب لمراحل الطفولة المختلفة

7) البطولة كما يصورها الادب الشعبي :
ا ـ هذا ويلاحظ في بحث الموضوعات السابقة دور المراة في العصور المختلفة .
ب ـ الشق الثاني من موضوع البحث هو الكتاب العربي من حيث الطبع والنشر والتوزيع وسيبحث هذا الموضوع في لجان خاصة وتتخذ فيه التوصيات المناسبة التي تساعد على تسيير تداوله في البلاد العربية وتستدعي بعض دور النشر والتوزيع للاشتراك في المناقشة في هذا الموضوع .

※ يجري العمل في هذه الايام لادماج نيابة التعليم بالشمال في مصالح وزارة التربية الوطنية . وسيتم هذا الاندماج في آخر شهر دجنبر .

※ اصدر معهد مولاي الحسن اخيرا كتاب « بسط الارض في الطول والعرض » لابن سعيد المغربي قام بتحقيقه وكتابة مقدمته المستشرق الاسباني الشاب خوان فرنيط ، استاذ العربية وآدابها بجامعة برشلونة.

※ قام بزيارة الى المغرب البروفسور بيرك بدعوة من الجامعة المغربية لفائدة كلية الآداب . والاستاذ بيرك يشتغل بالتدريس في كوليج دي فرانس ، ويعد من المستعربين الفرنسيين الكبار .

※ يستعد الاستاذ المقتدر السيد المهدي بنونة لتاسيس وكالة للاخبار بالعربية في الرباط . والاستاذ بنونة معروف بنشاطه ، وخبرته ، وقدرته في الميدان الصحافي الذي عمل فيه زمنا طويلا . تدعو لهذه الوكالة الوطنية بالنجاح والازدهار .

※ تشتغل خزانة الصحف التابعة لمصالح المكتبة العامة بتطوان بتهيء فهرسين للمعنيين بالبحث :
1) فهرس يشمل جميع اسماء الكتاب المغاربة الذين كتبوا في الجرائد ، والمجلات المغربية ، منذ ابتداء الصحافة بالمغرب الى يومنا هذا ، وسيكون هذا الفهرس مرتبا ترتيبا ابجديا .

2) فهرس المواد وهو مرتب على حسب التنسيق العالمي المعروف بـ « التنسيق العشري » . ومواد هذا الفهرس مستخرجة من جميع الصحف المغربية وبعض الصحف الشرقية التي تصل الى هذه الخزانة وسيطبع الفهرسان عند انتهاء العمل منهما ، ليكونا في متناول كل المهتمين بالبحث والثقافة .

※ قامت لجنة من الاخصائيين بالآثار في المغرب في الشهرين الاخيرين بحفريات ذات اهمية في بعض المدن الاثرية المغربية كلكسوس ، والقصر الكبير ، وتمودة ، ومزورة . وتتكون هذه اللجنة من : المسيو ميشيل بونسك ، المفتش الملحق بمصلحة الآثار بالرباط ، والاستاذ احمد المكناسي مدير المتحف الاثري بتطوان ، والدكتور ميكيل طراديل مفتش الحفريات بالشمال ، واستاذ علم الآثار بجامعة بالينسية . ومما اكتشفت هذه اللجنة ، وخصوصا بالقصر الكبير آثارا قديمة اسلامية من الخزف على أشكال والوان يرجع عهدها الى النصف الثاني من القرن التاسع للميلاد ، كما عثرت على بقايا دور واحواض وجباب وكلها من بناء عربي استغله البرتغاليون لابنيتهم العسكرية .

※ تألفت في المغرب جمعية باسم « جمعية الشباب العربي » تضم مجموعة من الشباب المغربي العامل . وتهدف هذه الجمعية الى النهوض بالثقافة والفكر والادب . وتصدر هذه الجمعية منشورا شهريا يعرف بنشاط جمعيتهم ومشاريعها . فنطلب لها التوفيق .

※ صادرت السلطات الفرنسية في الجزائر النسخ التي وصلت من كتاب « فرنسا المحمومة » للكاتب الفرنسي بيير هنري سيمون . والغريب في هذا ان الكتاب يدعو الى تأييد الجنرال ديجول في سياسته ، وفي آن واحد يشير الى حقوق الشعوب في تقرير مصيرها .

※ اقيم مؤخرا في القيروان بتونس مهرجان كبير للشعر التونسي تحت اشراف رئيس الجمهورية التونسية . وقد القى في هذا المهرجان كثير من الشعراء التونسيين قصائدهم نذكر منهم : الصادق مازيغ ، احمد الوزير ، محمد الهاشمي زين العابدين ، نصر المرزوقي دوز ، عمر الجمالي ، التادلي عطا الله ، محمد الباجي ، احمد خير الدين ، منور صمادح ، عمر العويني صالح بن شعبان ، الهادي الفطناسي ، بابر ابو بكر .

※ عقدت اخيرا في موسكو اتفاقية ثقافية بين الجمهورية التونسية وروسيا .

※ اهدى الاستاذ عباس محمود العقاد كتابه الجديد « التفكير فريضة دينية » الى المؤتمر الاسلامي.

※ جاء في الكراسة الخاصة بالمكتبات التي تصدرها منظمة اليونسكو باللغة الاسبانية في عددها الصادر في شتمبر : ان معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية بالقاهرة قد اخرج صورا لـ 000 15 مخطوط عربي بآلة الميكروفيلم ، كما قام باخراج صور لـ 000 80 من هذه المخطوطات في حجم اكبر. ويبلغ عدد المخطوطات العربية في العالم ما يزيد على ثلاثمائة مليون ، كما جاء في نفس هذه الكراسة ان هذا المعهد قد بعث ارساليات من رجال مكتبته المختصين للبحث عن المخطوطات وتصويرها في مكتبات : المملكة العربية السعودية ، والهند ، ولبنان ، وسوريا ، وتونس ، وتركيا ، ومكتبة الاسكوريال بمدريد ، وباريس ، وايطاليا ، والبلدان المنخفضة ، ولندن .

نسوق هذا الخبر بمناسبة وجود مدير هذا المعهد الدكتور صلاح الدين المنجد في المغرب بقصد البحث عن مخطوطاته وتصوير مهمها .

※ اعلن الممثل المصري المعروف الاستاذ يوسف وهبي انه عكف على كتابة مؤلف عن تاريخ المسرح المصري .

※ صدر في القاهرة كتاب « الظاهرة القرآنية » للؤلف الجزائري مالك بن نبي . وقد صدر هذا الكتاب اول مرة بالفرنسية ثم قام بتعريبه مؤلفه . وستصدر الترجمة العربية بتقديم الاستاذ احمد محمد شاكر .

※ تباشر دار المعارف بمصر طبع ديوان الشاعر الجزائري الكبير محمد العيد آل خليفة . وسيصدر هذا الديوان بتقديم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ محمد البشير الابراهيمي .

※ سيتم قريبا في القاهرة طبع كتاب « شرح نهج البلاغة » لمؤلفه الاستاذ ابن ابي الحديد .

※ يدرس مستشارو وزارة التربية والتعليم للجمهورية العربية المتحدة مشروع انشاء جامعة بمدينة طنطا لتخفيف الزحام عن جامعة القاهرة والاسكندرية.

※ تدرس وزارة الارشاد بالقاهرة اقتراحا لانشاء « حي الفنون » بهذه العاصمة . وقد تكونت لجنة لدراسة هذا الاقتراح على ان يبدا تنفيذ هذا المشروع في العام القادم .

※ يصدر قريبا المجلس الاعلى لرعاية الفنون بمصر مجموعة من الكتب الفنية عن السينما، والمسرح، والفن على العموم .

※ عاد الى وطنه لبنان الشاعر المهجري الكبير رشيد سليم الخوري المعروف بالشاعر القروي الذي قضى في مهجره بسان باولو ـ البرازيل اكثر من اربعين سنة تغنى فيها بالوطن العربي والقومية العربية ، شاهرا الحرب على الاستعمار واعوانه في البلاد العربية وقد اقيمت على شرف الشاعر الوطني الكبير حفلات تكريمية عديدة في كل بلدة ينزل بها . ولهذا الشاعر عدة قصائد يشيد فيها بحركة التحرير المغربية ، وعلى راسها قصيدة عصماء يمجد فيها بطولة صاحب الجلالة محمد الخامس ، وجهاده في سبيل بلاده . وتوجد هذه القصيدة في ديوانه الكبير « ديوان القروي » . وقبل ان يصل الشاعر القروي الى وطنه نظم هذين البيتين قال فيهما :

بنت العروبة هيئي كفني
انا عائد لاموت في وطني

من جاد من خلف البحار له
بالروح ، كيف يضن بالبدن !

فعاتبه صديق له وقال : كان الامر بك ان تقول :

بنت العروبة هيئي سكني
انا عائد لاعيش في وطني .

※ صدرت لمفكر الشرق ، ناسك الشخروب الاستاذ ميخائيل نعيمه الطبعة الثالثة لكتابه « جبران خليل جبران » في سلسلة كتاب الهلال . ويعد هذا الكتاب في نظر النقاد من احسن الكتب التي الفت في السيرة باللغة العربية .

※ صدرت في بيروت مجلة فصلية تبحث في العلم بعنوان « آفاق » .

※ ان الشاعرة كوليت الخوري ، حفيدة الزعيم السوري الكبير فارس الخوري ، وصاحبة ديوان « عشرون سنة » باللغة الفرنسية انتهت من كتابة قصة طويلة باللغة العربية لاول مرة عنوانها « كلمات بدون خوف » وينتظر ان تكون لهذه القصة ضجة ادبية كبيرة ، نظرا للجراة التي عولجت بها .

* يعد المستشرق الاسباني ايميليو كرثيا كوميث الذي يشغل الآن منصب سفير دولته لدى الجمهورية العراقية كتابا عن الادب الشعبي فى العراق .

* صدر للشاعر طاهر زمخشري احد شعراء الجزيرة العربية اللامعين ديوان « اغاني الصحراء » . ولهذا الشاعر عدة دواوين ، منها ديوانه الذي يحمل اسم همسات » .

* تألفت فى الكويت رابطة ادبية هدفها تقوية الادب فى الكويت ، وتشجيع الكتاب والادباء ، وخدمة الفكرة القومية العربية من خلال الادب .

* اصدرت مجلة « ثقافة الهند » الفصلية التي يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية عددا خاصا فى اكثر من مائة صفحة احتفاء بذكرى مولانا ابي الكلام آزاد الذي توفى فى الهند اخيرا . وقد كان الفقيد عالما وفيلسوفا وزعيما وطنيا كبيرا . ومن آثاره « ترجمان القرآن » وهو تفسير للقرآن الكريم وكتاب « غبار خاطر » وهو مجموعة خواطر فى الادب والفن .

* عثر فى الايام الاخيرة قرب بكين على جثة الامبراطور الصيني وان لي مكفنة فى الحرير، وفى سبائك الذهب والفضة والى جانبه زوجتاه مع كنوز ثمينة . ويرجع حكم هذا الامبراطور الى سنة 1572 ، وظل امبراطورا الى سنة 1620 .

* فى اواخر الشهر الماضي عثر رجال الآثار اليابانيون فى شيبا الواقعة فى شمال طوكيو على ثماني قطع خزفية يعود تاريخها الى عشرة آلاف سنة . وصرح المكتشفون لهذه الآثار ذاكرين انها اقدم اكتشاف وقع العثور عليه من هذا النوع فى العالم لحد الآن ، ويعد نصرا للآثار ورجاله .

*ابتداء من هذه السنة اصبح تعليم اللغة العربية اجباريا فى مدارس بكازا خستان بالاتحاد السوفياتي .

* اصدرت دار النشر للآداب السياسي بموسكو اخيرا كتابا الفه ن . اقانون بعنوان « فى الكفاح من اجل الاستقلال » ضمنه صفحات واسعة عن حركة التحرير القومي بتونس ، وتاريخها قبل الاحتلال الفرنسي . وبعد هذه المقدمة يوجد تحليل مفصل حول انتصاب الحماية الفرنسية بالبلاد التونسية . ثم تطرق المؤلف الى تحليل النتائج التي خلفها الاحتلال الفرنسي لتونس، فالبطالة ، وبقاء البؤس ، والفقر نتيجة استغلال الراسمالية الاحتكارية الفرنسية للاقتصاد .

* اصدر القاص الروسي فالديمير نابوكوف قصة بعنوان « لوليتا » اثارت ضجة عنيفة من النقد فى اوربا وامريكا . وقد عرف اخيرا عن مؤلفها انه يحمل الجنسية الامريكية . وبيع من هذه القصة حتى الآن 800 الف نسخة .

* وقع العثور فى مكتبة ممثل عجوز فى مدينة كييف على اسطوانة مسجل فيها صوت الاديب الروسي الكبير ليوتولستوي الذي سجله فى سنة 1909 فى بيته بـ « ياسنايا بوليانا » . والاسطوانة فريدة فى العالم .

* عقد اخيرا فى اثينا المؤتمر النسائي الدولي . وبحث هذا المؤتمر مشاكل الاسرة والزواج فى مختلف بلاد العالم .

* بمناسبةمؤتمر رعايةالطبيعة الذي عقداخيراباثينا صدرت مجموعة من طوابع البريد ذات الزهور والرياحين المختلفة الاشكال والالوان .

* ان الجائزة المسماة « بجائزة الحرية للآداب » قد احرز عليها فى هذه السنة الاديب والسياسي اليوغوسلافي ميلوفان ديلاس عن كتابه « الدرجة الجديدة » . وتقدر هذه الجائزة 000 100 فرنك فرنسي .

* تستعد هنغاريا للاحتفال بمرور مائة وخمسين سنة على وفاة الموسيقي العالمي هايدن . وبهذه المناسبة سينظم فى شتمبر 1959 مهرجان موسيقي فى ازترهازا حيث عمل هايدن طوال ثلاثين عاما فى رعاية امراء هذا الاقليم ، كما ستقدم قطعه الموسيقية فى دار الابرا فى بودابست ، وفى الاذاعة، والتلفزيون ، الى جانب معرض فى دار الآثار الهنغارية ، كما سينشر دليل يضم المؤلفات والمقالات التي ظهرت عن حياة هايدن واعماله . وتتولى تنظيم هذه الحفلات لجنة احياء ذكرى هايدن، ومقرها فى معهد الموسيقى العالي ببودابست .

* قررت حكومة النمسا ، وحكومة المانيا الغربية انشاء مدرسة خاصة بالطلبة المصريين الذين يذهبون فى بعثات لاستكمال دراستهم العليا هناك . وفى المدرسة الخاصة يقضون اربعة شهور يتعلمون فيها اللغة الانجليزية بالمجان .

※ منحت جائزة السلام لسنة 1958 لفرانكفورت الى الفيلسوف ، كارل جاسبرس البالغ من العمر 75 سنة . ولهذا الفيلسوف ستة وعشرون كتابا في الفلسفة والسياسة .

※ ان جائزة « غوتة » التي تمنح عن كل ثلاث سنوات بفرانكفورت قد احرز عليها هذه السنة العالم الذري الدكتور كارل فريدريش فريهيرفون ويتساكر . وقدر هذه الجائزة 10 000 مارك .

※ جاء من برلين : ان زعيمة الطائفة الاسلامية في برلين سيدة اسمها فاطمة . انها المانية تزوجت رجلا باكستانيا ، واعلنت اسلامها . وعندما مات زوجها ذهبت لتقيم في الجامع الصغير الوحيد الموجود في ضاحية برلين ، وكرست حياتها للدعوة الاسلامية . ان فاطمة تشكو من اهمال جامع برلين ؛ تشكو من انها تملك خمس مصاحف فقط ، ولا تملك اسطوانات كافية لاذاعة القرآن . وقد احترقت مكتبة الجامع في الحرب ، وهي لا تجد الكتب الكافية للدعوة للاسلام ولاطلاع الالمان الذين يريدون معرفة تعاليمه .

※ نعت المانيا مستشرقها الكبير البروفسور اينو ليتمان ، استاذ اللغات السامية بجامعة تيبنجن ، وعضو المجمع اللغوي بمصر . ومن أعمال هذا المستشرق في ميدان الاستشراق ترجمته لالف ليلة وليلة الى الالمانية .

※ اصدر الاديب الالماني الشهير رينير ماريا ريماركه قصة جديدة بعنوان « المسلة السوداء » . وكان لكتابه السابق «كل شيء هاديء في الجبهة الغربية» حديث المجامع ، والاندية الادبية . اما قصته الجديدة فستصدر قريبا معربة في بيروت .

※ تألفت مؤخرا لجنة من اكبر السياسيين في بعض دول اوربا ، لينتخبوا فيما بينهم بالتصويت على اعظم رجال الفكر ، والعبقرية الذين ازدهرت على ايديهم مدنية اوربا وحضارتها من مجموعة كبيرة من المخترعين ، والمكتشفين ، والفلاسفة ، والادباء ، والشعراء ، والرسامين ، والموسقيين ، والنحاتين الاوربيين . وهذه هي نتيجة التصويت :

احد عشر صوتا : بتهوفن ، دانتي ، ديكارت ، غوته نيوتن ، بسكال ، شكسبير .

عشرة اصوات : مكيل انجيل ، ريمبرانت ، اسبينوزا ، ليوناردو فينشي .

تسعة اصوات : غاليلو ، موليير .

ثمانية اصوات : داروين ، اراسمو ، كانت ، راسين ، سانتو توماس دي اكينو .

سبعة اصوات : باخ ، فيكتور هوجو ، لوثر ، مونتايكني باستور .

ستة اصوات : بدرو وماريا كوري ، كروتيو .

خمسة اصوات : كولون ، فليمنج ، توماس مورو ، تيتيانو ، فاغنر .

وكما يظهر من هذا التصويت : 8 فرنسيون ، و7 ايطاليون باعتبار كولون مكتشف امريكا مولودا بايطاليا) و 6 المانيون و 5 انجليزيون ، و 4 من البلاد المنخفضة . وقد ثارت ثائرة صحف الدول الاوربية التي لم يكن لرجالها نصيب من هذا التصويت ، لانها لم تستدع للمشاركة فيه ، وعدته اجحافا وظلما لعباقرتها الذين ساهموا بنصيبهم ايضا في بناء حضارة القارة الاوربية .

※ان اكبر كتاب بيع منه في السويد في الثلاثة الاشهر الاخيرة هو كتاب « التقويم السنوي للضرائب » حيث يوجد فيه جميع اسماء التجار ومقدار ما يدفعونه ضريبة للدولة (؟)

※ تعد اللجنة الدولية للعلوم الالكترونية — ومقرها في جنيف — قاموسا ضخما للمصطلحات الالكترونية الفنية توطئة لوضعه في ثماني لغات .

※ سيصدر قريبا بفرنسا الجزء الرابع من مذكرات الجنرال ديجول يتحدث فيها عن الفترة ما بين 1946 والجمهورية الخامسة .

※ قامت حكومة فرنسا باحصاء تقريبي لعدد الذين يقراون ويتكلمون الفرنسية في العالم ، فكانت النتيجة ان عددهم نحو مائتي مليون شخص .

※ عثر البروفسور آن مورتيو الفرنسي على تمثال منحوت في قطعة الصوان ببلدة ابزي ، يبدو انه يرجع الى عشرين الف سنة . ويلاحظ ان علماء فرنسا في هذه الايام يواصلون البحث والتنقيب لكي يثبتوا ان فن النحت في فرنسا كان قبل اي بلد آخر حتى في مصر واليونان .

* تبلغ ميزانية اليونسكو لسنتي 1959 – 1960 التي ستصرف على مشاريعها الثقافية : 24،653،128 دولارا .

* من المسائل التي درستها اخيرا وفود الدول الاعضاء في منظمة اليونسكو للتربية والعلم والثقافة :
1) التوسع في التعليم المجاني والالزامي .
2) النهوض بالتربية الاساسية لرفع مستوى الحياة عن طريق التعليم العلمي .
3) مكافحة التوتر العنصري والاجتماعي والدولي .
4) تقوية التبادل الثقافي بين الشرق والغرب .
5) النهوض بالبحوث العلمية .
6) التوسع في التعليم الابتدائي في امريكا اللاتينية .

* قوبل « الباليه » الذي وضعته الكاتبة الفرنسية المعروفة فرانسواز ساكان بعنوان « الموعد الخلف » باكثر من نقد لاذع وتقريع من جانب النقاد المسرحيين. فلا الفكرة ولا الاداء ولا الاخراج كان مستحسنا . غير ان يد الفنانة برنار بوفه التي اسهمت في رسم « الديكور » قد ابدعت حتى تخطت مقاصد ساغان واظهرت عيوبها .

* سيصدر قريبا للقس الذي كان يتزعم دعوة الاصلاح التي لم تتكلل بالنجاح كتاب « البؤس يحكم العالم » .

* اجتمعت في مقر اليونسكو في شهر اكتوبر اللجنة الدولية الاستشارية للبرامج الدراسية برئاسة الاستاذ هارولد سيبرز من الولايات المتحدة ، وعضوية اخصائيين في التعليم من العراق ، والمانيا الاتحادية ، وفرنسا ، واليابان ، والاتحاد السوفياتي ، وكولومبيا ، والهند . وقد درست هذه اللجنة في هذا الاجتماع نظام مراجعة البرامج الدراسية ، وتكييف هذه البرامج وفقا لاعمار التلاميذ ومستواهم العقلي ، كما درست في جلساتها موضوع التعليم في علاقته بالتفاهم الدولي لقيم الشرق والغرب الثقافية .

* عثر في المكتبة الوطنية التابعة لبلدية مدينة كاليه في شمال فرنسا على مجموعة من الرسائل التاريخية من بينها رسائل نابليون ، وفكتور هوجو ، وروسو ، والفريد دي فيني ، وتاليران ، وصاند ، ولا مرتين ، وهنري الرابع .

* نظم في معرض بروكسيل الدولي مهرجان للمسرح الجامعي عرضت فيه تمثيليات قدمتها عشر فرق جامعية من اوربا وامريكا ، حيث عرضت فرق باريس وبروكسيل مسرحيات لاريستوفان واسكيل ، بينما قدمت فرق فرانكفورت وبل مسرحيات « انتيجونا 48 » لبرخت و ج . ب لارشيبالد ماكليش. اما فرقة جامعة كادريف فقد قدمت « خواطر سجين » لكويستو فرفراي، بينما قدمت فرقةزغرب مسرحيتين للمؤلف اليوغسلافي درزيك الى جانب عرض مسرحيات اخرى من فرق جامعات لوفان والبندقية واستامبول. وكان لهذا المهرجان المسرحي نجاح كبير .

* عقد معهد بولتانو الدولي للدراسات الاوربية بمدينة بولتانو بشمال ايطاليا مؤتمرا دوليا للثقافة الاوربية وكان موضوع المؤتمر « الثقافة الاوربية المعاصرة في وحدتها وشموليتها » .

* كما عقد في روما مؤتمر عالمي للقضاء . وكان موضوع هذا المؤتمر « تكوين المحاكم المختلطة بصفة عامة ، والمحاكم الدولية » .

* ان البيانو الذي كان يعزف عليه الموسيقار البولوني الكبير فريدريكوشوبان اثناء اقامته بجزيرة بالمادي مايوركا قد عثر عليه في اواخر شهر اكتوبر الماضي . وكان شوبان قد وصل الى هذه الجزيرة في 8 نوفمبر سنة 1838 .

* ان اكبر جائزة ادبية في اسبانيا وهي جائزة « بلانيتا » للرواية التي تمنح في مدريد والتي تبلغ قيمتها مليون فرنك قد احرز عليها الكاتب بورموديث دي كاسطرو عن روايته «خطوات بلا اثر» . ولم يسبق للفائز ان ظهر من قبل في ميدان الكتابة والتاليف . وقد فوجئت الاوساط الادبية الاسبانية بظهور هذا الروائي فجاة .

* احرزت فرقة « الباليه » العالمية للاوبرا الملكية السويدية على نجاح منقطع النظير في مهرجانها الذي اقامته في مدينة اشبيلية . ومن بين ما عرضت هذه الفرقة في رقصاتها على النظارة قطعة « غدير الاوز» للموسيقي الروسي الكبير تشكوفيسكي . وقد تاسست هذه الفرقة على يد ملك السويد غستافو الثالث سنة 1773 .

* افتتح لاول مرة فى كرونيا باسبانيا معرض دولي للصور الشمسية . وقد شارك فى هذا المعرض ما يزيد على عشرين دولة غربية .

* عن سن أربع وسبعين توفى سكرتير عضو المجمع الملكي الاسباني للتاريخ السنيور فينطي كسطنبيدا الذي له عدة مؤلفات فى التاريخ وفلسفته .

* اعلنت مجلة (ونداس ـ الامواج) التي تصدرها فى برشلونة شركة الاذاعة الاسبانية عن المسابقة الدولية الخامسة التي تنظمها فى كل عام وتوزع جوائزها على المتبارين بين المذيعين ، والمؤلفين ، والمسرحيين ، والموسقيين .

* صدر فى انجلترا كتاب «مراسلات استالين مع تشرشل وروزفلت وترومان من سنة 1941 الى سنة 1945 » وقد اعتمد ناشر هذا الكتاب وهو هاربيرت فيس على الوثائق الرسمية التي نشرتها وزارة الخارجية السوفياتية فيما يخص هذه المراسلات .

* اصدر المستشرق الانجليزي ج . ف . ب . هوبكنز ، المحاضر باللغة العربية فى كلية الدراسات الشرقية فى جامعة لندن كتيبا صغيرا باللغة العربية بعنوان « بعض نواحي الدراسات العربية والشرقية فى بريطانيا » . ويشتمل هذا الكتاب الاعمال التي قام بها رجال الاستشراق فى بريطانيا منذ القرن الثاني عشر الى يومنا هذا .

* بيعت فى السوق العلني بلندن عدة قصائد لبرناردشو اكتشفت اخيرا . وقد كتبها منذ سبعين سنة عند ما كان يحب الممثلة ايلين تيري . وليس فى هذه القصائد قيمة شعرية ، ولكن قيمتها ترقى لانها من آثار برنارد شو فقط ! وهذا نموذج منها :

« الا تحبينني ؟
قولي نعم . . .
انه فوق طاقتي وحق السماء . .
وسأموت لو قلت لا . . ! »

* افتتح فى مدينة ليشستر بانجلترا معرض للصور الشمسية للقلاع العربية الموجودة فى اسبانيا . وقد اشرفت على هذا المعرض سفارة اسبانيا بانجلترا .

* سيلقن التعليم فى المستقبل القريب فى الولايات المتحدة بواسطة التلفزيون .

* ذكر مدير المعارف الاميركي لورنس درتيك ان مدارس الولايات المتحدة وكلياتها سجلت 45 مليون طالب فى العام الدراسي 1958 ـ 59 ، اي بزيادة مليون و 750 الف طالب عن الرقم القياسي السابق للعام الفائت وهو 43 195 000 طالب . وقد بلغ عدد طلبة الكليات والجامعات حوالي 3 623 000 طالب هذا العام اي بزيادة 173 000 طالب عن العام المنصرم .

* تشتغل جامعة ويسكونس بتحضير سلسة من الكتب عن اللغة العربية . وقد صرح السيد منصور رئيس دائرة الدراسات السامية بالجامعة المذكورة . انه فى اعداد خمسة مجلدات وقاموس يضم المصطلحات الفنية والعلمية فى الشؤون السياسية والاقتصادية والعلمية والعسكرية .

* فاز بجائزة « شوبان » للموسيقى لهذا العام الطالب ماريك جابلونسكي الذي يتابع دراسته الموسيقية فى مدرسة « جوليار » الموسيقية بنيويورك . وقدرهذه الجائزة الف دولار .

* احرزت الشاعرة الاميركية مريان موري على جائزة « مهرجان الفنون » لمدينة بوسطن لهذه السنة . وتعد هذه الشاعرة من اشعر شاعرات الولايات المتحدة . وقد فازت فى السنوات الماضية باكثر من عشرين جائزة فى المسابقات الشعرية العديدة .

* عقد فى الايام الاخيرة ببوكاطو مؤتمر المعاهد الثقافية الاسبانية . وقد حضر فى هذا المؤتمر مندوبون عن المعاهد الثقافية فى كل من بوكوطا ، وكوايكيل ، والمكسيك ، وبانما ، والبرازيل ، وغواتيمالا .

* اصدرت اليونسكو كتابا بعنوان « الامية فى العالم فى منتصف القرن العشرين » . ومما جاء فى هذا الكتاب ان خمس الشعب الاميركي لا يقرا ولا يكتب (!) ولا تزيد نسبة الامية فى الاتحاد السوفياتي عن 5 فى المائة . اما فى الولايات المتحدة فهي 22 فى المائة . ومن سكان العالم 44 فى المائة اميون .

* رفع الكاتب الاميركي ارنست همنجواي قضية على مجلة « اسكواير » لانها ستصدر كتابا تضمنه

مجموعة من القصص التي نشرتها ، ومنها ثلاث قصص نشرتها لهمنجواي منذ عشرين سنة ، وكلها عن الحرب الاهلية الاسبانية وسبب ذلك ان هيمنجواي كـــان وقتذاك من انصار اليساريين .

※ بمناسبة الذكرى العاشرة لاعلان حقـــوق الانسان الذي اقرته الجمعية العامة للامم المتحدة في العاشر من ديسمبر 1948 . قرر رئيس جمهورية كواتيمالا تنظيم اسبوع بين 8 و 14 دسمبر 1958 يطلق عليه اسم « اسبوع حقوق الانسان » . وتذاع خلاله مواد الاعلان في اوسع نطاق شعبي ممكن . كما تقرر ان يكون العاشر من دسمبر من كل عام يوم عطلة قومية احياء لذكرى « يوم حقوق الانسان » .

※ عقد بالارجنتين المؤتمر الاسلامي الاول برعاية الامام السيد عبد الله حسين مندوب وزارة الاوقاف في القاهرة وغاية هذا المؤتمر جمع ما تفرق من كلمة المسلمين على اختلاف نحلهم وطوائفهم واحياء هممهم وما الى ذلك من مثل علينا من موجبات الدين الاسلامي الحنيف بتشييد المدارس والمساجد الاسلامية وبعثات ارشادية . وقد وزعت اللجنة التحضيرية الدعـــوة لحضور هذا المؤتمر الى جميع النوادي والجمعيات الاسلامية داخل الارجنتين وخارجها كالبرازيل التي تقيم بها كمية كبيرة من المسلمين .

※ يولد في انحاء العالم . في الساعة الواحدة نحو 5 200 طفل ، اي في اليوم الواحد 800 124 .

※ تالفت في مدينة واشنطن كتلة تحت اسم «هيئة الملحقين الثقافيين العرب في الولايات المتحدة الامريكية» وتضم السادة الملحقين الثقافيين بالسفارات العربية بمدينة واشنطن او من ينوب عنهم من قبل السفارات العربية . وهي تهدف الى تقوية الروابط بين الملحقين الثقافيين العرب من جهة وتنسيق اعمالهم فيما يخص تعريف الشعب الامريكي بالثقافة العربية من جهة اخرى .

وتتكون مالية الهيئة من مجموع اشتراكـــات السفارات العربية .

فهرس العدد الثالث ـ السنة الثانية



مجلة الانتاج الرفيع ، والمستوى العالي . مجلة العالم والاديب والفنان والشاعر .

❋

« **دعـوة الحـق** » تقرا فيها الابواب الثابتة التالية :

1) العدد الماضي في الميزان
2) في النقد الادبي
3) مطالعات وآراء
4) من تراثنا الفكري
5) من تراثنا الادبي
6) أنباء ثقافية
7) بريد دعوة الحق
8) القراء يسألـون

الى جانب كثير من البحوث والدراسات والمقالات والقصائد والقصص الرائعة

❋

لخدمة الثقافة والفكر والادب ، ابعثوا بانتاجكم الى مجلة «**دعـوة الحـق**»

❋

لانشترط مجلة «**دعـوة الحـق**» فيما تنشره الا شيئا واحدا فقط ، هو أن يكون من مستوى فكري معين ، لاينبغـي لمجلة تحترم نفسهـا وأهدافها ان تنزل عنه او تتسامـح فيـه .

❋

للمساهمة في النهوض بالمستوى الفكري في وطنك ، ابعث باشتراكك الـى مجلة « **دعـوة الحـق** » .

شلال « أوزوط » بالقرب من دمنات

تصوير : جاك بولان

مطبعـة فضالـة ـ فضالـة